33
2014
APN e.Book
Towards An Arab School Of Psychological Sciences

الكتاب الإلكتروني لشبكة العلوم النفسية

سلسلة الكتاب الإلكتروني:

عدد 33

المدرسة العربية في التحليل النفسي

الحركة العربية في التحليل النفسي

وفضاؤها النفساني والفلسفي والصحة الحضارية

زكريا علي زيعور

عدد 33 - 2014

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

المدرسة العربية في التحليل النفسي

الحركة العربية في التحليل النفسي

و فضاؤها النفساني والفلسفي والصحة الحضارية

زكريا علي زيعور

الفهرس

اهداء	5
إستهلال: المعلم... نجم سطع في سماء حقولنا – د. جمال التركي	6
تقديم	13
المدرسة العربية في التحليل النفسي	19
الوعي والسلوك أو العقلُ والأدواتُ الحِرَفية في الأربعينيات الماضية	19
تجربة المراهَقة وتمرّدِ الشباب تحولٌ وتغييرٌ في الحضارة	19
سكْبُ التجربة الجامعيةِ ثم سَبْكُها في حبّاتِ عنقودٍ أو كشذَرات	36
فقراتٌ أو خرزاتُ الفضاء النفساني والعلاجي والفلسفي (1)	63
فقراتُ الفضاء الفلسفي للتحليل والمحلّل (2)	79
حالة عيادية: العجزة والمختلَقة كما الفحوليّةُ الخارقة وسائر الأخوات	86
حالة تحليلنفسية	100
الدفاعي واللاواعي والمحجوب في المعجزة والخارقةُ والفحولية	100
(ودادية الكرامةِ الصوفية والمختلَقة أو الأكذوبةِ الطفليةِ والبطولة) عند الفرد والمجتمع وفي التعاملية والأمَّة	109
1- الانسان مشاعر وسلوكاتٌ ومواقف ومن عُقَده المغموطيةُ وعقدةُ الانتحاس والمغبونية.	109
2- الشعور المعقد بالمرارة وارتباطه مع عُصاب المغموطية	110
3- عقدة المغموطية والمغبونية. مشاعر المطرود والمنفي والمنجرح. الوعي بالانهزام والانقلاب بدايةٌ ضرورية ناجعةٌ ونافعة.	111
4- تفسير عقدةٍ نفسية انطلاقاً من شخصية تاريخية	112
5- عقدة غير معمَّمة، متطوِّرة وتقتلُها المدَنيات أو العدالة الاجتماعية بخاصة.	113

الإدمانات نوعٌ من التكيف الناقص الوهمي	116
1- عيِّنة. حالة إدمان:	116
2- حالة الادمان على الغرق في العمل دفاعاً عن الذات. عيِّنة	117
3- حالة الادمان على الكتابة دفاع وردٌ يَقي ويُخفي. فإنّه حلٌ ومخرج.	118
الصحة الحضارية عنوان الأنا الأعلى أو مقامُ الذاتِ المثالية	118
1- الصحة الحضارية للمهاجر العربي	118
2- مبحث الصحة الحضارية	119
1- القيَم الفكرية والاقتصادية قُطبان في الحياة أو قَدَما الحضارة	119
ll - الأسُس الفكرية والفضاء الفلسفيُّ للأنا الأعلى عند المهاجر	123
lll - نظرياتٌ فلسفية وأيديولوجية مُربحة ومغذّية. الذخيرةُ الحضاريةُ الراهنة والمستقبلية	125
مراجع النص	129
مختارات شبكة العلوم النفسية العربية	131
ملحق: السيرة و المسيرة	162

اهـــــــــــــداء

إعداد

زكريا علي زيعور

(طب عام من الجامعة الأميركية – بيروت)

(طبّ نفسي وأعصاب – دالاس/ تكساس)

تقديم

الرئيس الدكتور جمال التركي

رئيس شبكة العلوم النفسية

إبانة

إهداءات إلى:

الأستاذ الدكتور عبد الستار ابراهيم

الأستاذ الدكتور جمال التركي

الأستاذ الدكتور علي زيعور

إستهـــــــــلال

" المعلـم "...نجم سطع في سماء حقولنـا

د. إجمـــــال الشركـــــــي

في مرحلة من مراحل حياة نجوم السماء، وبعد مسيرة ممتدة من العطاء والاشعاع يتحول البعض منها الى نجوم شديدة الكثافة، بأن تلغى المسافات الشاسعة بين نواة والكترونات ذرات مادتها، عندها يتجاوز وزن جزء صغير لا يتعدى الواحد صم^3 أكثر من 2 بليون طن (+ 2000000000 كغ).

كما للسماء نجومها، للأرض نجومها... ان كانت نجوم السماء لا خيار لها في مسار تطورها وتحولها الى نجوم شديدة الكثافة، على الارض كائن كرّمه الحق له كامل الاختيار ان يرقى نجما في سماء العلوم و المعارف، أو أن يخلد غثاءا في زبد الارض ...

الكتاب الذي بين أيدينا عن أحد المكرّمين، حلّق عاليا في سماء علوم النفس و شعابها، منيرا عتمة نفوس أبخست ظلمة الجهل و التخلف حقها في انسانية كريمة، جمع فيه الكاتب عصارة "مسيرة عُمر" من إبداع العطاء العلمي، فجاء شديد الكثافة، عميق

المعنى، غزير المحتوي، حاويا جهد نصف قرن من العمل الدؤوب في مجاهل نفوسنا. عندما تُعتّق السنين التجربة، تتكثف أبعاد الكلمة لتصبح غزيرة المعنى، متعددة الدلالات، عميقة الاغوار، ينوء بفك شفرتها متمرس اللغة والعلوم الفلسفية و النفستحليلية..، أنّى يتسنى ذلك لمن هو في دوامة الممارسة الطبنفسية، البعيد عن عالم الفلسفة وشعاب التحليلنفسي ، لذلك قد لا تراني الشخصية المناسبة لتقديم كتاب بهذا الثراء و الغني عن إبداع " المعلم".. **حسبي استهلاله بكلمات**، تكون مدخلا للقارئ العربي، أعرض من خلالها لأهميته وقيمته العلمية.

بين ايدينا كتاب خطه خير خلف عن خير سلف، هو طبيب شاب، يلج بثبات عالم الاحتصاص، له من الجرأة والشجاعة ما أهله أن تصدى لعرض " فكر عالم نفسي" ليس من اليسير جمعه ، فكيف بالغوص في طبقاته الواحدة تلوى الأخرى... نجح الى حد كبير في عرض ما خلصت اليه أبحاث و دراسات " المعلم " ليختصر الزمن وهو في بداية مسيرته فينهل من معين عصارة فكر علمي عتقته التجربة و المعرفة الممتدة. ومن خير من خلف يحفظ الارث العلمي لسلف، منه ينطلق ومعه يواصل الدرب، أملا في تجاوزه مستقبلا (لم لا...)،سنة الله في التطور. أي رضا عن النفس اكبر ان يأخذ المشعل خلف لنا ليواصل الدرب، ان كان مؤلف الكتاب خير خلف

لـــ"المعلم" فنحن تلاميذه خلف له أيضا، لن ندخر جهدا في حرث ارثه العلمي رقيا بالفكر النفسعربا سلامي.

شهدت العلوم النفسية منذ مطلع القرن العشرين تطورا كبيرا تنظيرا و ممارسة، الا أن عقودها كانت عجافا في أوطاننا العربية، استثناء قلة قليلة سعت جهدها تطوير الواقع النفسي العربي في غياب مؤسسات داعمة ومشجعة، فأنتجت وأبدعت وأثرت... لكن اشعاعهم ما كان ليتجاوز حدود اقطارهم أغلب الاحيان، مما أعاق تفاعل ابداعهم وتربة أوطان عربية أخرى.

إنه في حين كانت تصلنا بيسر مؤلفات علماء النفس الغربيين، كانت شحيحة مؤلفات علماءنا العرب، حتى خلنا ان لا علماء لدينا في حقل اختصاصنا... الى ان هب **اعصار ثورة المعلوماتية**، مبددا خيوط ما نسج وراء ظهورنا في غفلة من الزمن بتهميش كل ما هو عربي، زمن كنا مُغيبين غيبة زادها الجهل والفقر والخرافة بعدا، وبفضل ثورة المعلوماتية هبت علينا ابداعات الفكر النفسي العربي، عندها ادركنا اننا لا نعاني عقما نفسيا وان الامة حبلى بطاقات فذة وعلماء تفوق مكانتهم أحيانا من كنا نعدهم لزمن مراجع الفكر النفسي و انه لا فكر الا فكرهم ولا علم الا علمهم ولا ابداع الا ابداعهم... بعد ان رُسم بإحكام تبخيس ما هو عربي فينا واعلاء الغريب فيها،

وكان تهميش حارس الهوية (اللغة) أوّل المداخل ، ليتبعها لاحقا جهاز القيم و الثقافة...

كنا لامسنا بعضا من هذا خلال كامل العقد الأول من مسيرة **" شبكة العلوم النفسية العربية "**، التي أسسناها كمشروع يعمل على ابراز الخصائص المميزة للممارسة النفسية العربية، حيث كانت ردود الأفعال الرافضة للمشروع عنيفة من بعض بني جلدتنا المستغربين، المأزومين من اشكالية الهوية الانتماء..

كان " المعلم" ثالث ثلاثة من النفسانيين العرب الذي شاء القدر أن احضى بشرف التتلمذ على اعمالهم وأنا أخطو خطواتي الاولى في الطب النفسي منتصف الثمانينات... زمن كان الجدار الفاصل بين الاختصاص و الابداع العلمي العربي سميكا جدا... لكن هذا لم يمنع ان تصلنا احيانا بعض المؤلفات النفسية العربية... وكانت معارض الكتاب فرصتي للتعرف على اصدارات " المعلم"، أوّلها **"مذاهب علم النفس"**، تبعها بعض اصدارات **" التحليل النفسي الاناسي للذات العربية "** ، تلقفها كمن عثر على ضالة افتقدها... لاحقا بدأت تتضح لي ملامح نسيج حيكت خيوطه وراء غيبتنا الحضارية، وبدأت معها تتشكل ملامح فكرة جنينية، ظلت غائرة لأكثر من عقدين الى أن دكت ثورة المعلوماتية أبواب قلاعنا النفسية المحصنة،

التي كنا نعدها عصية عليها وعلى ادواتها...

ومع **المد المعلوماتي** انطلقت مسيرة التأسيس لمشروع "الشبكة" وفي البال **"معلم"** كان له فضل عليها دون ان يدري، أدركت من خلاله اننا امة حبلى بطاقات علمية مميزة في حقل الاختصاص... افسحت للقليل الذي وصلني من مؤلفاته المساحة التي هي جديرة بها، ممنيا النفس ان أحقق التواصل يوما معه... الى ان يسّر لي ذلك بعد عدة سنوات من انطلاقة الشبكة، الزميل الفاضل، عضو الهيئة العلمية الاستشارية: **أ. د. نعيم عطية...** فكان التواصل الذي تجاوز العلمي الى الانساني الرحب، الى صداقة راقية اعتز بها، ليصبح نِعم السند و نِعم الرفيق. و في الذكرى العاشرة لتأسيس الشبكة، كرّمه اهل الاختصاص بالفوز من الاوائل بلقب **"الراسخون في العلوم النفسية"** لم تكن سعادتي بهذا التكريم لتقل عن سعادته ، لاعتقادي انّا **نفيه والمكرمين بعضا من حقهم علينا / على شعوبنا / على أمتنا...** و هو ليس أكثر من اعتراف رمزي سعينا من خلاله رأب صدع انجراحات حفرت اخاديد على شموع تحترق لتنير عتمة ظلمتنا النفسية العربية، مبددة جهالة امة أراد خالقها أن تكون **" خير امة اخرجت للناس"، لكنها أبت ان تكون...**

أثرى "المعلم" الشخصية العربية من منظور نفستحليلفلسفي كما لم يثرها أحد، قدم للمكتبة النفسية العربية على مدى نصف قرن أعمال منارة، سعى لتخليص الشخصية العربية من عقد استحكمت فيها زمن الجهل والتخلف، فشوهتها وأفقدتها خصائصها ومميزاتها، حتى غدت باهتة الملامح، مهتزة الكيان، مجردة من مواطن قوتها، تحتمي بمجد ماض تليد علها تجد فيه بعضا من رد اعتبار لنرجسية ممرغة في الوحل.

بهذا الإصدار, الذي قدم فيه الابن، للمثقف العربي وللمهتمين بالعلوم النفسية، عصارة الابداع العلمنفسي للاب " المعلم".. لا أعتقد ان **تحمل مسؤولية هذا الإرث العلمي تقف عند حدوده بل تتجاوزه**، الى كل من أهّمتهم الصحة النفسية في اوطاننا، بالعمل على تثويره وحرثة وابراز كنوزه ودرره للحفاظ على وهج "الشعلة" التي اضاءها "المعلم" في زمن عتمة الجهل النفسي العربي منارة، علنا نساهم معه في تبديدها ونسقط بها الأقنعة ونتجاوز بها العقد، **فنفتح ابواب العقول الموصدة، ونحرر انساننا العربي من حواجز سميكة من الوهم، كبّلته واعاقت مسيرته فتخلف عن ركب حضارة انسانية اصبح فيها خارج السباق**، ذلك ان الرقي المعرفي والعلمي هو السبيل الاوحد للنهضة و اللحاق بركب حضارة عالمية نحن على الهامش فيها، في زمن عولمة شرسة لا

تبقي و لا تذر شعارها " لحاقا او انسحاقا"، إما الإلتحاق بركب الحضارة أو الانسحاق و الاضمحلال و التلاشي لمن " تنعموا " بغمس رؤوسهم في التراب.

لا أعتقد ان أمة **كرّمها الحق** بأن اصطفى منها **خير خلقه لتبليغ آخر رسالته للعالمين** جديرة بهذا المآل، كما لا أعتقد أن " **اللغة" اصطفاها عالم الغيب والشهادة بأن نزّل بها كتابه الكريم هداية للانسانية جمعاء**، تستحق ان تكون في مرتبة متخلفة في سباق اللغات الضاري او أنها قاصرة على التطور ومتابعة ما يستجد من أحداث علمية متلاحقة لا تكاد تهدأ... **"عربيا": لعلهم يعقلون.**

الشكر موصول للدكتور زكرياء، ان شرفني بكلمة الاستهلال، الله اسأل ان يزيده و "المعلم" بسطة في العلم و الجسم و يمتعهما بالصحة و العافية، وان يكون قرة عين "معلم" نذر حياته لرفعة العلوم النفسية و خدماتها رقيا بانساننا

انه .... البروفيسور علي زيعور

تقديم

1- السيرة النفسية الاجتماعية لفرد، لعقلٍ أكاديمي أو لقسم تدريسي داخل الجامعة، تكون تأرخةً جماعية شَمّالة، عامة وكونية. الحقلان يتكاملان ويتواضحان، يتغاذيان ويتناضحان، يتساكنان ويتشاركان.

2- تاريخ الفرد، الجزء أو العنصر، الحادثِ المحلّيِّ أو النفسي كما الذاتيِّ النزعة، هو أيضاً تاريخٌ عامّ وشامل؛ وللفكر والكون، للأمة واللغة والحضارة برمّتِها.

3- طريقتي في كتابة الفقرات أو المفاصل التالية، أدناه، لا تُلغي الأنا؛ وهي لا تنفُر أو على الأقل، لا تخشى من الذاتيِّ النزعةِ (= الذاتاني). فنحن، هنا، لا نغلِّب الموضوعيَّ النزعةِ، أو الخصائص والطبيعة والشكل؛ أي أننا لا نُلغي الذاتاني لحساب الموضوعاني. وليس عكس هذه المعادلة خطّاء أو زلَليّ؛ ولاهي، أصلاً، عطوبة أو فاسدة.

4- التأرخة الفردية، الرواية أو الأسكوبة (version) لعُمر شخص، نافعةٌ وأساسية؛ لكنها لا تحلُّ محلَّ التاريخ الاجتماعي الشامل للجماعة والمجتمع، للتواصلية والأُمَّتيّ، للمحلي والمسكوني، للاقتصادي والاجتماعي كما للفكري والحضاري.

المُراد هو، في كلام أدمث، أنّ المناهج، في التشخيص والتمحيص، ثم في النقد والاستيعاب وطرح التغييري، تكون قي قطبَيْن يتكاملان بتفاعل وتناقح متبادلٍ ومتلاقحٍ هما: التجريبي والعقلي الصِّرف (النظري، التنظيري، التأملي). إنهما المناهج التطبيقية أو الميدانية والعملية؛ والمناهج التي تُعمِل الفكرِ والتبصر أو التحليلَ والمقارنة كما الاستقراء والاستنباط، أو المنطق والمناهج الفرضية-

الرياضية، وريَضَنَة العلم... وعلى ذلك، فكأنّ القول بالعقل العملي والعقل النظري ما يزال سديداً؛ وليس فقط نافعاً مربِحاً؛ فذاك هو نفسه، بالتالي، القول بالفلسفة العملية والفلسفة النظرية، القول بالفعل والمعيار والخير، والقولُ بالعقل والحقيقة، وبالأجهزة أو القوانين الفكرية.

5- تكون الذكريات غير منظَّمة. وصياغتها الاحصافية ترتيبٌ وتعضية، تمَنسُق واعتمادٌ للتسلسل والمنطق والتبويب. إذا حدّث الانسانُ عن ذكرياته فليس واجباً، أو لزاماً عليه أنْ يُعدِّل متدخِّلاً كيما يقدّم لنا غير المكرَّر، والمتشابك... فتلك وظيفة قد يقوم بها المستمع، والمحلِّل الغائصُ في التعقب والتحري لكشف المطمور واللاواعي، المظلم والبور، المشوَّش والمضطرب. الخشية، في صياغة الأسرودة، تكون بخاصةٍ من التشويه والتعديل والإسقاط (را: علم نفس الشهادة).

إنْ كان في هذه الذكريات المؤرِّخة تدفقاً وتراكماتِ أنقاضٍ أو بقايا وتكويماتٍ مكدسة، فلأني لا أُنظِّم أو أضبُط مفضّلا للقارئ نفسه أن يُرتِّب، ويُسلسِل الأحداث؛ وأن لا يتوتر إنْ رأى ورود "الخَبَرية نفسها" في أكثر من مكانٍ؛ أي في أكثر من توظيفٍ واحدٍ لها، وفي أكثر من معنى؛ بل وعلى أكثر من صعيدٍ أو مستوى.

6- في أواخر السبعينيات، وفي مضمار إعداد حلقات من "موسَّعة التحليل النفسي للذات العربية..."، ظهرتْ دراساتٌ نفسية مجتمعية عديدة، وتحليلاتُ مشكلاتٍ صحية حضارية. اعتُمِدتْ مناهج كانت مخصوصةً بالمسح العام للواقع والشروط الموضوعية؛ أي للحقول والعوامل والمشكلات أو الانجراحات. ومن بعد هذا المسح الميداني، أو تجميع المعطيات، ظهر عملُ مناهج فرز الجداولِ والاحصاء، "وتفريغِ" الاستمارات... (را: الدراسة النفسية الاجتماعية بالعيّنة للذات العربية)؛ وفي خطوة ثالثة، كان يُعمل على استخراج وصوغ قوانين عامة هي شبه روابط أو صلاتٍ وخيوطٍ ناظمة (را: الشخصية الغرارية، كشاهد).

بموجب تلك المناهج درسنا موضوعاتٍ كان عنوان الأخير منها "مبحثُ قوانين الاضحاك كما النكتة وأخواتها". أما الموضوعات الافتتاحية فكانت الانتقال والتحوّل، في الستينيات الناصرية، من استعمال الحطب إلى قنينة الغـــاز، ومن الطرّاحـــة والمِسند إلى الكـــرسي و"الكنباية" والصوفـــا (= الاريكة)، ومن

الجَّرة يُنقل بها الماء من النبع إلى حنفية المنزل... وهناك أيضاً: السيارة، الطبيب، المدرسة الرسمية، البلدية، النقابة، الجريدة، الوظيفة الحكومية، الكهرباء، التلفون، البنطلون، الزيّ، المرأة الموظَّفة... وكان آخرها الدراسة الميدانية للعلاقة الإناسية بين الانسان والله، بين الناس والقدَر.

7- أما المناهج الأخرى، بعد المناهج التجريبية والتجرُّبية (= الأمبيريقية، الأمبيرية، المعتمَدة في المدرسة الأميركية في علم الاجتماع)، فكانت مناهج استكشاف اللاوعي والغوريات، المتخيَّل والاستعاري أو الميثي والايماني...؛ كما كانت معتمدةً أيضاً المناهج الفلسفيةُ والمعتمدةُ العاملة في العلوم الانسانية كالتاريخ والألسنية، الإناسة والتربويات...والأهّم، في قطاع المنهجيات هذا، كان الإصرار على الحذر من الطرائق التوفيقانية والتلفيقانية، غير التاريخية، الإسقاطية الخ.

سبيلُنا إلى تأرخة "ستين عاماً" من عُمر فردٍ أكاديميٍّ النشاط والإنتاجِ أو الشُّغل، يتكافأ مع سُبُل التأرخة الاجتماعية والعامة لمجتمعٍ أو فكر، لمؤسساتٍ ثقافية ومساحةٍ من الزمان والتطور والجغرافيا... بحسب هذه "القواعدية"، بحسب مبادئ العمل هذا أو أجهزته وقوامه و"فلسفته"، كتبنْا على شكل فقرات معظم الفصول التالية من هذا الكتاب. الفقرات النفسو- فلسفية الواردة، أدناه، تعبيرات عن تجارب ذاتية؛ لكنها أيضاً تُعدّ موضوعيةً بسبب أنّها تخصّ كل انسانٍ مرّ بمثل تلك التجارب؛ وشَعَر بتلك المشاعر أو العواطف، والميول كما الانفعالات. إلى ذلك، إنّ الفَقرات- الفِكْرات الواردة هنا مقولاتٌ هي، بالتالي، محلية وعامة، فردية وجماعية، تؤوب إلى السيرة الذاتية والى التأرخة للمجتمع والفكر... وهذا كله بمقدارها هي، إلى ذلك، اجتماعية أو فكرية، تربوية أو تنموية، توصيفية أو تغييرية...

الفقرات هذه هي، إذَن، أفكاري وسلوكاتي، آرائي ومواقفي. لم أورد سيرة حياتي على النحو المعروف؛ لكنْ لماذا لم أقصُص سيرة حياتي على الغرار المألوف المأنوس؟ لمْ أرَ أنّ هذا النوع الأدبي من فنون الكتابة نافع أو الأصلح، سديد وحقيقي... من حقي أن أختار؛ وقد اخترتُ فن السرد على شكل فقرات متناثرة، مبثوثة شريدة، غير مسيَّجةٍ داخل أقفاص النسق العام وحظائر عمارةٍ أو كلٍّ مرصوصٍ مستبّد. كما اخترتُ أيضاً الصياغة على شكل أقصوصات، واشتباكاتٍ "زُملائية" عابرة وعطوبة.

8- سوف يمر أدناه، باحتشام واحترام للذات، أنّ التحليلة أو المعاينة، بجلساتها المفتوحة، لديكارت، على سبيل الشاهد، تعقبت الغوري واللامفصوح، ونقّبت في اللاوعي والمتضمَّن... واحترمتْ الشخصيةَ الذاتية، والشخصية المعنوية، للصابر؛ لكنْ وضعتْ أمام الوعي (= وَعْيَنت) "البطلنة" أو الكملنة، الأسطرة كما اللّهوَتة التي أحفت بها وغطتها جاعلة منها بطلاً شعبياً أو صاحب سيرة شعبية... لم نهتم، طيلة عقود، بتقطيع آراء لاكان (LACAN)، كشاهد آخر، أو ببسطها وتمجيدها. فالأهمية المعطاة لذلك المحلِّل تتلخص بالاهتمام والانصباب على ما كتبه عنه المفكرون العرب، على علاقاته وأفكاره العائدة إلى الدار العربية؛ ولربما كان القول العربي، في بيروت 1973، عن صحته النفسية أو عن عصابه، والاضطرابِ أو التزعزعِ في قوام شخصيته، هو القول الواجبُ والنافع الانطلاق منه... كما كان طرحُ نظرية هندية- عربية في علاجه أمراً (= شيئاً، فكرةً) سديداً؛ وهي لم تُطرح إلا لأنّنا كنّا نعرف جيداً خصائصه وغرابة أطواره؛ أو اضطرابه المزاجي، وتقلّب شخصيته أو ثنائيتها.

9- عبر المسار "النصف قَرْنيٍّ" لتقديم شخصيةٍ ومدرسةٍ داخل الجامعة اللبنانية، داخل الفكر الاكاديمي العربي، سوف نرى، أدناه، الانتقال إلى رؤيةٍ جديدة لنفسنا داخل نفسنا، لمعنى وطبيعة الصورة عن الذات داخل الذات العربية... لكأننا، بعد نقدٍ حضاري واستيعابٍ تَخَطُّوي، انتقلنا، تراجعاً واهتداءً، إلى مفاهيم ورؤى مختلفة حول تفسير وفهم وتأويل علوم النفس والفلسفة والتاريخ، علوم اللغة والتحليل والمجتمعيات كافة.

10- سوف نرى أنّ تاريخ الفكر الأكاديمي هو، بحسب المدرسة العربية، لا يذهب، في دراسة علم الاجتماع (على سبيل الشاهد)، إلى إبداء الاعجاب والتقدير إلى دوركايْم أو ليفي- بْرول، وإنّما إلى بوغليه أو أسَّيرْتْييه... ذاك أنّ المدرسة العربية، وعبر مسارها منذ الستينيات، غيّرتْ في التعاملية المحلية- الفرنسية، أي في العلائقية بين فكرَيْن أو موقعَيْن داخل تاريخ العلم. لقد تغير خطابُ العقل، داخل المدرسة العربية، ومحاكمتهُ أو قوله في العقل الأوروبي؛ وجرى التحوّل والانزياح إلى القول بدارٍ عالمية للعقل والتاريخ والعلم والفن، والى القول بالتواصلية الأفقية التفاهمية، والى التفاعلية بين أحرار مختلفين ومتساوين داخل المسكوني والكوني، داخل العالمينية والعالمية.

11- يصنع الاستراتيجيا، ويعيد بتواظب صقلَ العقل الإستراتيجي، للأنا داخل المجال، أنوارُ ونُسغُ حقولِ علم النفس واختصاصاته ومِهَنه مجبولةً مع الفلسفة والمواكبات الفكرية لشتى العلوم الانسانية المجتمعية. وما هي الاستراتيجيا إنْ لم تكن عينها التكييفانية، التغييرانية، الصحةُ الحضارية، الاقتصاديةُ والمعرفية، للمواطن والأمّة والوطن داخل الدار العالمية؟

12- تُظهر السيرةُ الذاتية للفرد أو للعقل الجامعي، متكافئةً مع التأرخة العامة للمجتمع والسياسة، أنّه لم توجَد أمّة، داخل أوروبا الغربية، المكتظةِ بالسكان، لم تُوظِّف المعرفةَ من أجل استغلال الأمم التي كانت متخلّفة في حقول المعرفة. بالمعرفة حاربت المدرسةُ العربية، عبر سيرتها ومسارها منذ الستينيات، سلطةَ الجارح. فالمعرفة سلاح عظيم بيد الراغب في الامتداد والسيطرة، في مراكمة وزيادة الثروة، وتحقيق المنفعة، وتأمين المصالح.

لقد ظهر جلياً أنّ سلاح البشرية الأسرع والأقدر، الأنفع والأصلح، لم يكن سوى المعرفة المنتَجةِ في الجامعة، في المراكز المتخصّصة المكرَّسة، في سياسة الدولة الساعية إلى أن تكون دولة الصحة الحضارية للشعب، دولة المواطنية، دولة المؤسسات، دولة المَدنيات، وحيث المصالح الاقتصادية الأمَّتية مستقلةٌ غير مستتبَعةٍ مستلحَقة، والتمويلاتُ الاجتماعية، الاقتصاديةُ أصلاً وفصلاً، متواصلةٌ ومتوازنة، دينامية ومتلاقحة، شَمّالة أجمعية، عامّة وحرة.

* *

1- الفلتان في موضوع المصطلحات، في صوغ اللفظة المصطلحية أو صُنعِ المفردات التقنية العائدة إلى الحقول المعرفية المضطرمة، قد يتشابه أو يُقرأ على بساطٍ واحدٍ مع حالة مَرَضية هي كحال فقدان الكلام أو انحباسه (را: الأفازيا). هنا تندلع ذكرى حادثة جامعية داخل قسم الإجازة: حدَث أنّه لم يمانع أحدٌ في تخصيص ساعة داخل مقرر بعض المواد (علم النفس، الفلسفة، الألسنية) من أجل تدريس مادةٍ اسمُها "المصطلحات النفسية والفلسفية والتربوية". وكان علينا الاسراع في الأمر، ليس فقط من أجل دعم الانتقال إلى التدريس بالعربية وإشباع مشاعر وانتماءات أُمَّتية (وطنية، قومية وغير مقومِنة)؛ بل وأيضاً من أجل

تعميق الاقتناع الذاتي، وبثّ إقناع المناوئ كما الجارح، وبالتالي من أجل إبعاد الذئب اللغوي الكاسر، المستولي على التدريس الجامعي في لبنان (را: ثورة الطلاب الضعفاء بالفرنسية؛ الرحيل إلى الشهادة الثانوية في سوريا ومصر؛ تأسيس الجامعة اللبنانية وبخاصة الجامعة العربية كفرعٍ لجامعة الاسكندرية).

2- التجربة العربية في أتون المصطلحات وقعت في بعض المهاوي والانفلاتِ على الأسيجة والمغلق والتعصّب... في عبارةٍ أوضح وانضج، إنّ المبالغة في نحت كلمات تقنية بواسطة الإلصاق، أو بصهر لفظتَيْن في لفظة واحدة، قد تكون غير سديدة، منفِّرة ومكفِّرة. نُقرّ بذلك؛ والأزود هو أنّ تلك الظاهرة اللفظية التي طرحناها وعشناها موحيةٌ بأنها توجد أيضاً عند الطفل والهذائي، والآخذَ بتعلّم لغةٍ غريبة عليه؛ هنا الصابر يخلُق كلمات؛ ويطرح كلمات مشوَّهة خاصة به، غريبة (را: الإسهال اللفظي، في: زيعور، معجم الطب النفسي...) *.

3- أشكر الدكتور **جمال تركي**؛ شكراً كثيراً وجزيلاً. والى أستاذنا الدكتور **عبد الستّار إبراهيم** ألف تحيةٍ وتحية؛ وامتنانات.

المدرسة العربية في التحليل النفسي

الوعي والسلوك أو العقلُ والأدواتُ الحرَفية في الأربعينيات الماضية

1- كان في بيتنا هرة صغيرة؛ لكنهّا "شيطانة" جداً. وفي السنوات السِّت الأولى من العمرُ أو الأربعينيات الماضية، كانت أساسية فينا نسميها: بسَّة، بسَيْنة، بسبوسة، بِسْبِسْ... ومن المهّم هنا أنْ أتذكر أن أول محاولةٍ لي في علم النفس التجريبي، والدراسة الايطولوجية، كانت على قطة. وكان يأتي إلى بيتنا، وخاصة في الشتاء، كلبٌ يبقى أمام الباب حتى نرمي له لقمةً أو ما إلى ذلك. ومرات كثيرة كانت أختي الصغيرة تقول متعجّبة: جيراننا يطردونه. ويلحقه أبناؤهم بالحجارة والعنف.

* كان أبي كثير الكلام عن التركي، والسلطان. ويَلعَن الفرنسي جداً؛ والانكليزي كثيراً، بل كثيراً ومدراراً. أحضر لنا من بيروت أشياء غير موجودة، نادرة، في القرية؛ من ذلك: حمامة من جَفْصين، صحون صينية، كبايات راقية وعديدة، ساعة منبِّه... أدرجتُ تلك الأشياء في "متحف"، في مكتبة وخزانة و"بوفاية".

واشترى لنفسه 3 مكَنات حلاقة، مقصاً (ماركة زولنغن)، ومراية يد وأدوات حِرَفية متنوعة.

2- تحولت الأدوات المعتمدة في بيتنا الريفي، أي في القرية ولربما في المنطقة كلها أو المحافظة (إيالة صيدا)، إلى "المتحف الريفي" الذي تخيلتُه ورسمتهُ بنفسي.

أبدأ بأنه كان في بيتنا تفاعليةُ التراث العثماني/ العربي مع الظواهر والمتغيّرات والطرائق الاستقلالية اللبنانية... ذكرتُ مراراً الاعتماد، في

الأربعينيات ولربما فيما تلاها ولكن بحّدةٍ متناقصة، على مفرداتٍ أي أشياء تركية؛ من ذلك أسماء علَم، من نحو: نائيل، سَيْدة، ستّا؛ صدّام، سادات، زطّام، راكان، بولند، عصمت، رِفعت...

ومآكل من نحو: كشك، برغُل، بقلاوة، شيش باراك...

وأدوات منزلية، من ذلك: خِرسْتانة، كبَكه.

والارض كانت توزَّع؛ فيقال: هذه بكليك، وتلك جفتليك.

وعدة عُلَبٍ من القُطَع الصغيرة من النقود: متليك، باره، قرش عُصْمَلِّية.

3- لا أعرف ما ذا جرى وحصل لمتحف الأغراض المعهودة التي تركها أبي. وهو في اقترابه من الربع الأخير للقرن الماضي، وعلى ظهره أطنان من الأعوام، كان يحتفظ في القسم الأعلى المقزَّز من "البوفاية" بصحون ثمينة (الصحن الصيني)، وفناجين شاي يسمى الواحد منها استكانة (؟)، وكوري شاي كبير من النوع الثمين، وصينية، وملاعق... كان ذلك مثيراً، وجاذباً نسبةً للأدوات الفخارية الشائعة.

وفي القسم الأسفل من "البوفاية" كان يضع مطحنة بنّ، وكيساً فيه رزّ، وسكّر بأشكال مختلفة، ومسدساً سطا عليه محمود خليل موسى، وأدوات النِّجارة (الفارة أو المِسَحج، والقدّوم، وعُلب مسامير من مختلف الأحجام، وبضعة أشياء ضرورية للسمكري (لِحام التَّنَك أو البراميل)، وعدّة عُلب دهانٍ (بويا) للأبواب... وأدوات صُنع النّير والعود للفلاحة.

كان عندنا في "المتحف" فأس كبيرة، ومعاول جديدة، ومِهَدّة، وجاروش، ورفش بقي جديداً كامل النظافة، وسندان ومستلزماته، وجُرنٌ لِدقّ اللحمة، وكان عندنا علب مملوءة بالخرز (را: العقلية واللوازم الحِرفية؛ أيضاً: الحِرف والحضارة والإنسان فيما قبل الاستقلال).

4- منذ السنة الثانية، من المرحلة التكميلية (المتوسطة)، اكتشف أبي أنّ لي في البيت كتباً قال إنها كثيرة ومربِكة. وأضافت أميّ مرةً تلو المرة أنّ الكتب تباع، أو تعطى للأقارب؛ فالكتاب الذي انتهينا منه في المدرسة كتاب يملأ البيت غبرة، ولا يُباع بقردٍ ولا بسعدان... وأكّدتْ مراراً أنّ في "بيت الشيخ" كتبا كثيرة ومخطوطات في صندوق الحاجّة منيرة يحرقونها لاشعال النار "حين الخَبز على الصاج". لقد تجمعت في "الخرِسْتانة" كتبٌ لأخي، وأخرى لأختي "أم ساطع"؛ ثم للصغرى.

وبدا لي أنّي مسرور، متميّز عن الرفاق، في ذلك الشأن. ورفضتُ مرارا، ومقاوِماً فكرة إحراقها، أو إهدائها... وكنّا ندفن في التراب أوراقاً ممزقة، أو بالية، تعود إلى جزء "عمّ يتساءلون"، "وتبارك".

5- المكتبة في عُمْر ما قبل الجامعة، لم تكن مألوفة في بيت، أو عند تلميذٍ في أول الخمسينيات. في آخر الدراسة الثانوية، قبل دخول الجامعة بشهر، "بثلاثين يوماً ونيّف"، تفاجأتُ أمام كومة الكتب التي غدت تحت إمرتي، بين يديّ، ورهن أمري... والكومة كبرت حتى صار ممكناً وصفها بأنها رُجْمة، وبأنها عَرَمة.

كانت رؤية الكومة، وتسمياتها الأخرى، تثير البهجة؛ وتولّد اعتزازاً يشبه الافتخار، ويوحي بالانتصار والامتلاء.

6- وضع علي زيعور في عامه الثامن عشر مقالاً كان بموضوع ضرورة إدخال الحركات والصائتات في الكتابة العربية، ثم آخر أغرق في مديح اللغة العربية الفصحى والخوف من اللهجة العامية. وفي العام نفسه رسم صورة "مُشلبَنة" للكوفية والعقال كقطعةٍ واحدةٍ أنيقة سهلةِ الارتداء والخلع، وللدشداشة والقفطان والعباءة. وكان في الوقت عينه يرسم بالريشة والألوان لوحاتٍ انطباعية تُصوّر مناظر الطبيعة الريفية كالجبل، والتلال، وضفاف النهر، والاشجار، وصخور النهر وغدرانه، والجلالي والوعر والقاطع. ومن الاهتمامات الفنية المبكرة كان اهتمامه بالتلحين لمقطوعاتٍ شعبية كان يكتبها بنفسه. ثم كانت الجامعة الأجنبية عاملاً وفر له شروطاً للانفتاح على الفن في العالم. وكتب علي زيعور قبيل دخول الجامعة، ثم أثناء الدراسة في الجامعة، بعض قصص قصيرة تروي الحبّ، والحبّ عند المراهِقين والمتزوجين والمُسنين (را: موقع زيعور، على الشبكة العالمية).

7- مجموعة الرسوم واللوحات والزّوقات الشعبية خُصِّص لها بضعة رفوفٍ داخل خزانة كُتب. على الطريق إلى استكشاف اللاوعي الثقافي العربي، أو ذهاباً إلى فهم الأنماط الارخية، وعلم الانسان (الاناسة، الأنثروبولوجيا) بعامة، كان جمّ النفع ولا مناصيّا تقميش ما يمكن جمعه من لوحات وزوقات (صُور) معروضة في الأسواق الشعبية، أو معلّقة عل جدرانٍ في الأوساط الريفية كما

التقليدية. هنا، قد يُعدُ التحليل النفسي الإناسي الألسني للبراق – مصوَّراً متخيَّلاً في لوحة شعبية– شاهداً أو عينةً تُمثِّل دراسةَ "موسعةَ التحليل النفسي" للفنون الشعبية ونصراً أو توكيداً للقول بمدرسة عربية في الجماليات، في القيميات والفنيات بعامة.

* حلّلت الاريكةُ العربية، إلى جانب الاستكشاف والاستقصاء للفنون الشعبية، موضوعاتٍ أخرى أساسيةً في الخزّان العامّ أو المستودع الشعبي: الأمثال، حكايا الجنّ، التعبيرات وأدوات الزينة الشعبية المأثورة، اللغة المتداولة (المألوفة، المعيوشة، اليومية)، الخرافات والخيلات.

8- المتحف الشعبي في قرية عرب صاليم هو عينه البيت الريفي قبل اجتياحه بالكهرباء والاثاث المَديني والمواصلات الحديثة. هنا يشدد علي زيعور مراراً، وفي مناسبات مختلفة وخلال دراسته الميدانية، على هوايته تلك؛ أي على الاهتمام بالبيت التراثي، وحفظ أدواته وتجهيزه الداخلي، وباللوحات الفنية الشعبية، ولوازم الحِرَف التقليدية (= العربية – العثمانية).

كان ذلك ضرورياً من أجل دراسته لتأثير الكهرباء و"الكنباية"، أو "قنينة الغاز" والكرسي، أو البراد والحَنفية، أو السرير (التخت) والزيّ العالمي؛ ولاسيما من اجل التحليل النفسي الانثروبيولوجي للعادات والاحتفالات، وقطاعات اللاوعي الثقافي العربي ورزائحة الطّباقية أو المترازِحة.

* نُقِّحتْ وفُصِّلتْ الدعوة إلى إقامة تلك الحافظة / الذاكرة الجماعية (الشعبية، التراثية، التقليدية...) في الجزء السابع من موسّعة التحليل النفسي للذات العربية: صياغات شعبية حول المعرفة والخصوبة والقدَر. ذاك بحثٌ استخرج الأنماط الأرخية؛ ودرس الحكاية، والخرافة، وتفسير الأحلام الشعبية والاستعارة، والرموز والمتخيّل العام، والظواهر التديّنية أي الممارَسَ والمعيوش، بل المطبَّق والمألوف المأنوس.

9- الرواية الملحَّة لكفاح قرية عربية في القرن العشرين فكرةٌ تنبَّه ونبّه المعلّم زيعور إلى واجب أن تُنفَّذ؛ أي إلى أن توصَف وتُسجَّل الحافظة/ الذاكرةُ الشعبية، في قطاعات الغناء والفنون الغنائية، على شكل ملحمةٍ شعرية شعبية تروي مراحل كفاح قرية أو منطقة روايةً تكون بالألحان الشعبية المعروفة:

عتابا، أبو الزّلف، دلعونة، المخمَّس المردود، الزّجل، الحداء، الرّويدة، الجعيدية، الميجانا، المُعنّى، القصيد، الحورَبة. بعبارة أخرى، هنا كانت نظريتي في ان تُعرَف على شكل لحن شعبي متنوع، رحلةُ القرية من المضارب التقليدية إلى خليج الأموال المتدفقة كتدفق النفط والغاز.

10- المعلم علي زيعور، في نهاية القرن العشرين، رجع إلى اهتماماته القديمة، شبه المهجورة، والتي منها: علم النفس الفلسفي؛ والفلسفة النفسانية، والنفساني في نطاق الفلسفة الأثلوثية، والجذعية المشتركة؛ أي الفلسفة اليونانية العربية اللاتينية، أو الفلسفة الوثنية الإسلامية المسيحية التي أطلق عليها أيضاً، في بحوثه بالفرنسية، اسم الفلسفة الاسلامية الموسَّعة، المستمرة- بفعاليةٍ مطمورة وغير مفصوحة- حتى كَنْط المؤسس الفعلي للحداثة في "الفلسفة الأوروبية".

11- من المتّفق عليه أنّ علي زيعور هو مُدخِّل النفسانيات، وبخاصة التحليلِ النفسي ثم الصحةِ العقلية كما الحضارية، بل والعلاج النفسي. وذاك المُدخِّل هو البادىء في تأليف المَراجع لأرصدة النفسانيات داخل الجامعة اللبنانية.

فهو مترجم أول كتاب نفساني، ووضع أول كتاب بالعربية في المدارس النفسية. وهو، أصلاً، أول من ألقى وواصل ذلك لعدة سنوات، أحاديث في دار الاذاعة اللبنانية عن التحليل النفسي، والأحلام، واللاوعي؛ وعن الصحة النفسية للأطفال والجنوح كما الانجراحات داخل العائلة، وفي المجتمع، وعند المراهق، وفي الوعي العام والثقافة والتواصلية؛ بل وفي كتب التدريس الابتدائية.

12- أمامي بعض الدعوات من "دائرة البرامج الثقافية"، في إذاعة لبنان، تحدد لي مواعيد إلقاء أحاديث. فمن ذلك: الأربعاء، في 1964/9/9، الساعة السادسة وخمس دقائق، لاذاعة حديث بعنوان سيكولوجية الحب. و1964/10/8 لِحديث سيكولوجية البخل؛ ثم سيكولوجية الخوف... وفي 1965/11/3، كشاهد، حديثٌ بعنوان التحليل النفسي، والأحلام... ومن الاحاديث الاذاعية الأخرى، الاحزان والاكتئاب، الصحة النفسية للأطفال الصغار (الغيرة، التخريب، السرقة، قضم الأظافر، الكذب، الخجل، العناد، الكسل؛ وللجانحين).

13- أضمومة أولى: فيما يلي ثَبْتٌ غير كامل، وغير مرتَّب بحسب التسلسل الزمني، لمقالات يكشف مجَّردُ المراجعة لعناوينها عن اهتمام كبير بعلم النفس

العام، والتحليل النفسي، وعلم النفس العيادي؛ وبالصحة النفسية والعلاج النفسي إنْ بواسطة وضمن المعهود المعيوش والتراثي، أَمْ بواسطة وضمن الفكر والحكمة عند الهندي، وبخاصة في "الدار العالمية" (الفكر العالمي، الفكر الأوروبي والأميركي):

- الاخلاق في البوذية، ت1، الآداب، 1960، صص 58 – 60.
- تاريخ فلسفة التاريخ، ك1، 1961، الاداب، صص 43- 45.
- خوسيه دي كاسترو، المعارف، ك2- شباط، 1963، صص 70-72.
- الفلسفة في القصة والشعر، المعارف، ت2- ك1، 1962، صص 4- 6.
- كتاب في الفلسفة والحضارة، المعارف، حزيران تموز، 1963، صص 85- 87.
- سيكولوجية النقد والناقد، الآداب، ك2، 1961، ص 80.
- كتاب الانس "والاوبَّرات" لشيخاني وكتاب الفكر والأدب في لبنان، العلوم، أيلول، 1964، صص55 – 59.
- سيكولوجية المعجزة اليونانية، العلوم، نيسان، 1962، صص 44 – 45.
- آدلر وعلم النفس، رسالة التربية، شباط، 1961، صص 58 – 59.
- التخطيط واشتراكية هـ.د. كول، العلوم، حزيران، 1964، صص 55 – 58.
- برتراند راسل، المعارف، شباط، 1962، صص 33 – 34.
- جين آيير، الآداب، أيلول، 1963، صص 30 – 31.
- الانسان والحضارة، العلوم، نيسان، 1962، صص 62 – 65.
- مترجمات روائع عالمية – سمير شيخاني، الآداب، أيار، 1964، صص 55 – 56.
- فلسفة بوذا الاجتماعية، مجلة العلوم، آب، 1965، صص 72 – 75.

14- أُضمومة ثانية: فيما يلي ثبتٌ لمقالاتٍ في علم النفس، ونقدٍ نفسي لموضوعاتٍ فلسفية، وحضارية:

المطبوعة	الموضوع	التاريخ	بقلم
اذاعة لبنان	سيكولوجيا اللاوعي	ك2 - 1973	
العرفان	خصائص علم النفس الحديث	ك2 - 1973	
ملحق النهار	**جذور النفاق في الفكر العربي أو اللغة العربية**	14ك 2- 1973	
طبيبك	الامراض النفسية الوسواس	شباط	
إذاعة لبنان	سيكولوجيا التقليد	شباط	
النهار	تقييم كتاب اطروحة الاب نويا	1973/2/9	سليمان زيعور
العرفان	عالم نفساني: زوندي	شباط	
إذاعة لبنان	سيكولوجيا الكذب	آذار 1973	
النهار	مستشرق الماني: ريتّر (Ritter)	8 آذار 1973	سليمان زيعور
العرفان	تفسير الصادق/مستل من السُلَمي	القسم الاول	سليمان زيعور
الحياة	في العقل العربي الحديث	24 آذار1973	سليمان زيعور
النهار	اطروحتا الاب غيث في الفلسفة	ا نيسان	سليمان زيعور
النهار	خدمات الفارسية لدارس الفلسفة العربية	3 نيسان	سليمان زيعور
المحرر	العقل العربي من خلال الشعر	5 نيسان	سليمان زيعور
طبيبك	أحلام اليقظة	نيسان	
الفكر الاسلامي	سوفسطيقا، مخطوط لا بن سينا	نيسان	
العرفان	تفسير الصادق/ القسم الثاني	نيسان	سليمان زيعور
الحياة	في علم نفس الحيوان	9 نيسان	
النهار	التلفزيون وغريزة القطيع	1أيار 1973	
النهار	الإعلام وتسلطه على الانا التحتية واللاوعي	3 أيار 1973	
الاذاعة	سيكولوجيا الغيرة	شهر أيار	
العرفان	تفسير الصادق /3	شهر أيار	
طبيبك	أحلام اليقظة مرض نفسي أو عقدة	شهر حزيران	

اذاعة لبنان	سيكولوجيا اللعب	شهر حزيران	
النهار	**الفلسفة العربية خواطر حول التسمية**	28 حزيران	
النهار	**تقييم اطروحة منير شعون في علم النفس**	4 تموز	
طبيبك	الغيرة عقدة نفسية ومرض نفسي	شهر تموز	
النهار	حول فلسفة جان شارون	10 تموز 1973	
النهار	تقييم أطروحة مصطفى حجازي	23 تموز 1973	
العلوم	الفلسفة والتحليل النفسي في المقامات	حزيران وتموز	
إذاعة لبنان	مقدمات عامة في علم النفس	تموز1973	
الفكر الاسلامي	الفكر وفلسفة اللغة	أيلول 1973	
إذاعة لبنان	الاستبطان	1 ايلول 1973	
طبيبك	الطب النفسي البدني	تشرين1/ 1973	
إذاعة لبنان	طرائق معرفة الانسان لنفسه	تشرين1/ 1973	
إذاعة لبنان	التحليل النفسي للنسيان	تشرين2/ 1973	
إذاعة لبنان	الميول النفسية عند الاطفال	ك1/ 1973*	

تجربةُ المراهَقة وتمرُّدِ الشباب تحولٌ وتغييرٌ في الحضارة

I

1- علي زيعور بدأ بالكتابة، كطالب ثانوي، منذ أواخر الخمسينيات؛ ونشر كطالبٍ جامعي مقتطفات من تحليله النفسي لمشاعر النقص والازمات النفسية عند بعض الفلاسفة والأدباء كما الفنانين والمتفوّقين. وهنا كانت تحليلاته لشخصية ديكارتْ (عُصابي، شبه فُصامي)، وأحلامه؛ ولشخصيات من نحو: كانْطْ، أوغُسْت كونْتْ، نيتشيه، برغسون، رَسِّلْ، آدلير، فرويد. وشخّص زيعور أزماتٍ نفسيةً، وأمراضاً عُصابية، بل وذهنية، عند بعض الصوفيين والفلاسفة: ابن سينا، الغزالي، ابن رشد، ابن خلدون، ابن تيمية... هذا، مع تشديد على أن تلك

التشخيصات أو الكشوف النفسية قد لا تُقلل من نبوغ الشخصية، أي لا تجرح الفكر أو تُبَخِّسه. فهي قد توضحه، كما تُحفّز على التدقيق، وعلى إنارة نقاطٍ حتى إنْ بدت خفيفةً هامشية فإنها تبقى جديدة وكاشفة للشخصية العبقرية.

2- أدخل، بفعل نشاطه في أقسام الدكتوراه، داخل الجامعتَيْنْ اللبنانية والفرنسية (اليسوعية، جامعة القديس يوسف)، شخصيات كانت تُستبعَد من المقرَّر الدراسي والبحوث الجامعية العليا؛ فمن الأعلام الذين شدّد على استعادتهم: طاش كُبري زاده كممثلٍ للجناح العربي- العثماني في الفلسفة والنفسانيات والفكر؛ الدواني، والطوسي، وصدر الدين كممثلين للجناح العربي- الفارسي؛ والتّهانوي الذي يعد بمثابة خزعة تُلخص الجناح الهندي وحتى الهندوسي الاسلامي. ويرسم زيعور الميدان والأعلام والموضوعات للجناح الاسلامي اللاتيني المسيحي الذي امتد، بحسب رأيه، حتى كانْطْ مؤسس فلسفة الحداثة الأوروبية التي قطعت تماما مع الفلسفة اللاتينية الاسلامية اليونانية؛ بل وحتى فونْتْ صانع استقلال علم النفس عن الفلسفة.

3- داخل الجامعة اللبنانية، يأتي مشروع "إعادة إدراك العلوم الانسانية، في الذات العربية"، بمثابة أول قولٍ، منذ السبعينيات، في جدوائية ونفعية العمل الفكري المخطَّط والجماعي، المتكامل والفريقي، المتواصل والمتناقح، العملي والنظري... وهكذا، فعلى غرار إعادة الضبط والتدقيق في علم الاخلاق، كشاهد، أعاد زيعور التّعضيةَ والبَنيَنَة للعقل العملي العربي: للتربية، وللاقتصاديات والسياسيات وعلم التدبير، والعرفان والحكمة العملية بعامة... وهنا استنتج وأطلق وانتقد مقولاتٍ هي: المدرسة العربية المستقلة في التربية؛ وكذلك في: الاقتصاد، عِلم التاريخ، علم التأويل، علم السياسة، علم الجمال، علم المعرفة، علم الاجتماع، الألسنية، علم التصوف.

4- قسّم زيعور تاريخ النفسانيات والفلسفة والفكر معاً، في التراثيات العربية الاسلامية، إلى: مرحلة تأسيسية، أو تدشْينية و"ذهبية" مديدة؛ ثم المرحلة العربية العثمانية، أو مرحلة التنرجس والاستهلاك الذاتي؛ مرحلة الاجتهاد الحضاري، أو الاجتهاد الموسَّع، والتجربة الجديدة مع الفلسفة والدار العالمية للفكر والقوةِ

والانسان. امتدت هذه التجربة من أواخر القرن السابع عشر حتى حوالي الأربعينيات من القرن الماضي. وهنا تجربة نهضوية، ثم تجربة في نقد تلك النهضة. وهنا تجربةٌ يصفها زيعور بأنها تنوير، وحداثة. غير أنّ هذا التنوير، وتلك الحداثة، كانا، في نظره، اقل مستوى أو عمقاً واتساعاً من تأثيرهما وطبيعتهما في بعض أمم الغرب... ويقول زيعور بمرحلة راهنة أو تجربة راهنة مع الفلسفة والعلم بدأت في آخر الستينيات؛ وهنا تجربة جديدة، إسهامية، شديدةُ والنقد الاستيعابي لِما اسماه "الحداثة العربية"، والتنوير العربي الراهن.

5- ولقد أظهرت هذه الحَقْبَنة، أو أوصلت إلى استنتاجٍ مفاده استقلالية واسهامية مدرسة عربية راهنة في الفلسفة عديدةِ التيارات والحقول والرزيحات طبقاً فوق طبق.

6- يحقّ لنا أخذ الفلسفة، وضمنها كانت النفسانيات، في أوروبا الوسيطية بمثابة إعادة صياغة، كشكلٍ جديد، للفلسفة اليونانية الاسلامية. وهذا الخطاب الناجم الجديد، اليوناني الوثني الاسلامي المسيحي، والذي سيستمر حتى مجيء كانْطْ، هو الذي يبقى المؤسس والشرط والسياق للمعضلات والنظريات الفلسفية المعاصرة؛ أي: الوجودانية، فلسفة الكائن، الظاهراتية، فلسفة الدين، التأويلانية، التطورانية، فلسفة العلم...

7- قد يمكن الكلام عن نظرية فلسفية نفسيةٍ وتحليل نفسية عند علي زيعور تُستخلص من تحليلاته النقدية المقارنة لما أسماه المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة وعلوم النفس. ففي قطاع الفلسفة الراهن، داخل الذات العربية، يأخذ زيعور بالتأسس والتحرك منطلقا من المكرس في الشخصية المستقلة المتميزة للفلسفة- والنفسانيات ضمناً- العربيةِ الاسلامية الذهبية أو التأسيسية والأساسية، أو الأرومية. هنا، يعيد إلى الحقل الفلسفي العربي الراهن مفاهيم وطرائق معروفة جيداً في تلك الشخصية، وفي الدار المشتركة العالمية للفلسفة، من نحو: منفعة النفسانيات ومكانتها البارزة وأهميتها التي لم تضعف أو تجف قط في الفكر والتاريخ والعالم. وبيّن زيعور جيداً الفرق بين حقول علم النفس والفلسفة والعلم الطبيعي وعلاقتها بالعلوم أو الحقولِ الانسانية، وارتباطها بمشكلات المجتمع

وطموحاتِ الحضارة، ومستوى العلوم الطبيعية المنتَجة. ومن جهة أخرى، فهو قد بَيّن محلِّلاً معللاً ومقارِناً منتقِداً، مذاهب علم النفس،

ثم طرائقها، عند العرب وفي الغرب والهند إبان القرن العشرين. في ذلك كله، درس وانتقد، أنتج وقارن.

8- من أبرز حقول المدرسة العربية الراهنة يُذكَر: قطاعات النفسانيات، المعرفيات وفلسفة العِلم؛ أي: الأبيستيمولوجيا، القيميات، فلسفات الأخلاق والجمال، والدين والقيمة. وعلى الرغم من تفضيلاته، وعلى غرار التيار الأوسع والأعمق في الفلسفة العربية المعاصرة، تيارِ فلسفة العِلم والمنهجيات والفيزياء، فإنّ علي زيعور شديد الاهتمام، أيضاً وبالدرجة عينها، بفلسفة اللغة والمنطق راهناً ثم في عصر ما بعد الحداثة، وفلسفات التحليل، وفلسفة العقل العملي والفضيلة والمجتمعِ والسياسة.

9- يقول محمد عبد الرحمن مَرحَبا إنّ صديقه علي زيعور هو مؤسس مشروع الفلسفة في العالم والتاريخ وللمستقبل، وأول من قال باستقلالية وإسهاميةِ الوجودِ الخاصِّ والمميَّز لمدرسةٍ عربيةٍ جديدةٍ في التحليل النفسي ثم في علم النفس؛ وفي الفلسفة وعلوم الانسان أو المجتمع. ويتابع مرحبا قوله: إنّ في تلك المدرسة مناهج مقارنة؛ وعمليةُ استيعابٍ وتجاوزٍ لشتى المذاهب النفسية والفلسفية التي شهدها الفكر العربي منذ أواخر الاربعينيات. والآن، فتلك المدرسة باتت نظريةً لها مردودها وأعلامها، أصولها وغاياتها المخصوصة بها، بل والكونية أيضاً.

10- قد يُعدّ علي زيعور أحد أبرز المحلِّلين النفسيين الناقدين، تبعاً للتفسير بالتجارب النوعَوية أو البداياتِ المطمورة الهاجعة، شتىّ المعتقدات والسلوكات على صعيد الفرد والجماعة، أو المحلِّلين للأنا والنحنُ، وللوعي والفكر كما للممارسات والمعيوشات. ثم انّه يضيف إلى ذلك العامل، الذي يعاد إلى الطفولة أو الخبرات وذكريات الحوادث الأقدم، عوامل أنتروبولوجية تتفاعل معه بجدلية وتبادلية متأثرة ثم مؤثرة في وسط حقلٍ هو الانغراسُ في شروطٍ موضوعية وفي العقل والفكر وميزات الانسان ورغباته وطموحاته. وهذه النظرية التفسيرية

تَنقل بتلازمٍ وحتمية إلى نظرية في التغيير العلاجي؛ أي في طرح الحلول والمخارج، وإعادة التدقيق ومن ثم إعادة الاستيعاب والتأهيل للشخصية، وللأفكار في حقلها وعلائقيتها، كما في عقلها وسلوكاتها، دينامياتها وتكيّفها الخلاّق والشامل.

11- وضع زيعور في منتصف السبعينيات برنامج التدريس في قسم الفلسفة. وقد أدخلوا عليه مقرَّراتٍ، وحذفوا أرصدة قليلة... وهنا أعاد اللحمة، في الجامعة اللبنانية، بين الأب المقتول والابن القاتل، بين الفلسفة وعلم النفس والمجتمع.

12- هو شخص نادر المشاركةِ بالندوات والمؤتمرات... غير أنه أشاد بأنه، في السنة 2000، وبدعوة من حسن حنفي، شارك في مناقشة أطروحة دكتوراه في جامعة القاهرة، وحضر اجتماعات تعارفٍ مع أساتذة قسم الفلسفة، وحضر اجتماعاً للجمعية الفلسفية المصرية حيث ألقى متابعةً لمحاضرة في فلسفة العلم عند كواين، وبيّن منفعةَ ولابُدّيّة التفاعل مع الفكر الهندي، والكوني.

13- "هدايا إلى الجامعات العربية" مشروع حمل اسماً آخر هو"مؤسَّسة المعلم علي زيعور للفلسفة والنفسانيات والتحليل النفسي"، أو "مؤسسة محمد مرحبا ورضوان حسن وعلي زيعور". فعلى ظهر غلاف كتاب م.ع.ر. مَرحبا " تاريخ الفلسفة اليونانية- من بداياتها حتى المرحلة الهلينية" (بيروت، مؤسسة عز الدين، 1993)، ظهرت كلمة اختصرها أحدهم، فصارت كما يلي:

"هذا المشروع الفلسفي النفساني، والتحليل النفسي بخاصة، هو هدية الجامعة اللبنانية للجامعات العربية. ومقدَّمٌ للباحثين في الفلسفة، وللمهتمين بتاريخها وخريطتها، بوظيفتها وموقعها، بخطابها الشَّمّال في الأيسيات والمعرفيات، في العلائقية والمعايير والجماليات. يتناول مشروعنا التجارب الكبرى للفلسفة في العالم، وفي التاريخ؛ ويقدِّم نفسه تجربةً مرادها التحرك في فضاء مدرسةٍ في الفلسفة تتغاذى مع العلم المعاصر، وتزرع المفاهيم والعقلانية في الكينوني والعلائقي والقيمي، في المستقبليات والنظرانية والاستراتيجيا، في الفعل والقول والتفسير".

وأيضاً، يَضَع أمامَ الوعي، يُوَعْيِن، مشروعنا اعتبار الفلسفة أداة، أو إمكاناً، ومجالاً. ونعتبر الفلسفة قطاعاً فكرياً راسخاً، مؤثّراً في الحضارة العربية؛ وهو إقلاقيّ. إنّه قراءة تَدَبُّرية للمعنى والنّصّ، للحقيقة والقيمة؛ وغير محصورٍ في تعريفٍ ضيِّقٍ أحادي بسبب أنه تعدّدي، وحواري، ومنفتح أو ضرامي يبقى مرتبطاً بالآخر ضمن النَّحناوية وأمام الأنتُم.

14- لا تأخذ المدرسة العربية الراهنة التأرخةَ للفلسفة الغربية (= الاوروبية، الرابوعية القمم) كشيء فائق النفع. فما ذاك سوى قطاع فيه من الاستعبار والاستنفاع ما في التاريخ العام الفكري والاجتماعي: نجد في الميدانين أو الخيمتَيْن المفيد وغير المفيد، الضروري وغير الضروري، الأخلاقي والقاتل للأخلاق...نأخذ ما نريد، ونجد ما نبحث عنه إنِ السلبي أمْ الايجابي، والطالحِ كما الصالح، والفاسد كما غير الفاسد.

II

1- تخصص المحلِّل زيعور في دراسة وتدريس القطاع النفسي داخل الفلسفة؛ وانصبَّ على الفلسفات النفسية، ومذاهب علم النفس والعلاج النفسي بواسطة الفلسفة. وكان ذلك كله إلى جانب ممارساته المتقطعة للعمل كمساعد ومستشار في حقول الصحة النفسية والتحليل النفسي. هنا كان زيعور أول محلِّلٍ قال بمدرسة عربية مستقلة، مكرسةٍ واسهامية في علوم النفس وفي علم الاجتماع، والإناسة كما في الفلسفة والفكر والمستقبليات والعولمة؛ بل وما بعد كل ذلك أيضاً؛ أي: ما بعد الفلسفة القائمة حاضراً، وما بعد هذه الحقائق أو الحضارة الجارية، وما بعد هذا الانسانِ أو هذه العلوم المجنونة المستدامةِ والراهنة معاً.

2- أعمال المعلِّم زيعور في ميدان النفسانيات العربية الاسلامية، ثم فيما أسماه المدرسة العربية الراهنة في النفسانيات، قد تميّزت بتنظيم الموضوعات والحدود، والشخصيات والتوزيع إلى مراحل وأبعاد وأجنحة.

هنا كشفَ موضوعاتٍ نفسانيةً جديدة، وأدخلها في اللبنة العامة للنفسانيات والفلسفة العربية الاسلامية؛ من ذلك: العقل، النظريات في المعرفة، علم النفس

والفلسفة، التصوف والعرفان، الابداع، المخّيلة، الحدس، الكلام، علم أحوال النفس ومقاماتها، النظريات في الطرائق وفلسفة العِلم، علم النفس عند الفلاسفة المسلمين، التربويات، النّبويات، التأويل والتفسير والنقد، تطور الصحة النفسية في المعيوش والتاريخ.

3- منذ بداية السلّم، تعقّبَ عند **الشباب** ارهاصات التمرد على رجال السلطة الدينية أو الناطقين باسمها، أو الحافّين بها... ذاك انه سرعان ما كان يتضح أن في أعماق مجتمعاتنا الريفية أو الشعبية، تكمن غزارة من اللاعقلانية وقطاعٌ سميك من اللاعلمي والانفعالي، من اللاعقلي والانصياعي، من الراكن والمنقفل والغرائزي، من المنمَّط والقسريِّ التكراري، من الاسطوري والأزعومي، من الفقهنة واللهوتة. وبَدَت أو كانت تبدو **العلاقات العائلية**، وعلاقة الشباب بالمتنفّذين والمحظوظين، ولا سيما بذوي السلطة أو الرؤساء اللاهوتيّين، غير مرتكزة على العقلي والدقيق، على الديموقراطي والحرية. فكأنّ أنماط السلوك والتفكير تُذكِّر بعالم ما قبل العقل، وتعادي العلمي وحتى الحسَّ السليم المشترك، والنظر البعيد، والترابط السببي للوقائع. هنا نتأيد بقول الدارس، المحلِّل زيعور: "كانت مطالعاتي في المرحلة الثانوية تدفع بي دفعاً إلى التمرد على تلك الأساليب في التفكير وفي السلوك، والى الأحكام القاسية على حال **المجتمع والجماعة** مقارنة لذلك الواقع "المتخلِّف" المتخم بالسحر والاسطوري بما كنا نقرأه عن المجتمعات المنظَّمة، أو حتى بما كنا نتمناه لمجتمعنا ومستقبلنا أو جماعتنا وبلادنا. وكان يؤلم الملتزم، ذلك المهتمَّ بالشباب والعائلة، ببيئته وحقله الاجتماعي الاقتصادي أو المشغول بتطويرهما نفسياً واجتماعياً ومستويات حضاريةً، انجراحَ الانسان والعائلةِ والمجتمع، السياسي أو السلطةِ والرئيس الديني...". لم يكن الشاب المستيقِظ يرى رجل الدين في القرية، وفي الوسط الشعبي عموماً، يسلك دائماً الصراط السويّ أو الطريق المستقيم. فقد كان يظهر المتزعِّم الديني- السياسي كمن يلاحق الكسب بوسائل غير دقيقة وكان يحيا ويرتبط المتديّن بعلاقات النفع المتبادل مع الغني حيناً، ومع المحظوظ والسياسي حيناً آخر؛ وغالبا ما يلاحَظ أن بعضهم كان يخضع لما هو عصبية وعشيرة وقبيلة أكثر مما كان يخضع لسنة الله ورسوله، أو لشرائع دينية، أو أعرافٍ سلوكية، أو قوانين مدَنية وحقوقٍ وضعية.

4- تغيّرت مستويات المعيشة على نحو هو الأكثر وضوحاً ودقةً مع دخول الكهرباء، في أوائل الستينات، إلى القرية. والمتغيّرات في الدولة تفعّلتْ وتفاعلتْ في حقول الاقتصاد والثقافة والنظم التعليمية، وفي المدَنيات وحقوق الفرد، وبخاصة في البيئة والمجتمع، وفي العلاقات القرابوية، وفي العصبية "القبلية" (بين عائلتَيْن كبيرتَيْن متنافستين). كيف وبأي مناهج أمبيريقية جرت الدراسة النفسية الاجتماعية للريف ممثَّلا في قرية، وقريةٍ للمقارنة، وضمن قرى متجاورة مجَمَّعة؟

III

1- انطلقنا من أنه ينبغي أن لا تكون الدراسةُ المونوغرافية[1] عن بلدة، أو مدينةٍ دون الثلاثين ألفَ نسمة، كلاماً نظرياً أو بحثاً أكاديمياً معقداً يجمِّع معلومات ويصنِّفها؛ ثم يحلِّلها ويقارنها. ولا ينبغي أيضاً أن تكون مناهجنا تأملية وتنظيراً عن بُعد، ومن خارج الميدان المعرفي؛ فقد تجاوز العلم المنهجَ الذي يُطبق أيديولوجيا، أو أفكاراً مسبقة، ومعارف قاصرة يختلط فيها الذاتي والجاهز، المرغوب والمجتمعي، التلفيقي والاسقاطي، التوفيقي واللاتاريخي[2].

2- تبدأ الدراسة الاجتماعية الثقافية للبلدة، ثم دراسة الهذا (= الهاذا) في الجماعة والمجتمع والعائلة، بالوصف العام؛ أي حيث التشخيص المحايد أو الموضوعي للظواهر يكون كما تبدو للباحث الذي ينجح هنا كلما عايَش، وعَرفَ بالمعاناة، أو من الداخل، للمشكلات الفكرية، والمستوى المعرفي، والنشاط الثقافي ولاسيما الأعراف والتقاليد العامة أي الجوانب والظواهر الاناسية (الانتربولوجية) للسكان والانسان والانتماآت، للسلوكات والمعتقدات وفهم وتفسير الوجود والمعرفة. لكن الباحث في الظواهر الثقافية والحضارية[3]، وفي الظواهر الاجتماعية الإناسية، محتاج أيضاً للمناهج الموضوعية.

3- مناهج علم التغيّرات النفسية والاجتماعية تطبيقية؛ كان من أشهرها: المسح الميداني، الاستمارة، الاحصاءات، التجريب، المقارنات، المناهج الرياضية والرسوم البيانية. فبتلك المناهج كلّها يصبح ممكنا الفَهم من الداخل، ثم المعرفة المتكاملة الشاملة بشتى مستويات الحياة في البلدة؛ وبخاصة المستوى المدرسي أو التعليمي، والمستوى الثقافي ثم التواصلي والمتعولم، التقني والاقتصادي، السكني والإقامي، الخ.

4 – من السوي، تماماً وكمالاً، أن تستفيد الدراسةُ الميدانية لخزعةٍ أو عيّنة مكثّفة من الإحصاءات التي تعطي فكرة ضروريةً ونافعةً في سبيل المعرفة الشاملة ثم التنموية بالبلدة؛ بالريف؛ وحتى بلبنان عموماً، وبالتالي في المجتمعات بل في المجتمع العربي الكبير. ويكون ذلك الأمر على كافة مستويات الحياة أو مستويات التنمية؛ أي: الاقامي، السّكني، الاقتصادي، الصناعي، الزراعي، التقني، المدرسي، الصّحّي، الإعلامي، النقليات والمواصلات. وتعالِج بعضُ الدراسات القريةَ بحسب النُظم أو البنى: النظام القرابى (العائلي)، نظام السلطة، النظام الاقتصادي، النظام المعرفي، النظام المرجَعي، الفولكلوري، الشعائري.

5- لا بد أيضاً من الاشارة إلى قضية منهجية أخرى في معالجة ميدانيةٍ وتجريبية ثم نظرية أو فكرية لموضوعنا عن النشاطات الاجتماعية والمؤسسات الثقافية، ثم عن الإستراتيجيا المتكاملة اللاكاملة أبداً ومن ثمّ الضرورية لتجاوز الواقع الثقافي والمدرسي والإناسي، لتحقيق التغيير الايجابي اللازم، والتحقق الحضاري داخل الدار العالمية.

تتلخص تلك النقطةُ الأخيرة في التنبيه إلى أنّ المرجعية أو المفاهيم الأساسية لمعاينة الظواهر المنجرحةِ والتّعثّرات تتحرك بين قطبين هما:

تشخيصُ التخلّف أو واقع الظاهرة بتعقدها، وبتداخلها مع الكل وفي بنية المجتمع؛ أما القطب الثاني المناقض أو المنشودُ فهو التنمية التي ترتبط بالتقدم الشامل المتوازن، أو بالتغيير في الوعي والسلوك، الفردي والجماعي، التاريخي والمستقبلي، العملي والنظري.

6- لم تَنظر المدرسةُ العربية إلى إستراتيجيات التطوير "**وفلسفة التحوّل – والتغيير**"، أي إلى فلسفة التقدّم والمستقبليات، نظراً جزئياً أو حسيراً، محدوداً أو مادياً فقط. ولم تنصبّ التحليلات على تخلفٍ عام أو جزئي، اقتصادي فقط أو ظرفي، فوري أو سريع. هنا، لا يَصلّح الكلام عن تقدمٍ تؤخذ معاييره من المجتمعات الصناعية جداً، وحيث الحضارة الآلوية المتطورة. مُراد هذا هو أنّ التخلف مفهوم تَحذر منه الدراساتُ الدقيقة على خلفية أنّه نسبي؛ فقد لا يكون عميقاً وشاملاً. والأهم أنّه مرحلة تاريخية. بتكرارٍ توضيحيّ، إنّ عوامل "التخلف" تاريخية، متراكِبة متراكمة وطِباقية؛ وقابلة لأن تُشرَح، ولأن تُفهَم؛ وبعد ذلك لأن تُهزم.

لقد وعى العرب والمسلمون والافارقة، وشتى المهمَّشين المستلبين في العالم، تَخلفَ أوضاعهم التكنولوجية والسِّلاحية بمقارنة ذاتهم مع أوروبا التي كانت قوية بالسلاح الناري (حسب تعبير محمد عبده في أول هذا القرن الماضي)، وبالمؤسسات المدَنية والاقتصادية والفكرية. لكنْ بقوا، العرب، حتى في أحلك الهزائم مؤمنين بأنهم "متقدِّمون" على المستوى الأخلاقي والعقائدي، الروحي والايديولوجي والإنسانوي، التعاطفي والمحبّاوي، التراحُمي والتكافلي التضافري.

7- التقدم متنوع شمّال، وعديد الحقولِ والمستويات، المعاني والأهداف. كما تختلف، حِدةً ودرجةً، كثافته داخل كلٍّ من مستويات العيش. فقد يكون سطحيا قشرياً هنا؛ وبالغ العمق هناك، وهنالك. حتى عوامل التقّدم قد تتغير من حيث المهاراتُ والفعالية، ودرجةُ الحضور والتأثير. لا بدّ من أن يتعزز، أولاً، العمودُ أو العامل التكنولوجي والتقنَنَة كيما يُعزِّز العقلَ العسكريَّ والسِّلاحي، الماديَّ والاقتنائي، الامتلاكي والاستهلاكي (را: نقد الفكر العالمي، عند العربي، للشخصية أو للعقلية الصِّناعوية، لعبادة علوم الصورة والإعلام والبيولوجا، للعمل والمادة والجسدي المِتْعويّ، وللآلوي).

التقدم نفسي واجتماعي هو، بحسب المدرسة العربية ومَنْ إليها في عالم المنجرحين المنغلبين. فداخل المجتمع الصناعوي، كما المجتمع الصناعيِّ المتعثِّر أو منجرحِ التقدّمِ الشّمّال المتنوع المتكامل، تسعى النظريات المتمحورةُ حول التغيير والتحويل،حول "فلسفة اللقمة الفاضلة"، بل تسعى وتجتهد كيما يكون الانسان، الناسُ أو البشرية في الطبيعة والمسكونة والمستقبل، إنساناً مُشبَع الأبعاد. فالنفسي والكينوني، الذاتاني والأخلاقي، العلائقي والانسانوي، أبعاد هي كلها تَتَغاذى وتتناضح، بل وتتكامل بتداخل كيما تتحقق التغييرانيةُ، أو التكييفانية الخلاقةُ، والصحةُ النفسية الاجتماعية ثم الأخلاقية والحضارية.

8- نافعة وكبيرة كانت، ومازالت دقيقة ومطوِّرة، المجلوباتُ في تحليل المكبوتات الجماعية، في الخافية والغوريات أو علوم اللاوعي الثقافي، في الذاكرة والمتخيَّل، أي في المعتقدات كما المنمَّطات الجماعية... فمن ذلك كان التشخيص والوضعُ أمام الوعي الإشفائي، أو التغييري، أو الأطروحي، لموضوعاتٍ وحقول أو ظواهر وعاداتٍ إناسية عامة من نحو: الاحتماء بالخرزة والحجاب، الرّقوة،

عقدُ لسان الوحش عن الحيوانات الاليفة الضائعة أو التائهة، التزيّن، الثوب الواسع، أنماط التشاتم والتلاعن، حدوة الحصان، حكايا الجان، الكليدِمْنات الشعبية غير المدوّنة، المكتوب والكتابة، فك الحرف، الخوف من القلم والكلمة المكتوبة، الخ (را: النظرية والمطبَّق، المناهج الميدانية والتنظير الفكري المحض).

سكْبُ التجربة الجامعيةِ ثم سَبْكُها في حبّاتِ عنقودٍ أو كشذَرات

1- أنا ابن جامعة ليون. في الاجازة الفرنسية؛ وكما أيّ طالب فرنسي...، تابعتُ دراستي على يد أشهر، أي أهمّ، أساتذتها: هوسّون، مادينْيه، ومالْدينيه في المنطق. وكان أرْنالديز، وبلا سنديةٍ منيعة، مفرط الثقة بنفسه في الاسلاميات بكلِّ حقولها، وأعلامها ولغاتها؛ ولم أكن راضياً عن علامته لي في رصيد "علم النفس التجريبي" الشفهي.

الأهم هو المَراجع "الأُمَّهاتية"، الأكبر، في المنتصف الثاني من القرن الماضي داخل: أ/ التحليل النفسي: هنا انبهرتُ بكتاب دالْبيز؛ لقد ابتلعته، كما تفعل الحيّة، ليس فقط فور صدوره بل وقبل أن يُسجّل في المكتبة. انتظرتُ حتى سجّله الموظّف فور أنْ تسلّمه من المجلِّد. ضحك الموظّف، وقال انت الأول. لخصته بالفرنسية، واخترتُ الأمثِلة مع تدوين رقم الصفحات. لم تكن آلة التسجيل معروفةً جيداً، أي معتمَدة، معتدلة الكلفة في زمانٍ ليس فيه سوى الفيلم السينمائي الأسبوعي مساحةً للاستجمام، أو التسلويات وتزجيةٍ ثمينةٍ للوقت. ثم كرَّتْ كتُب فرويد؛ ولاسيما "تفسير الأحلام" (بالفرنسية). ورفعني التحليل النفسي، في أقلّ من سنة، إلى عالم جديد؛ وأعطاني أطناناً من المعرفة والمعنويات.

ب/ والكتاب الأكبر، الثاني، الذي جعلني " أطال بيديّ نجوم الظُّهر" كان كتاب كوفيليه في علم الاجتماع. فهذا تحوّل إلى قسم من ذاتي في الشهر نفسه الذي صدر فيه المجلّد الأول. لقد حفظتُ غيباً، وبسرعة، أكثر من مائتَيّ صفحة من صفحاته الأولى.

من المهمّ، ولعلّ الأهمّ، هو أني ولجتُ الألمانية انطلاقاً من ذلك الكتاب؛ وبواسطته، فيما بعد، كوّنتُ زمالةً مع سائر مؤلَّفات كوفيليه الأخرى. وسخرتُ من غورْفيتْشْ كمؤلِّفٍ؛ وكمحاضر في السوربون. لم يُعجبني كلود ليفي ستروس؛ وأصغيتُ لمحاضرتَيْن عن توكْفيل؛ ولخصتُ فوستيل دي كولانْجْ في "المدينة العتيقة".

2- يتذكرّ الطلاب اللبنانيون، الذين كانوا يدرسون في السُّوْربونّ، إبان الستينيات، أنّ الجزائريين كانوا يردّدون أمام المؤيدين وخفيةً عن المتعاملين المتواطئين، أنّ الفرنسي تجاه المستضعَف الأفريقي، أو المسلمِ وأضرابه من المستعمَرين هو نفسه – وعياً وسلوكاً– ذاك الفرنسي تجاه الألماني؛ إنه نفسه ذلك المنكسر الخاطر أمام مشاعر الانتصار عند الأقوى منه، ضمن الرابوع الأوروبي.

* كان يُنقل عن نكروما أنّه قال: نُرسِل طلاّبنا إلى الاتحاد السوفياتي ويعودون إلينا مؤيِّدين للرأسمالية؛ وعكس ذلك صحيح.

* في مطعم السان لوي، شارع السان ميشال، كان الطالب العربي يبدي اعجابه بأبطال أميركا اللاتينية القادمين استعداداً للتحرير، وباسم التحرير اللاهوت التحريري.

* سأل أفريقي تونسياً أبيض البشرة متى انتزعتم استقلالكم؟ ردّ التونسي: منذ عام. دُهش السائل وقال: وهل في عامٍ واحد سوف تبيضّ بشرتُنا بعد استقلالنا؟

3- في باريس لم نبدأ، أو نتعلم، بقدر ما غذّينا في الذات أهلية التذوق لفنون المسرح أو الأوبرا، للموسيقى العالمية أو عالم الباليه، وللمعارض كما المتاحف.

إكتشفنا في فرنسا نقصَنا في المهارة على القراءة الدقيقة بالألمانية؛ وفي مهارة الفرنسية وقدراتها على منعنا من الاهتمام بالانكليزية أو، بأي لغةٍ أخرى.

لم يكن على الطالب "الخبير العليم" بالسياسة والثقافة، أو بالثقافة السياسية و"المسيَّسة"، أنْ يتردّد إن طُلِب منه تفسير معنى سياسة أو ثقافة فرنسا؛ واكتشافُ المتضمَّن وحتى اللاواعي في أيديولوجيتها.

4- الاحساس كوّن الوعي، طوّر الحياة؛ وهو "مربَط الفرس"، والملخِّص المعرِّف للانسان، للعقل واللغة، للمجرَّد والمفاهيم، للتاريخ والحرية والحضارة. الاحساس هو الذّرة؛ أو هو الخلية. إنّه الشعور والعاطفة، الصورةُ والانطباع، النفسيُّ والجسدي معاً، الجزئي والكلي، الذاتي والموضوعي. هو، بعدُ أيضاً، في أساس ونُسغِ الادراك والتفكير والتأمل... أقام الاحساس نظريةً في تكوين المعرفة والعقل، الميولِ والعادات والأخلاق. وأقام "على اكتافه" مذاهب في علم

النفس كان منها: الذّرانية، الرَّبطانية، تداعي المعاني، الحِسّانية، الأسبابية أو السببية، فلسفاتُ الالحاد والمادة، النظرياتُ في الطبيعة والواقعي والبيولوجي.

5- التكييفانية الايجابية الاسهامية، وتماماً كما هي التغييرانية بل التفسيرانية- التغييرانية، نظريةٌ أو عملياتُ مشروعٍ متكاملة في إعادة الادراك والتوجيه على نحو متواصلٍ ومتوازن، متواظبٍ ومتناقح، متماسك ومقبولٍ متناغم مع الحاجات والمصالح الحضارية. كما يكون ذلك المخطط العام الشَّمال في التطوير والانماء، أي في الدفع نحو النضج والصحة الحضارية، رؤيةً على نحو مصمَّم مسبقاً وإرشادياً، وتطوراً طبيعياً وثقافياً، ونمواً قفزياً، أو تقدماً اعتيادياً، اختمارياً أو عشوائياً.

6- علّمتني الخبرة، وتدريس العلاجات الفلسفية في الجامعات، أنّه لمن السديد، الصائب والقويم، أنْ لا يكون المحلِّل النفسي، في أريكته العربية، ملحِداً وقاتلاً للتديّن والدين، عنيفاً صارماً أو قطعياً في رفضه للمتخيَّل والايمانيات، ولما هو مسيَّس أو أيديولوجي. وهو، كما المعالِج، يستطيع أنْ لا يَغرق ويُغرق في التشاؤم والقتامة، في السلبي أو العدمانية ورفسِ المعتقدات الشعبية بل والعقلية غير العلمانية كما المعيوشةِ المتوارثة، النقلية. يمكن للمحلِّل النفسي، وللباحث في العلاج النفسي والصحة النفسية والروحية والحضارية، أن لا يكون متديّناً؛ وبالعكس، فله أن يكون أو أن لا يكون مؤمِناً أو ممارِساً... عليه، له حقُّ الاختيار؛ وأن يحترم اختيار الصابر أو أي حالةٍ، أي حقل أو فكرةٍ أو موضوعة.

7- الفلسفة العربية الراهنة "شيء" يُدرَك فوراً ككلٍّ جيدٍ، له طبيعته وخصائصُه وقوانينه:

شبه أسئلة، أي أسئلةٌ فيها شُبهة، هي التي تشكّك في معنى أو وظيفة ظهور ثم ازدهار الفلسفة داخل الفكر العربي الاسلامي في تجربته التأسيسية (=الذهبية). تلك هي الحال، راهناً، أمام باحثٍ مترددٍ، أو شادنٍ بادئٍ يريد الانصباب على دراسة مكانة وقيمة الفكر الفلسفي العربي إبان القرن الماضي؛ وبخاصةٍ إبان المرحلة أو التجربة الراهنة. المفترَض والمقترَح انّها بدأت منذ السبعينيات. التدقيق ينبثق، للوهلة الأولى أي فوراً وعلى شكلٍ كُلّي وجيد، موضوعٌ هو إدراكٌ مقصودهُ الذهاب مباشرةً إلى حقل هو الفلسفة العربية الراهنة.

يضاف، أيضاً، أنّنا ندرِك كُلّاً عامّاً اسمه الفلاسفة العرب الراهنون: هنا الغرضُ أو الموضوع شيء ماثلٌ أمامنا؛ إنّه مدرَكٌ حاضر، وجاذبٌ للمُدرِك؛ إنه "شكل" أو وحدة، نسقٌ نذهب اليه بدون أحكام مسبقة، بلا أحكام قيمة.

8- الدار العالمية للانسان، للفلسفة والنفسانيات والصحة الحضارية، للفعل والقول والفن، مصطلح فكري كوني، عالمي مسكونيٌّ خاصٌ بالناس؛ أي بالانسان المنغرس في سياقاتٍ وانتماءاتٍ تاريخية وطبيعية محلية، لكن منفتحة بعقلانيةٍ وتفاعلية على الأعم والأشمل من القضايا والأسئلة في الأيْسيات والمعرفيات والجماليات، في حاضر الانسان والتراث البشري والمستقبليات والقيميات.

9- الدار العالمية ميدانٌ لعلوم الانسان وعلوم الطبيعة، لعلوم الثقافة وعلوم البيولوجيا والمادة. ليست هي عينها الأمركةُ أو العولمة، النظامُ السياسي العالمي أو التكوكبُ والكوكبة الاقتصادية للأمم كافة، للعالم أجمع وبرمته:

أ/ ضَمّامةٌ مشتركةٌ هي الدار العالمية لعلم النفس وشتى العلوم الانسانية المجتمعية؛ ومن ثم للفلسفة، ولِخطاب الصحة الأخلاقية الروحية كما الصحة الحضارية وعَبْر الحضارية أو ما بين الحضارية.

ب/ ذلك الضلع من أضمومة الانسانيات أو المجتمعيات، من علوم العقل أو النفس أو الروح لصيقٌ بضلع الزاوية الآخر الذي هو علوم الطبيعة والبيولوجيا والفضاء، العلوم التقنية أو التطبيقية أو علوم المادة.

قطبا العلم، هذان، يتفاعلان ويتناقحان؛ يتلاقحان ويتعاضدان بتواظبيةٍ وتداؤب... ومن اللابديِّ الإصرارُ على أنهما يسيران معاً وفي "مَعْبَعَضية" ضراميةٍ بحيث يكون لا مناصياً الاصرار الثاني على أنهما لا يتلاغيان أو يتنافران، لا يتأيّسان أو يستبد وجهٌ بوجه، وضلعٌ بضلع، وطرف أو حدٌ بالطرف أو الحدِّ الآخر.

لكأنّ الفلسفة تهجُر، أو هجرت فعلاً وبحقٍ وحقيق، المجتمعَ الصّناعوي. في عبارةٍ أدمث، لعلّ الفلسفة، بمعناها الراهن المُرهَّن، شرعتْ بالتمرد والغضب على تفسيرها بعاملٍ أحادي هو البيولوجي أو المادي، الاحساسُ أو العياني، النفعي أو المصلحي، الآلي أو الخطي.

10- الولد المستقل عن أمّه "الطيبة" يعود، داخل المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة والنفسانيات والفكر، إلى أحضانها؛ ويُعيدها إلى قلبه وروحه، فضائه وحقوله. علم النفس ولدٌ ضال في انشقاقه عن الفلسفة ترسيخاً لاستقلاليته، وتحقيقاً لذاته، وشعوراً بكرامته... لم تهتم الفلسفة بالتعبير، يومياً، عن حبّها الذي لم ينقطع لابنها الماهر؛ وعَرَف أو أقر هذا بنفسه أنّ علاقة علم النفس بالفلسفة لا تُقطع بقدر ما هي علاقة حوارية تفاهمية يُعاد باستمرار صقلُها أو تهذيبها وتشذيبها.

أراد التحليل النفسي أن يحفر لنفسه خندقاً يفصُل بينه وبين المهن كما الاختصاصات أو الحقول النفسية... صال وجال، هَدّ وقَدّ. ولم يتأخر عن الاقرار لنفسه بنفسه بأنه، وإذْ عَمَلَقَ ذاته ونرجَسَ أشياءه، فقَدَ تقديره الذاتي.

11- عرفتُ خلال دراستي للاجازة الجامعية الثالثة، وكانت في العلوم الاقتصادية والسياسية (عادلتُها فيما بعد بالاجازة في الحقوق)، أستاذاً كان أكبر اختصاصي بالهنديات داخل لبنان.

* سبب اختلافي مع كمال جنبلاط عدم موافقته، بل سكوته وعدم تفاعله حيال تفسيراتي التاريخية – السياسية للمذهب الدرزي، لنشوء واستمرار أهل التوحيد، طائفة الموحّين... وأنا أسستُ تفسيراتي وطريقتي في التثمير على الانتهاض من اعتبار "أهل التوحيد" فرقةً صوفية إسلامية، مشيخةً أو طريقة صوفية اسماعيلية، قرمطية، مغالية أي غير متمسكة حرفياً بالكتاب والسنة، وبعيدة عن المذهب الجعفري الذي هو سنّي صراطي مع خصوصياتٍ وشكليات غير معمَّمة أو غير مفروضة علي جميع مؤمنيه.

* تناقشتُ مع جنبلاط حول بعض الأساليب والمقولات في حقول علم نفس الطفل والتربية، والآداب السلوكية، والتواصلية، وإعداد المستقبل، والاقتصاد الأمثل للدول النامية ... أما التأثر الأكبر بالمعلّم، فيُعاد إلى الهنديات.

* قد تكون نافعةً، لتاريخ فردٍ، وللتاريخ الفكري، الاشارةُ إلى تقديره لجهودي الفكرية في تقديم الفكر الهندي والتي استحققتُ عليها لقَبَ معلّم (بالمعنى الهندي). فأنا، كطالبٍ في آخر سنوات دراسته الجامعية، كنتُ قد نجحتُ أو قدّمتُ "شمعة"...ذاك نجاح أشاد به أيضاً سهيل إدريس، معلِّقاً على مقالي الذي نشره (الآداب، 1960) بعنوان: الأخلاق في التعاليم البوذية.

12- العلاج بطرائق التأمل البوذي شائع، ويزداد أنصاره في العالم. لعلّي لم أقتنع كثيراً به؛ لم أُمارسه لكنيّ تفهمتُ مُراده أو مقاصده، طاقاته ومهاراته وأُسسه النظرية...فأنا اندفعتُ إلى "التعاليم البوذية"، والى الفكر الهندي، إلى الهنديات، منذ كنتُ في أواخر الخمسينيات طالباً جامعياً يجدُ داخل اللغة الفرنسية معرفةً كافيةً بالفلسفات الشرقية؛ وبالهنديات التراثية، ومن ثم بغاندي ونهرو وصعودِ الهند إلى الأعالي السياسية العالمية.

* قد لا يُعدّ ماهراً مفكّر غير ضليع بأساليب العلاج النفسي، وبالنظرية النفسية، عند الهندي. ينصرُ هذا القول تضلُّعُ معالجين ومحلّلين عالميين "من الوزن الثقيل" بالفكر والحكمة والنفسانيات الهندوسية؛ وبالبوذية بأشكالها العديدة (فرويد، يونغ...). وحتى لاكان، في عصابه، كان حاذقاً في هذا الميدان؛ وطرحنا، في بيروت (1973)، قولاً في إمكان إشفائه باعتماد التصوف الهندي؛ وأساليب بوذية، وحتى عربية إسلامية.

13- يُعدّ الصوفيون، في الفكر العربي الاسلامي، رائعين في بناء جسر العبور باطمئنان ورضىً بين العالَمَيْنْ الحيّ وما بعد هذه الحياة، هذه الدنيا أو العالم. لقد توصل العقل، عند قطاع من المفكّرين، المتأملين في الوجود والمصير، إلى أن "يخلُق" الانسانَ الذي يُعيّن بنفسه ساعة ومكان وفاته.

يُسقط الوعي الصوفي جدارَ الخوف، اليأسِ أو الرّعب، من الموت. وبات صادقاً القول، عنده، إنّ الانسان قادر على أن يبتسم على فراش موته، ويعرف متى يحين انتقاله، ويفرح بذلك الانتقال، أو ينتقل إلى العالم الآخر ثم يعود منه ليخبر عن حقيقة ما رأى...

قهرُ الخوف من الظلام الدائم قوة يخلُقها المتخيَّل والاعتقاديُّ، أو الايمانيات والحدْسيات؛ ويصقلها العقلُ الناظر المتدّبِّر في العمر والجسد والحياة، في الصيرورة والفناء والتوق للخلود في جنّات النعيم الالهية.

* في الريف لا يُلحَظ أنّ المُسنّ ينطوي على نفسه، ويقبع في بيته منتظراً بهلعٍ مجيء الذي لا بدّ أن يجيء. الاطمئنان والثقة بأنّ "الموت حق" أمرٌ عامٌ لا تفسُّخ فيه؛ ولا تزعزُع. يسير المُسن مرتاحاً راضياً في جنازة سابقيه إلى الآخرة.

14- قد يفسَّر الاهتمامُ الراهن بالفكر الصوفي وفلسفته العرفانية بعوامل منها العودة إلى استئناف الاعتناء بالفكر الأخلاقي وفلسفة القيم؛ فالفكر الصوفي قد يُعَدّ، هو نفسُه، مذهباً أخلاقيا، وفلسفةً في التربية الاخلاقية المتواصلة والمتناقحة، والمرتبطةِ جداً بالفضيلة والناس أو بالشعوب والاستراتيجيا الأُمَّتية. وتنفع الرؤية والمقولات الصوفية في كونها تُحوِّل وتُغذي، أو تَصقل وتهذّب، حكمةً في الجماعة والثقافة والفرد قوامها قيم التعاطف والتكافل، العشقُ الالهي والمحبة أو الوِدادية، التراحم والتآلف الانسانوي بين الأديان كما الأمم، والاعراق كما الثقافات.

عند القمة، أو في الرؤية المثالية هذه، يبقى المذهب الصوفي، في الانسان والأخلاق ووحدة الطبيعة مع الألوهية، مذهباً خطابه كونيٌّ أو مسكوني، عالمينيّ. يُستدعى، للشاهد، منافع أو مجلوباتٌ أخرى استَخرجتها أو أمسكتْ بها المدرسةُ العربية الراهنة في التصوف والعرفان وإعادةِ القراءة للباطنيات الدينيّة.

15- الفلسفة المحضة، بحسب التفسير النفسي- الطبيعي لها، هي الماورائيات. إنّها الفلسفةُ التي غرضها الحقيقة، وميدانها العقل النظري. فهي نظرانية؛ أي نظرٌ في النظر الفكري الأعمِّ والأشمل، الأوسع والأعمق؛ وذاك عقل منزَّه، مجَّرد، غير استنفاعي وغير استنجاحي... وعلى هذا، فالمحضانية قول محضٌ في الماهيات والثوابت، في الكلّيات والمفاهيم، في العقل بما هو عقل، في المطلق، في الألوهية.

المحضانية هي، إذَن، النظرانية. وهنا يكون النظر في موضوعاتٍ تبعت من الوعي وتساؤلاته في قضايا الوجود والحياة، الفكرِ أو العقل والمعرفة... فهنا تبلورتْ وفعّلت عواطف الانسان، وأقلق الوعيُ والطبيعة الانسانَ بقضايا حياته، وداخل مجتمعه، وبعلاقاته مع جماعته في البيئة والتاريخ؛ وأمام المرعِب والمخاطر والطبيعة الاعتباطية والمتعسِّفة.

16- الفلسفة، بحسب المدرسة العربية الراهنة، إعادةُ إدراكٍ، وإعادة تعضيةٍ. وعلى هذا، فهي إعادة أشكلةٍ وضبطٍ؛ ثم إرادةُ تغيير على كل الصُّعد والمستويات، وفي شتى الحقول والأبعاد. ذاك التغيير، المتوازنُ والضرامي والشَّمالُ، نظريةٌ في تعيين الصالح والمصالح والأصلح؛ أي الأنفع ولربما الاكثر عقلانيةً أو تنويراتٍ متماسكةً ونافعة؛ ونظريةٌ في لوح القيم التقليدي، وفي أنماط

السلوك والتفكير، وفي الآدابية والينبغيّات وشتى التصورات عن الناس والآخرين، وعن المدَنيات والحقوق والفعلِ السياسي، وأنساق التديّن وأنماط المعرفة... القول في التغيير هو، إذَن، متعدّدُ النشاطات: إنّه فاعلية وحداثة، قولٌ وفعلٌ، نظرٌ ومحاكمة؛ إنّه "تغييرانية" بمعنى أنّه نسق جميعاويّ وأجمعي، أو نظامٌ فكري متنّوع الأضلاع ومتعدد الأذرع والأيدي، مصقولُ الأفهومات أو الفقرات، منظَّمٌ ومُمرتَب من حيث القطاعاتُ والرزيحات، الأجهزةُ والركائز، والرُكنيات والأعمدةُ والتدريع العام.

17- كما أنّه لا يُطرد العدوّ، فكذلك لا تَطرد الفلسفة اعداءها. إنها تُسّميهم؛ وإذْ هي تعطى اسماً لنقيضٍ لها، فإنّها تُحدِّده وتُعيّنه، تُعرِّفه وتسجنه، تضعه أمام العقل للتشخيص التّفحصي، المتعقِّب والمنقِّب، المتحرّي والمحلِّل.

العلاقة بين الفلسفة وأصدقائها أو مع أبنائها المنشقّين عنها، هي تماماً كما العلاقة بين الفلسفة وأخصامها ومنكِريها، قاتليها والطاردين لها؛ وكعلاقة المعالِج المحلِّل مع الصابر أو المستشير. فالواجب هنا هو أن نعيد الادراك ثم التعضية والضبط للعلائقية بين النحناوية والأنتُمية، بين الأنا والأنت، بين الفلسفة ونقيض الفلسفة أو ما هو يصاحبها أو يُحفّ بها، بين العقل واللاعقل وضد العقل، بين السيد والعبد، بين الطبيب والمريض أو السّويّ واللاسوي.

18- من السَّوي، النافعِ والصائب، أن تكون الفلسفة المحضة، والفلسفة العملية كما النفسيةُ الاجتماعية أيضاً، مجابِهةً مدافِعةً عن كيانها واستمراريتها حيةً مؤثّرة فعّالة. على هذا، فهي مقتدرة، وماهرةٌ في الذهاب إلى منكِريها والكافرين بها. فقدرها أن تُحارب مَن يقول إنها رطانةٌ وهراء، عقيمة وجوفاء، بلا معنى وشبه مفصومة... وهي أيضاً، وكشاهدٍ ثانٍ، تَرى أن قدرها، وليس مجرّد اختيار لها، أنْ تحارِب التعصّبَ وتكفير الأخصام، التعنّت والاعتباطي، الاستبداد والأُحادية؛ بل وأن تفضح أيضاً، المناهج غير التاريخية، والنزعات التلفيقية؛ والتوفيقانية، بل والتفسيرات التي تنتقي وتصطفي، تُسقِط أو تُضفي، تُزاوج وتُصالح.

19- ليست الفلسفة، ودائماً بحسب المدرسة العربية الراهنة أي بالمعنى النفسي- الفلسفي- التحليلنفسي، فكراً محكوماً ومفسَّراً مربوطاً بالمصالح العامة؛

وليس من شأنه أن يكون موظَّفاً يعمل لمصلحة المنفعة إنْ للفرد والمجتمع أمْ للادارة أو للدولة؛ ذاك أنّ النظرانية، أمَّ العلوم الانسانية الاجتماعية، ليست هي التنمية أو التربية؛ وليست هي فلسفة الاستكساب أو الاقتصاد، أو اصلاحُ الحال ودرءُ المفاسد والمخاطر والاضرار. بهذا المعنى التطبيقي، الاستثماري سعياً للاستنجاح والاستنفاع والإصلاح، تفقد الفلسفة عقلها النظري؛ أي هي، بالاضافة إلى ضلعها العملي المرتبِط بالممارَس والحادثِ في الواقع والشروط، تكفّ عن أن تكون أيضاً، وفي الوقت عينه، نظرانيةً، محضانية، عقلاً مجّرداً ومنزّهاً، شفافاً وباحثاً في الحقيقة والخير والجمال.

* لا تؤسطر الفلسفةُ نفسها؛ محضانيةً كانت أمْ تنظيراً وتحليلاً في الفعل والسلوك، وفي اللقمة والواقعي. لا تَتَترجس؛ لا تعبُد ذاتَها؛ لا تتقفل على نفسها؛ لا تتغاذى مع أوهامها وأساطيرها، تاريخها وأعلامها... وهي لا تَتَقَوْمَن... لا تكون مصلحةً أو مطلباً أُمَّتياً؛ ولا تستكسِب أو تستنفِع، لا تُحرِّض ولا تَتَعصّب.

* تتوزع حقول الفلسفة (المحضة، النفسية الاجتماعية، الطبيعية) إلى قطبَين هما العقل النظري والعقل العملي؛ أي، في عبارة اخرى موضِحة ونافعة، الفلسفة أو **الحكمة النظرية** ثم الفلسفة أو **الحكمة العملية**. فهنا تتدلع أمام الوعي متكافئاتٌ معروفة، منها التاريخي الموغل، ومنها المعاصر والراهن كما المستقبلي؛ من تلك المتكافئات التي عزْزتْ "سطوة" أو "هيبة" المدرسة العربية الراهنة: العقل والتجربة، الأفهوم والخيلة (= الصورة)، العقل والمتخيَّل، السببية واللاسببية، المجرَّد والمحسوس، الوعي واللاوعي، البيولوجي وغير البيولوجي (= الحياويّ)، الجسد والجسم، الجميل والقبيح، الحرية والجور، النافع والمنزَّه، الحقيقة والمنفعة، القيمة والحاجز، اليقيني والارتيابي. أخيراً، تنتهي الفلسفة المثلَّثةُ هذه (عقل أو وعي+ سلوك أو بيولوجيا + لا عقل، لا وعي) حينما تنزلق إلى مهوار الغطرسة، إلى الغرور أو الافتتان بالذات ومن ثمّ بقدرات العقل اللامحدودة والغارقة في عقدة "حسد الألوهية" وحسدِ الطبيعة أو السُّنن الطبيعية.

20- الفلسفة هي التي، بحسب المدرسة العربية، نفسانية وتحليلْنفسية ومحضانية؛ وهي التي انتقدتْ ثم طورتْ تقسيم علم النفس للانسان الى: غريزة وذكاء، غرائز الموت وغرائز الحياة، حِفظ الذات وحفظ النوع، مبدأ اللذة ومبدأ

الواقع، أحكام القيمة وأحكام الواقع، ذاكرة وعادة، ميل ورغبة أو باحث وحافز أو دافع، انتباه وخيال، حلم وواقع، وعي وسلوك، بيولوجي وغير عقلي... من جهةٍ أخرى، علم النفس طوّر المفكرين والفلاسفة والتربويين داخل الدار المحلية للعقل والحياة والناس. فعلم النفس كان هو الغذاء؛ وقاد الفلسفة إلى أنْ تنصبّ على الجسدي والنفسبدني؛ وعلى الغوص في القيعان والتلافيف، الفوضى والخواء؛ وعلى المتوقع والمستشرَف، الأخاديد والتضاريسِ والطوايا، البور والوعرِ والمعتِّم، المنجرحِ والمطرود والمهمَّش.

تطرح الفلسفةُ العربية الراهنة، وضمنها النفسانياتُ والتحليل النفسي، خطاباً في معنى ومبادئية إعادةِ الادراك والأشكلة والتوجيه للعلائقية إنْ بين القوى النفسية العقلية، أم على صعيد الناس كما الأمم، والثقافاتِ كما الأديان، والدولِ كما الهويات وشتى الانتماءات.

هنا، "الروابطية"، من حيث هي طرائق ورؤية أو نسق فكري موحَّدٌ وأجمعي، قد تكون مُسمَّى متنوعاً للعلائقية... وهنا أيضاً تجبهنا أفهومة متماسكة ومتساومة هي التواصلية. وهذه نظرية، رؤيةٌ كبرى أو فهمٌ عام للواقع، ولما يجب أن يقوم في المجتمع وبين البشر وأمام القانون. المُراد هو أنّ التواصلية العقلانية تكون جديرة بتلك التسمية فقط إن كانت أُفقيةً وتشاورية. المثالي، على ذلك، هو دعوتها لان تكون تعاونية تشاركية ومتكاملة، تعاطفية، مَحَبّاوية، تكافلية، تراحمية، رحمانية (يُستدعى، لتوضيحِ نافعٍ، نقدُنا الحضاري الاستيعابي، ثم التجاوزي، لمثل هذه المفاهيم الباذخة).

وبَعدُ، ففي مطلق الأحوال، إنّ الفلسفة، المحضة كما النفسية الاجتماعية والطبيعية أو البيولوجيةَ النزعةِ والمقصَد، نشاطاتٌ فكرية أو مقدَّماتٌ متعدّدة متنوعة تعيد ضبط وتوجيه العلائقية، بتناقحٍ وتلاقح وتداؤب أو بمواظبةٍ ضِرامية، بين الانسان ووجوده أو واقعهِ ومجتمعه، بين الانسان وفكره والقيم والحضارة واللغة.

في عبارةٍ تُفصّل وتُوزِّع، الفلسفةُ النفسانية والتحليلنفسيةُ تعُيد النظر والسيطرة والمَعْنية في علاقة العقل مع العالم الخارجي، مع الأشياء والظواهر والأفكار؛ وفي علاقة الانسان مع النظري والعملي، ثم فيما بين النفسي

والجسدي، أو العقل واللاعقل؛ وفيما بين الغريزة والذكاء، الحقيقة والواقع، العلم والأسطورة، الظواهر والرموز، الشكّ واليقين، الفلسفة واللافلسفة، الانسان واللاإنسان.

22- بحسب **النقدانية الحضارية**، وهي كالقراءة الطبيبية، خسر المعركةَ المنبهرون بأدروجاتٍ فلسفية ساهم في إذكائها وإضرامها مسيَّسون، ونفسانيةُ فكرٍ أو بلدٍ يهرعون فيه بيسرٍ وانسحارٍ لذيذ إلى الصاخب يُحفّون به ظهورَ نظريةٍ أو فكرةٍ على بعض "الساحة العالمية الساحرة".

23- استجلب الاهتمام والنظر المنقِّب فكرُ الطيّب صالح، أو طريقته، حول غزوه للغرب. وقدّم الرواية كفنٍّ عبَّر بعمق عن الغوري والمطمور واللامفصوح، المَنْسي والدفين حيّاً والمحجوب، الظّلّي والهاجع والمعتِم.

إنها رواية تستكشف اللاوعي الثقافي عند أُمة أو شعوبٍ منكسرة الخاطر، منغلبة منجرحة، مكتئبة ومترنِّحة وسيئة المزاج.

هناك، قدّم الأدب العربي خدمةً أخرى نافعة للمحلِّل النفسي في أريكته العربية. فالأدب والفن، الأسطورة والمتخيّل أو الايمانياتُ والمعتَقَدي، حقولٌ هي كلُّها تتواضح وتتغاذى مع التحليل النفسي بتكاملٍ وتواظب، بتفاعلٍ وتساندٍ، بتداولٍ وتبادلٍ أو في حوارية مشتركة وتشاركية.

24- احتلّت المدرسة العربية في الفلسفة الراهنة مقعداً مكرَّساً، وشخصية مستقلة، داخل الدار العالمية؛ أي ضمن دار الفلسفة المسكونيةِ الأبعادِ والحقول، كما الوظائف والمقاصد أو المعنى برمّته.

نريد لتلك المدرسة أنْ تَتعمّق وتتوسّع أسئلة وحقولاً في مسارها وطريقها إلى التكرّس للبحث والنظر في الأنا والأنت، في النَّحْناوية والانتُمية، في العقل وفي الحقيقة، في الفعل والمعيار أو في المنفعة والقيمة. واللافت، هنا، هو أنّ تلك المدرسة أثَّرت وتأثَّرت، استوحت وأشعّت على حقول خصبةٍ نافعة: العلم والاسطورة، الأدب والشعر، النقد والفنّ...؛ وهي استعارت أو توقدتْ بعلوم إنسانية مجتمعيةٍ هي متعددة ومتكاملة؛ منها: علم الاجتماع، الألسنية، علوم التاريخ، التأرخة، التحليل اللغوي والمنطقي،علم الخطابة وعلم السياسة... إلا أنّ علوم النفس، ومهنه أو اختصاصاته وحقوله، هي، هنا، المؤسِّسة والقوام، الروحيةُ والغذاء، القاعدة والقمة، الهيكل العام والنّسغ أو الوقود.

* الموضوعات الفلسفية مبحوثة حاضرة داخل حقول عديدة؛ وليست محصورةً بالحقل الفلسفي المحدَّد. فتلك أفكار عقلانية حارثةٌ نجدها أيضاً في الأدب والشِّعر، في النقد والقطاع اللغوي، التصوفِ وعلم أصول الفقه، قطاعِ تفسير النصوص كما الأحلام، علم طبقات الأمم وعلم الرجال، علم المقدّمات وعلم التاريخ والمُدنِ والمسكونية... هنا يتفسر كونها نظرية متعددة الحقول، متنوعة الوظائف والأهداف، الدلالات والمعنى، المناهج والرؤى. فهي نقدانيةٌ حضارية، استيعابية وتَخَطّوية. كما إنها أطروحية تقول ما تراه وما تريده من صحةٍ حضارية للمواطن والوطني، للأمة والأُمَّتي، للحضارة القائمة وما بعد هذه الحضارة، للثقافة السائدة والثقافة المسكونيةِ الأفق والأبعادِ كما الصُّلبِ والرؤية.

* من أبرز ما قدّمته النظريةُ العربية، في نطاق علم التفسير والفهم ومن ثم التأويل والتغيير، قراءاتٌ أتتْ ذات أصالة فكرية، وربحٍ وفير، ومردوديةٍ اعتبارية أسهمت في تطوير المعرفة بالفكر والواقع، ومن ثم في تدعيم النظرية العربية الراهنة في التحول والاهتداء، في التراجع والتقدم أي في التغيير الشَّمال والمتوازن، المتواصلِ والمتكامل، المتناقح والمقارن، الضِّرامي والمتماسك، المتوافق مع المصالح والمنافع والرغبات الحضارية للفرد والجماعة، للوطن والأمة، وللدار العالمية (را: التغييرانية وهي فلسفة في التفسير، ومن ثم في التغيير). من تلك القراءات، نذكُر: القراءة الطبيبية أي السليبجابية للتراث وللانثى (الزوجة، الأمّ، الأخت، الابنة...)، قراءة السياسة والاقتصاد وعلم المدُن انطلاقاً من "علم الخطابة" البادئ بابن سينا و"المنتهي" عند ابن رُشد... وثمة أيضاً: القراءة الوجودانية للتراث الفكري، القراءة أو التفسير باعتماد عاملٍ حاسم هو: القوة أو العصبية، الرئيسُ المتألِهن، الشخصانية، المذهبُ الانساني (= الانسانوية)، الفضيلة، الدين، التعاطف والمحبة، العامّة، كما العوامّ، الاقتصاد أو القوت والأرزاق...

* لا يُغفَل أننا قرأنا التراث في ضوء عوامل من نحو طبيعة المنام، ودور المتخيَّل. وهنا يرد تفسيرنا للمنامات الحضارية المفصلية في التاريخ كمنام ابراهيم في فعل وتعبير التضحية بالابن، ومنام النبي يونس، ومنام المأمون عن أرسطو... (را: قاموس الرموز في الذات العربية). وثمة قراءات أخرى جاءت

سديدةً، ومن ثم نافعة تمثّل احدها في تكريس حقلٍ خاصّ بالفكر الهندي انتهاضاً من البيروني اكبر متخصصٍ ضليع في العالم كله بالهنديات والفكر العالمي المقارن؛ لمدة تجاوزت الثمانية قرون.

* أخيراً، قدمت المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة والنفسانيات (م.ع.ر.ف.ن.) تفسيرات مخصوصةً أو لنقُل شبه تفصيلية لشخصيات وحقول، ولمقولات وأشياء (= شَغْلات أو شاغلات وشواغل للفكر)، نذكر منها على سبيل العيّنة: حُلم المأمون الحضاري متفاعلاً مع قول الجاحظ في مكانة ومكان "صناديق الكتب اليونانية" التي انتقلتْ إلى اليد العربية ثم تُرجمت... المعنى المتضمَّن، في القول الجاحظي، بالغُ العمق وذو دلالة حضارية غير مفصوحة. وقولُنا أن العربي ترجمها معناه ومؤداه أنّه انتصر على تلك الكتب؛ أي أنّه تمثّلها، وفك أسرارها ورموزها، وفاز وتَتَطوّر. لم يفتح المسلم مدينة القسطنطينية، لكنه فتح قارّة معرفية، واستولى على ذخائر رمزية، وعلى عقل تلك المدينة وروحها، وحضارتها وجوهرها (قا: الجُنَيْد، في كرامةٍ صوفية، يرحل إلى تلك المدينة، ويتغلب على ملكها، ويتزوج بنت ذلك الملك...).

25- الإصلاح، بحسب المدرسة العربية في الفلسفة والنفسانيات والتربويات، هو مشروع رفضٍ ونقد، تشخيصٍ وتمحيص؛ ثم هو طرحُ مشروعٍ في الاهتداء والتراجع، في التعلّم وإعادة التعلّم، في التحوّل والتغيير والعلاج إنْ على صعيد الشخصية والمجتمع والعلائقية أمْ على صعيد التفكير والعقل، الفكر والقيم، الفعل السياسي والأعراف، وفهمِ الوجود والألوهيةِ والطبيعة.

الاصلاح هو عمل الطبيب، ودورُ القاضي؛ غرضه هو المدَنياتُ بشتى الحقوق الفردية والجماعية، والمصالحُ كما المشاعرُ والانتماءات الأُمَّتية.

وهو، على ذلك، التنمويات المستدامة، والتربوياتُ المتواصلة؛ أي هو العمل الاجتماعي الشمّال والعام والمتوازن من أجل الانضاج والايضاح، وتوسيعِ وتعميق الاشباعات للحاجات الحضارية، وللدوافع العامة والمصالح المشتركة للجماعة والمجتمع. إنه فلسفة؛ بل وغايةُ الفلسفة أو "فلسفتها" ومنطقها.

الاصلاح هو، إذَن، الفكر؛ هو عملُ الفكر في إعادة إدراك الواقع أو الحال إنْ في الشخصية أم في الكل. عطفاً على ذلك، فهو ظاهرة خاصة بالانسان،

ولصيقة بالمجتمع بل هنا ظاهرةٌ موجودة في كل حضارة لأنها هي الحياة، ورحلةُ النوع إلى النجاح والاستنجاح والبقاء بتطورٍ وضرامية، ورحلةُ المضطرب إلى السّويّ. إنّ اعتبار النظريات العربية في الاصلاح لا تُصلّح أو تُشفي الاضطرابَ والحقل، أو لا تنطلق أصلاً من إصلاح الشخصية، اعتبار يستلزم هو نفسُه الاصلاح؛ ويَفْرض إعادة الضبط والتفسير والفهم للفلسفة، للفكر، للتحديث أو الاصلاح في الفرد نفسه، وليس فقط في المجتّمع والعلائقية وفي الحضارة والمعنى.

كخلاصة، الاصلاح الجماعيُّ الرؤيةِ والمنهجيةِ هو إعادةُ حراثةٍ للحقل والنقل، للقيم والعقل؛ وبالتالي فهو، بفعل ذلك، اعتماد نظرياتٍ ومناهج راهنة الخصائصِ من أجل زرع بذور الفكر الجديد، وزرعِ مشاريع الأمل والرجاء، واستراتيجياتِ الطموح والأمنيات أو المستقبلياتِ السديدة كما النافعة.

الاصلاح، في شكله أو ووجهه الثاني، فرديّ. إنه إصلاح المضطرب في الأنا وداخل حقلها، وإصلاح ذلك الحقل؛ أي ضبطُ السلوك والموقعِ الفردي، والعلائقيةِ، وإعادةُ التآلف بين القوى النفسية، بين السّويّ واللاسويّ، ناقصِ التكيف وغير الصالح، القدراتِ والامكانات، المانريد والمانستطيع. في وجهَيْه، الفردي والجماعي، الفكر الاصلاحي نظريةٌ قوامها المتين هو أنها "فلسفة" متواصلةٌ ومتواظبة، متناقحةٌ وغرضُها التغيير الايجابي في الشخصية والجماعة والمجال؛ وهذا، على كل صعيدٍ ومستوى أو نظر.

26- المصطلحات المعادةُ البَلْورةِ أو الصقل والتشذيبِ هي عينها مصطلحاتُ الفكر الاصلاحي، وعقلُ الحكمةِ أو الفلسفةِ العملية الزارعة في حقول العمل والمجتمع والتقييم؛ وفي السلوكِ والتواصلية، وضبطِ التوجّهات والرغبات ومن ثم الحاجاتِ الحضارية، والدوافع الثانية في الانسان والناس، في الأنا الأعلى والمستقبل.

27- **فلسفة التحول**، ومسمّياتٌ أخرى للفلسفة التكييفانية الاسهامية أو التغييرانية المرنة، هي إعادةُ إدراكٍ ثم إعادةُ الأشكلةِ للقيم الحاكمة والمطلوب المرتجى أن تحكُم في السلوك والعقل والتواصلية، في قراءة النقلي والحاضر والمستقبلي. وهكذا، وكشاهد، يعاد تقدير وتثميرُ قولٍ تراثي؛ من نحو القولِ في

المؤسِّس الأكبر: خصاله كاملة مطلقة، فائقة للطبيعة ومُعَصْمَنَة؛ وللشاهد، قيل في فصاحته: "أبلغ البلغاء" إذا احتاج إلى الخطابة كان "أخطب الخطباء... وأفوق من كل فائق..." وأيضاً، إنّه: شرعُ الفصاحة، ومعدن البلاغة، ورئيس الفصحاء، وإمام البلغاء...؛ أفصحهم لساناً، واعذبهم منطقاً، وأسداهم لفظاً وأبينهم...". را: قطاع الأنبيائية (الثعلبى، في عرائس...).

* طال التغيّر كافة الحقول: مناهج القراءة، القيم، فهم السببية والنبوة أو الوحي والدين، التصورات عن الألوهية، قطاع الجنس أو الذكورية – الأنوثة، الأسطورة كما العقل، المتخَّل والايمانيات، الفلفة الوسيطية، الآخر...

28- تَنْقل المدرسةُ العربية، في الفلسفة الراهنة الأبعاد، الخطابَ في إعادة الادراكِ للقيم النقلية من القول في أخلاق وشيم الرسولِ محمد قولاً توصيفياً ومنبرياً، إلى التركيز و"التبوصُل" على قيم هي منفتحة، ودِادية، عشقية، مَحباوية، مسكونيةُ الأفقُ والعُمق... من تلك القيم التي بتْنا نعتني بها ونتدبرها يُذكر هنا، كشاهد:

أ/التواضع: فهذه فضيلة تَنبجس، ثم تسطع في قوله: "لا تفضّلوني على موسى"؛ أي في أنّه " نهى عن تفضيله" على الأنبياء الآخرين (عياض، صص 438-443؛ أيضاً: ص439).

ب/ سَمِع يوماً هرةً تموء؛ سأل عن الأمر فقيل له: إنها عَطْشى. طلب لها الماء ؛ وأوصاهم خيراً بالحيوان، ثم قال للجميع: يا عِبادَ الله؛ أيُها المؤمنون الأُخوة: إنّ من يَسْقي هِرّة عطشى يَرْحَم؛ ويُرحَم ... الرحمة والرحمانية قيمة القيم عندنا.

ت/ مّما يؤثّر ويتأثّر في تكوين الفهم التحّولي للنبوة، وللاسلام وقيمه ومعناه كتجربةٍ تاريخية حضارية كانت ضراميةً ومطوِّرةً للحياة والناس والقيم، يُذكر أيضاً: قول الرسول للناس وهم يرون المرأة تحنو على وليدها: "... إنّ الله أحنّ على الناس (الانسان، البشرية، العالمين) من هذه المرأة على رضيعها".

ث/ كان يسيرُ في طريقه حذِراً من مضايقات القُرشيّين. إلْتقى برجُل ينهر دابته التى كانت تَنوء تحت حملٍ ثقيل؛ وكان الرجل يضربها بغير شفقة.

نَظَرَ المصطفى ثم قال: أيّها الناس إنّ فِعل هذا الرّجُل بلا رحمة. ومَنْ لا يَرحَم دابَّتَه يَظلمها ويَظلم نفسَه... والظُّلم هذا ليس من شِيَم الكرام والرُّحماء، ولا هو شأنٌ يرضاه الغفور، والرَّبُّ الرَّحمان الرحيم.

* العلماني، والباحثُ في الصحة الروحية، ولا سيّما في الصحة الحضارية الراهنة/ المستقبلية، أقدر من السياسي التقليدي المعهود، ومن العقل الخليفاوي، على تدبُر القيم التي صيَّرتها فعالةً ساطعةً الفلسفةُ أو الحكمةُ العملية الراهنة، والتفاسير المستقبليةُ والكونيةُ الإدراك والمعنى أو المساحةِ والمرتجى.

29- قولُ المدرسة العربية في علم الاجتماع والانثربولوجيا وعلم الحضارات قولٌ أسَّسته الحاجة والدوافع الحضارية. فقد ظهرت النظرية عن مدرسة عربية في علم الاجتماع، وعلوم مجتمعية مجاورة، على أسطع وجه، في الجزء الثالث 1978 من "موسَّعة التحليل النفسي للذات العربية". تتواضح وتتناضح تلك النظرية مع النظرية عن المدرسة العربية الراهنة في علم النفس، والالسنية، والتأرخة؛ وبخاصةٍ في الفلسفة والفكر وروحية العلم، في الحقوق المدَنية، في العلمانية والمجتمع المدني، في القانون والسياسة، في التشريع والادارة.

30 – تأهيب الشروط والبعُد العالمي والأنا الجمالية- في تربية قطاع الفنون داخل المجتمع والنحناوية والشخصية- كان فكرة شبه هجاسية قادت إلى القول بالاسهام العربي المخصوص والاسلامي بعامة، في حوض الحضارة البشرية والدار العالمية للفنّ والجمال. تأسست النقدانيةُ الحضارية الاستيعابية، وهي عميقة النّقّابات واسعة الجرّافات، على تعميقٍ وتوسيعٍ متكامليْن متناقحَيْن لمبدأيْن هما، في مجال التربية الفنية وتنميات الفنون، المتحفياتُ والآثاريات كقطاعَيْن يشددان أو يقومان على لابدّيةِ وضرورةِ تأهيب الفضاء الثقافي الملائم لانبات الاهتمامات والابداعات الفنية، ولتعميق حرية تفاعل الأنا الجمالية مع الشروط المحلية والعالمية بايجابية وإسهامية...نستوحي، هنا، المدرسةَ العربيةَ الراهنة في الفنون والجمالية، أو في فلسفة الجميل والقبيح؛ أي في الحُشْنيات (بالشين المنقوطة) على ما كانت تعنيه، أصلا، كلمة الحُشن عند السابقين.

31- يُلتقَط المذهبُ الانصياعي، الانصياعيةُ الفكرية كما الدينية- السياسية، في الاخلاقيات، في الأعراف والتقاليد، كما في التعليم والتربية والآدابية

والينْبغيات، والوِعاظةِ وقطاع الخُطب الجُمعَوية. ألحَفَت على ذلك المذهب المدرسةُ العربية الراهنة في الأخلاقيات (=علم الاخلاق، علم الفضائل، الفضائلية)، وفي المعايير والموازين، وفي فلسفة القيم. لا تبدو الانصياعية إطاعةً تنبع من الداخل؛ وهذا في حين أنّ نظرية الانصياع هذه قسريةٌ إرغامية، قهرية، شبه بيولوجية أو نفسية انتحائية.

32- لعلّ كتاب "الصادقية والتصوف وعلم أحوال النفس ومقاماتها" حَمَل وقدَّم في طبعته الاولى، الممنوعة من قِبل "رجال الدين" أولاً، نظريةً مخصوصةً في الألوهية المتجذّرة المتحيِّنة في الوعي واللاوعي الثقافي عند الانسان في مجتمع وبين جماعة، وفي الطبيعة والتاريخ، وأمام الألوهية أو المطلق. كما قدّم أيضاً ذلك الكتاب نظريةً مخصوصة خلاصتُها التوقدُ بالقيم الجديدة، قيمِ العشق الالهي والتعاطف، المحبّاوية والتراحمية... لا تبدو تلك النظرية، بوجهَيْها، غريبةً على الناس؛ وهي فهم للألوهية والقدرَ ومن ثم للدين وشعائره غير تاجِرية، وغير قاهرةٍ للارادة والوعي والحرية، وغير متعصّبةٍ أو متعنّتة بقدر ما هي توجِّه شطر ما هو مِنّا وما هو فينا؛ أي ما هو فيّاوي؛ دواخلي، نوايا ومنزَّه وطوايا.

* مع القول في هرم الحاجات الحضارية عند الفرد والمجتمع والأمة، اللغةِ والفكر والمعنى، يتصاحب القولُ في الهاجَرية أو التعبّدِ فيما قبل البِعثة النبوية، وفي طريقة استكشاف المعنى المدفون والحَدث المؤسِّس للتضحية، وللتصوف وصوفة. كما يتصاحب أو يترافق أيضاً التقاطُ الجذور الأقدم لمصطلحاتٍ أو مناسك تعبّدية من نحو: إشاعة النفس، الإله شَوْع أو شَيْع، التسيّب أو نذرُ النفس لله مجاناً، بل وحبّاً بالله والكعبة وأهلِ الكعبه؛ فهنا نجد المعنى الجاهلي، الأصلي أو الهاجَري، لمصطلحاتٍ من نحو: أهل البيت، الشَّوعي، شَواع أو شَوع، الاستشياع والمشاع أو التمشيُع الجاهلي (قا: معنى مصطلح أهل السُّنة، قبل الاسلام؛ را: معجم اللاوعي الثقافي – الديني أو الهاجَريات).

33- فيما بين خصائص الأريكة العربية في قراءة الشخصية كما التجربة، والخطابِ كما الادراك أو الحالة، تَبرز خاصيةُ منهج القراءة. فهذا المنهج "جهاز" يستكشف اللاواعي والمكبوت؛ المتضمَّنَ والغوري، اللا مفصوحَ والطفولي في الشخصية والنوع البشري، الدفين حياً وَالمَنْسي، أعماقَ النفساني وخفايا أو خبايا

وطوايا الذاتاني والمقموع، المتخيَّل والايماني كما الميثي والحدسي؛ وبخاصةٍ ما هو رمزي وحُلمي واستعاري.

* من القراءات العديدة، التي قامت بها المدرسة العربية في الفلسفة والنفسانيات والفكر والمستقبل، نذكُر: القراءة الوجودانية للتراث، القراءة الاقتصادية، القراءة تبعاً للعوامل أو القيم الأمَّهاتية كما الإناثية كالرحمة والمحبّاوية... بَيد أن القراءة الحُلمية؛ أي التي تعتبر الحلم والمتخيّل أداةً صالحة لتفسير التراث والتديّن والنبوياتِ، والأنبيائية على نحوٍ خاص، هي القراءة التي نقّدمها، هنا والآن، ممثِّلةً لسائر القراءات أو التفسيرات، والادراكات أو الصياغة الاحصافية تبعاً لنورٍ واحدٍ وحيدٍ هو، كما سيلي، المنام "العظيم":

33-2- حالة النبي يونس يبلعه الحوت، ثم يخرج من بطن الحوت متحوّلاً مهتدياً ومهدَوياً، قد تَتَفسر على غرار تفسير الحُلم بحسب طرائق الأريكة العربية الراهنة. هنا تكون تلك الحالة أمام العقل المحلِّل نفسيا وبيولوجياً بمثابة منام يُعبِّر عن مكبوتاتٍ وتجارب طفلية، بمثابة كابوس أو في حالةٍ يرى فيها حالمٌ نفسَه مبتلَعاً من قِبل حوتٍ أو سمكةٍ كبيرة. هنا يكون التفسير كشفاً لمشاعر بالذنب، ولمشاعر بالندم وغسل الآثام والخطايا، ولتوقٍ إلى الاهتداء والخروج في الناس لاعلان اهتداءٍ إلى حقائق جديدة؛ وليس فقط لتوقٍ إلى التطهّر والتبلسُم، إلى التفريغ ثم التحقق التكامليّ ببُعدَيْه الفردي أو الشخصي والجماعي. هنا، كل شيء يجري داخل شخصية الحالم. فالحلم يُمسْرِح حالة اهتداء بعد حالةٍ كانت غير مرغوبة، مرفوضةً ومنكَرة.

هنا، تتحقق أمنيةٌ بقتل ماضي الشخصية، والانتقالِ بها إلى مرحلة جديدةٍ أوسع وفاضلة... رميُ النفس في البحر القاءٌ بالذنوب والتجارب المريرة إلى البحر، إلى النسيان والغياهب. وابتلاع الحوت للانسان، في تلك الحالة أو المسرحية مفسَّرةً كما منام، تعبيرٌ عن وقوعٍ في الخطيئة أو في الشرور والمفاسد. وبقاء الانسان في بطن الحوت طيلة بضعة أيام، ثم خروجه مُعافىً ومهتدياً ومهدَوياً، هو بقاؤه في تلك الأزمة والاضطراب. هنا مشروع تراجعٍ واهتداء؛ إنّه مشروعٌ يعلِن عن التحول إلى قيم جديدة. وذلك المشروع هو عينه ماضي ومستقبل الشخصية، وتعبيرٌ عن تغيّر مرغوبٍ في الوعي والحياة، وفي الأيديولوجيا والقدَر والمصير.

من المؤسف، وغير المؤسف معاً، أنّ الأسلاف، كالصوفيين وبعض الفِرق الاسلامية المغالية، التقطوا ذاك التفسير؛ وهذا، في حين أنّ الفهم الحَرْفاني والأحاديَّ للنص النبوي يَرفُض كلّ ذلك، ويمنع ويهدِّد (قا: تفسيرنا لمنام إبراهيم، منام يوسف وتأويلاته للمنامات، المنامات في الواقدي، منام المأمون "منام" الجاحظ في ترجمة كتب اليونان).

34- لم نعتبر تفسيراً ناجحاً، فعالاً وحقيقياً، التفسيرُ بعامل قَطْعي حاسم، نهائي وأحادي، أحسمي أو جامعٍ مانعٍ؛ بعاملٍ هو من نحو: العصبية، القوة، العقيدة، المناخ، الأرض، الموقع على البحر، الاستراتيجيا، السلاح، المجتمع، الحظّ، الصدّفة، القَدر، الاقتصاد كالذهب أو الثروة والترف، البطل، العِلم، الجديد، مستوى الحضارة...فتفسير التاريخ والحرية، الوعي والانتصار، قد يكون تفسيراً تزاملياً، وتفاعلياً تعددياً تتكامل ضمنه العوامل والأسباب، بل والديناميات وأسرارُ الفوز الاستراتيجي.

في التفسير الدوغمائي، الأحادي، يكون اعتبار **الغيرة/الحسَد** مفسِّرةً وحيدةً للعائلة والبقاء، للخصام بين الأخوة ولعقدة قتل الأخ؛ ومن ثم مفسِّرةً للمسلم أو لاعتباره حالةَ غيرةٍ مَرضية، بل ولأمراض عصابية واضطراباتٍ علائقية وحتى عقلية... ويكون التحليل البيولوجي (التطوري، الداروينيِ) للغيرة، والمنافسةِ بين الذكور حول الأنثى، خاضعاً لقوانين النشوء والتطور، البقاء والاستمرار؛ ومفسِّراً للصالح ومن ثم للأصلح، للانقراض وبقاء الأقوى.

35- كان غرض المقابسة ومطارحة الأفكار، في قسم الدراسات العليا، الدراسةَ التعقيبيةَ للغوريات والمكبوتات "فيداخل" الغيرة عند الأنثى. هنا تكون المناهج نَوعَيْن: التحليل النفسي الفردي؛ والتفسير البيولوجي التطوري، أي تفسير طبيعته ونشوئه؛ بل ومساره ووظائفه عند النوع. من بين المظانّ التي تُلتقط فيها الغيرة/الحسد، نذكرُ للشاهد تحليلَنا أدناه، أغنيةِ فتاةٍ تشكو غيرةَ حبيبها؛ وسبق أنْ حلّلنا الغيرةَ في الأمثال والمأثورات والحكايا كما في الأساطير الشعبية (قا: الغيرة بين الزوجتَيْن أو الأخوَيْن، بين الزملاء، بين الانتماءات الفرعية، بين القيم، بين حلقاتٍ مجتمعية، بين الجماعات أو الأمم).

36- تكون وتنشأ الغيرة بين الأخوة (داخل الأسكوبة/ الرواية/ العائلية)، أو تُفسَّر، تماماً كما الغيرة في تجارب النوع البشري الموغلة، ضروريةً لبقاء

النوع؛ وللتكيّف البيولوجي الضامن للبقاء والاستمرار، لعدم الانقراض وللتطور.

* في الكرامة الصوفية يُلتقط، عند القيعان والجذور المطمورة المنسية، حَسَد قدرات الطبيعة، وحسَد النبوّة. ويُلتقط أيضاً، حسدُ المطلق عند "أولي الألباب"، وحسَدُ الله تعالى عند الصوفيين، والكثيرين من المفكرين أو "الخلاّقين".

37- يكون الشعور بالمرارة عند الفرد، ويكون أيضاً عند جماعةٍ أو شريحة، وعند وطنٍ أو في أمّة. وكما يشعر موظّفٌ بأنه مغموط القدْر، مغدورُ الكرامة أو مهدور الحقوق، فإنّه يشعر بذلك، أيضاً، الوطنُ أو الأمة، جماعةٌ أو طائفة، أو حتى أكثريةٌ داخل أرضها وتاريخها، في معناها وحضارتها، في قيَمها ولغتها.

المعرفة عند فرد، وتماماً كما هي على صعيد الوطن أو الجماعةِ أو الأمة، سلطةٌ. وهي قدرات؛ ترعى وتحكُم بقوةٍ ومطلقيةٍ في السلوك والوعي، في الشخصية وداخل العلائقية مع الآخر، أي في المجتمع والسياسة والفكر. معرفة الذات، كمعرفة العالم الخارجي، مشكلة أولى أمام عقل البشريِّ والبشريةِ في الطبيعة والتاريخ والقدَر.

38- التعاملية بين الجامعة اللبنانية والجامعات الأجنبية في لبنان التي سبقت إلى إنتاج المعرفة والابداع، هي عينها التعامليةُ بين فكر النَّحنُ وفكر الأنتُم. التواصلية تكون عقلانيةً وحرةً إنْ قامت واستمرتْ على نحوِ أفقي وتعاضدي، تفاهمي وتوادُدي، تكافلي وتشاركي وتراحمي، تعاطفي ومَحبّاويّ.

التعاملية الحقّة، بين مفكرٍ في الجامعة اللبنانية وجامعيٍّ آخر كان سباقاً، باتتْ مهذّبة، أندادية، أطروحيةً، حرّة. المفكّر، عند المستعمِر القديم، كالمقنَّع راهناً، متعاملٌ ومنتج للمعرفة مشبَع بظلمه لغيره؛ وبالانظلام أمام دولةٍ أوروبيةٍ أطول منه باعاً في المعرفة. فالمعرفة مقياسٌ أو معيار، ميزانٌ أو محكّ...إنها كل السلطة، أو السياسةُ كلُّها وبرمَّتها.

* تحترم الجامعاتُ في العالم تعامليةَ الفكر الهندي، كما الروسي وأضرابه، مع الفلسفة وشتى علوم الانسان أو المجتمع الحاضرةِ داخل الجامعة في أوروبا الغربية.

39- حروب المعرفة كانت حروبَ لغات. لقد أبرزت الجامعةُ اللبنانية تآفل ثم تراجع الرغبةِ بالسيطرة المعرفية وإرادةِ الامتلاك والاستئثار بالعلوم، عند الجامعة الأجنبية المسيَّسة في تعامليتها مع جامعةٍ داخل أمّةٍ كانت المعرفة فيها مغلولة؛ ومن ثم مقهورةً أو مهدورةً من قِبل من كانوا القادرين.

بين جامعَتيْن، اللبنانية وفرع جامعة الاسكندرية في بيروت، قامتْ منافسة مستورة، طيلة بضعة عقود. أثّرت المعرفةُ في تغيير مفاصل داخل الفكر الجامعي في لبنان، وبخاصةٍ في اثراء ذلك الفكر وتنويعه، بلورته ورفعِ مساحته، تعيينِ قطاعاته وطِباقاته (= رزائحه).

40- الانزياح شطر الإقرار بفلسفة عند الواسْب (الانكلو-سكسوني، الأبيض، البروتستانتي) داخل جامعاتٍ شبه إنعِتاقية، انزياحٌ أتاحه السياسي؛ ثم وقّده التحوّل والتغيّر، أو التراجع والاهتداء داخل المجتمع وفي الشعب، وداخل وعي الفرد وعقله كما مفضّلاته الثقافية الواعية كما الاختمارية والمحجوبة.

41- يُعدّ عمل الطيّب صالح (را: ترجمته إلى الانكليزية) بمثابة إعطاء شكل أدبي للنظريات في الجنس واللاوعي الثقافي، وفي المتخيَّل والألوهية والعلائقية، وللصراع بين الابن القاتل لأبيه ومن ثم الساعي للانتقام له مِمَّن أذّله أو كسره واعتدى عليه.

نعتبر، في الاريكة العربية للتحليل النفسي، أنّ الصحة الحضارية للفرد، على غرار صحته الأخلاقية (الروحية) أيضاً، تُمثِّل وتُرمزِن الأمر عينه في المجتمع والوطن، في الجماعة والعلائقية والأمة. الفرد والكل، الأنا والنحناوية، يتبادلان؛ يتساكنان ويتشاركان، يتشابكان ويتفاعلان.

عملت الأريكة العربيةَ على أن يُعيَّن كتاب الطيّب صالح، من بين روايات عربية كثيرة جدا، بمثابة مقرَّرٍ دراسي جامعي؛ وعلى الطالب، في التحليل النفسي والأدب والنفسانيات بعامة، أنّ يتمثله، أن يستذوته، أن يتمرّن ويتعلّم طرائق التحدي والاقتحامي والنقدِ الحضاري، ثم الاستيعابِ والتجاوزيِّ والتخطّي.

42- لِصوغ (سَكْب، سَبْك، صُنع) كلمةٍ تدل على العلم، علمِ الانسان أو علم اللغة، كشْاهد، أساليب عديدةٌ تُطرح على الجميع؛ وتبقى للمجمع اللغوي كلمةُ

الفصل. وذلك الصوغ يكون، أولاً: باعتماد اللَّصق أو الضمّ؛ وهنا نقول: العلمُنَفْس، التحليلنفس، النفْسبَدني. ب/ويمكن لذلك أن يكون قياساً على كيمياء، فيزياء؛ فنقول: إعلامْياء، أرضْياء، مجتمعْياء، رمزياء، حُلمياء. وأيضاً، على وزن الدّماغيات، السياسيات (علم السياسة)، النبويات، الإلهيات؛ فنقول: حُلميّات، رمْزيّات، خيليات (علم الخيلة). ويَصلح أن نقول: سِلْمانية بمعنى فلسفة السِّلم، الفكرانية بمعنى النظرية أو المذهب أو الفهم والادراك للفكر. وهناك كلمة إناسة، أي علم الانسان؛ الرِّمازة: علم الرمز؛ الصِّوارة: علم الصورة.

وقد يأتي مهووسٌ آخر بالخَلْق المَرَضي لألفاظ خاصةٍ به، فنوافق معه على القول: علمو–مجتمع... والأدهى هنا هو: مجتمعْ–لوجيا، نفسْ–لوجيا.

43- بين موضوعات التحليل والمقارنة، ثم المحاكمة أو المقاضاة، داخل النظرية أو المشاريع العربية الراهنة، يرِد: علم "الأوهام" (الأوهاميات، الوهميات)، علمُ الخيلات أو الصوَرِ غير الواقعية عند الصابر (البطل، المُعاني، الذات الفاعلة، الفاعل) عن نفسه وعمله، أفكاره وأحكامه الذاتية، نفسانياته ومعتقداته. يُدرس ذلك الغَرض في حقولٍ عديدةٍ؛ منها: الرئيس العصابي الذي من مسمَّياته: الظالم، الطاغية، المريض المُمرِض، المستبد المتفرّد...؛ وثمة أيضاً: حقل الأوهام الخاصة بالقومية، الأُمَّتية، الهوية، الحقيقة، الغرب، الأصولي (بغض الطرف عن الدين أو الحزب، الوطن أو الطبقة أو درجة المعرفة)...وثمة أيضاً: علم الأوهام عن: الذات، القويّ، العِلم، السلطة، الصورة، التكنولوجيا، الفلسفة، الانسان، المحض...

44- اعتنت المدرسةُ العربية في التربويات ونفسانيةِ الطفل بأن تكون التربية المبتغاةُ تشمُل الحياةَ برمتها؛ وبأن تُعزّز التحسين الأكثر فالأكثر في التفسير والنظر إلى الطفل وعلم نفس النمو؛ وعلم النفس المدرسي والتربوي؛ وبأن تُحدِث ثورةً في دراسة المعرفة وتطور التفكير عند النوع وعند الطفل، وثورة في المناهج والأساليب التعلّمية والتعليمية. يُستدعى أيضاً: علم النفس المعرفي، علم نفس تكوين المعرفة.

45- وردَ في لسان العرب تحت كلمة **ربّ** (ج1، ص399) أنه من أشراط الساعة أنْ ...، و"أنْ تلِد الأَمَةُ ربَّها"... تَستدعي هذه "الحالة" قولةً مؤداها أنّ

"فاطمة أمُّ أبيها". ومن المعاني للأم، في هذه القولة، معنى ظاهر أو ميسور مأنوس مفاده أنّ البنت تكون في قلب أبيها، أو تكون رمزاً لأبيها، وشديدة الحبّ له... أما المعنى الباطني، الاسماعيلي تحديداً، فلا هو من موضوعنا؛ ولا هو موضوعيّ.

46- تعود الفلسفة الأخلاقية الراهنةُ إلى السعادة أو المذهبِ الأخلاقي (السَّعادَوية) في الخير الأسنى؛ فهذا مذهب يختلف مقصَداً ومضموناً عن اللّذّانية ، المذهبِ الأخلاقي الذي يجعل اللذّة غاية قصوى للناس أفراداً هم أم جماعات، وللعُمر أي للحياة، وللفِعل بخاصة؛ وعلى وجهَيْن: مادي واعتباري (روحي، معنوي، مثالي...).

السَّعادوية، راهناً، نظرية في الأخلاق قد تُعرَّف على نحو غنيّ موضِح ومُسطِّعٍ لمقارنتها مع النظرية في الفوزيَن، الفوزانية، المادي والمعنوي، الجسدي والروحي... السعادة في المعنى المحجوب، أي المتضمَّن بل والدفين "المنسي"، فعلٌ تعبّدي مقدّس، وشعور معنوي مُربِح. إنها سعادتان أي فوزان: نفسية ذاتية؛ وموضوعية مرتبطة ومتواشجة بالمجتمع والبيئة وكافةِ الشروط الاجتماعية والتاريخية، المالية والمادية.

السعادة فعلٌ تَعبّدي يُرفع للمألوهات المانحة والرّازقة والمقدَّسة؛ وبذلك المنسكِ، الطقس أو الاحتفالِ التعبّدي يَسعَد المتعبِّد للإله سعد ويطمئنّ، يكسب ويرتبط بآلهة الخصوبة والرزقة، بل والخيرِ والخضرة والحياةِ المُسعِدة والإسعاد.

السعادة مرتبطةٌ بآلهة السَّعد والقداسة. هنا يَسطَع أنّ اليمن السعيدة هي اليَمَن المتعبِّد لآلهة الخير والانبعاثِ؛ وكذلك فانّ الاسم الجاهلي سُعاد معناه الينبوعي، أي في التجربة الأصلية عند الجذور وفي الاعتقاد الأقدم والمؤسِّس، يُعبِّر عن السلوك والوعي داخل قطاع المتخيَّل المتعلِّق بالبركة والوفرة، بالمقدَّس واستجلاب المواسم الوفيرة، بل والاطمئنان والاستمرارية.

47- نافع وسديدٌ أن يُشك برجال الدين أكثر مما يُشكَّك بالدين، وحتى بالتدّين نفسه. والمعرفة قدراتٌ وسلطة، مهاراتٌ وأدواتُ تطوير الناسِ والطبيعة والحياة. لكّن رجال المعرفة هم الأضعف في العلائقية بينهم وبين السياسي؛ وأهل السياسةِ هم الاقدر على تثمير المعرفة وتوجيهها شطر المسيَّس، والنافعِ للسلطة والأيديولوجي وأهل الثراء والشراء.

48- حَسَدُ اللغة الأوروبية، الغيرةُ من الكتابة بالحرف اللاتيني، "مَرَضٌ" نفسي وحضاري. هنا عُصابٌ لغوي – فكري تشكو منه لغاتٌ عظمى في العالم، وضمن مسار العولمة بظواهرها وحقولها على كلِّ صعيدٍ أو قطاع. ذلك الحسَد هو، عند القاع والأعماق أو الغوري كما المطمور، حسدُ الجبَروتية التي تتمظهر أيضاً في الغيرة من الألوهية والطبيعة، ومن الجبروتيّ وكلّيِّ الحضور، ومن الغنيِّ الفائق، وكثير النّجاحات، والحضارات القوية، والأمم الصناعوية جداً وبتعقُّدٍ لا يُحَدّ. وتَتَمظهر الغيرة المذكورة في حَسَد السلطة أو الخليفة كما السلطان، المرأةِ الولود والشيء الجميل؛ ويُحسد الطائر، والحيوان القويّ، والآلة المرعبة، وكلّ ذي مهارة أو قدرة.

49- في المقالات "الجرائدية" الأولى، ثم داخل الجزء الأول من "موسَّعة التحليل النفسي للذات العربية"، أمسكتُ بعاملٍ أساسي وقاعِديٍّ فعّالٍ هو في تطوير العائلة ثم المجتمع والمستوياتِ المعيشية: كان هو نزول المرأة إلى العمل والتعلّم من خلال الخِدمة والعيش في المدينة. وعند قمة القرن العشرين، صار مبذولاً "متفقاً عليه" الانتباهُ إلى أنّ العاملات القادمات إلى لبنان من بلادٍ أسيوية صديقة ينقلن معهُنّ، عند العودة إلى الوطن الأمّ، عاداتٍ وتقاليد هي ظواهر أو "لغةٌ" عالميةُ المستوى في شتى حقول تطورِ البشرية.

* لكأنّ مرأة الحانة، في ملحمة جلغامش، رمزٌ لدور المرأة في النشوء والبقاء؛ أي في تكوين البشري المترسّخ المتجذِّرِ في سياقاتٍ وتاريخ، في أرضٍ بل وطبيعةٍ وحضارة.

50- يتلاقى محمد عبد الرحمن مَرحَبا، جيِّداً وجدّاً، مع العفيف الأخضر. كلاهما ملحِد؛ كلاهما مسخِّف مبخِّس للنص الديني. طالَبْنا زميلنا مرحبا، داخل المدرسة العربية، بالهدوء والارتياح، بتخفيف مشاعره وكراهيته حيال الدين ورجاله، وبتهذيب وصقل سخريته المتلذِّذة بالتجريح والتلطيخ للمقدسات والآيات القرآنية. لم تتدخل جماعة المدرسة العربية في الفلسفة والنفسانيات بهدف إقناعه أو إسكاته، وصرفِ غضبه وحسَده المقنَّع المتضمَّن تجاه الرسول والرسالة واستغلال السياسي للدين.

مرحبا، كبقية الزملاء، لم يكن يوماً ساكتاً عن حق الفلسطينى. كما هو يبقى من المتحمّسين في رفضهم لاحتلال فلسطين، وطردِ أهلها، والتغطرس الفارغِ في سلوكات وأيديولوجيا السياسي اليهودي في فلسطين المعتدى عليها أو المهدورة المغدورة.

51- التفسير التحليلنفسي للحروب بين الأخوة الصغار داخل الأسرة جيّد ونافع. إنّه أهمّ وأولى بالنظر، وباستكشاف الغوري أو الثاوي والهاجع، وبصوغ "قوانين"، ومبادئ أو قواعد. ولا يحق له أن يلغي التفسير النوعَوي، البيولوجي، التطوري أو الداروينى.

أبدعت الرواية العربية في تعقب العنف النسوي، كشاهد؛ أيكون الأمر مفسَّراً بالعلاقة مع الطفلة داخل الاسرة؟ المرأة عنيفة؛ وذات مهاراتٍ وكفاءاتٍ على خلق تعامليةٍ عنيفةٍ مع الزوج، مع الرّجل أو الجنس الذكوري بعامة. وعنف المرأة هذا رمزيّ، إنه نفسي علائقي؛ طفليُّ المنشأ. وهو إنْ عجِز عن أن يكون جسدياً، حسياً؛ فهو أيضاً نفسَدي، نفسبَدَني؛ وجنسي أو أنثوي بيولوجي على نحو خاص.

ذاك العنف على الرجل سهلٌ استقصاؤه؛ ومن عوارضه وتشكّلاته التقاطه في الإقلاق، وما يقال إنه "نكَد" نسوي، وتوتير الجو المنزلي، والعناد كما الممانعة، والصمت، وتوظيف الأطفال ضد أبيهم، وإثارة الغيرة.

*ربما يكون كشف الدوافع اللاواعية المنتجةِ للطلاق النفسي وعنفِ المرأة، اهتماماً توقف عنده كثيراً المحلِّل النفسي داخل الأريكة العربية ودارها المستقلة الإسهامية.

تلك الاهتمامات، ودائماً بحسب علم المرأة وعلم النفس الأُسري داخل تلك الدار التحليلْنفسية، يُذكر: أواليات الدفاع في الطلاق؛ أي في الطلاق الدفاعي (للتعويض، للهروب؛ وقد يكون للانتقام، أو نكوصاً، أو مرَضياً وغسلاً وتطهراً، خفضاً لتوتر أو قلَق...). الأهم، في دراستنا للطلاق الدفاعي هذا، أي الاحتمائي والقاصدِ لاستعادة الاطمئنان والتوازن النفسي، هو أننا اعتمدنا الدراسة الميدانية أو التطبيقية، التجرّبية أو الأمبيريقية.

52- النبي يرفع اليد الخشنة لعاملٍ يسعى في سبيل العيال؛ وبعد ذلك فهو يمدحها، ويباركها ثم يقبّلها.

العقل العربي الراهنيُّ المنهجِ والرؤية (= الراهناويّ) هو الانزياح إلى نزعِ الفظاظة والقسوة والعنف عن الرسول والرسالة؛ وكذلك عن التديّن المعاصر والراهن، بل والمستقبليِّ على نحو خاص؛ ومن ثُم فهو العقل الموجَّه المرفوع إلى الدار العالمية، إلى النزعات المسكونية، إلى الفكر الكوني والثقافة الكونية، إلى البشرية المتجذرة في هذه الطبيعة وهذا التاريخ.

53- في مشروع إعادة الادراك والتعضيةِ للعلوم الانسانية مبدأ أساسي هو أنّ القراءة للتراث غدتْ تجري تبعاً لمبدأ التراحم والتحابُب، واحترام المختلف، ورفضِ التعصب والعنف، والانزياحِ عن ربط السياسي بالتديّني، والانتقال إلى قيم التوادّ والتعاطف، أو إلى حق الانسان (=الناس) بالكرامة والعدل الاجتماعي، بالمساواة والحرية والمشاركةِ بالاقتراع والقضاء في صنع الفعل السياسي وتشذيبه ومراقبته.

54- ظاهرة التمسرُح أو المسْرحةِ لأمثال، ومأثوراتٍ شعبية أو قولاتٍ، ظاهرةٌ نافعة؛ والأهم هو أنّها مسلِّية، لهوانية، وفنّ. كما هي تتوضَّح باستقدام الصوغ الثاني، الإحصافي، للحلم؛ وباعتماد طرائق تفسيرنا لطبيعته ووظائفه وسيروراته.

*رفضت المدرسةُ العربية الراهنة، في إعادة الإدراك والتعضية للفكر والمنهجيات والتغيير، إرادةَ الانتاج والمحاكمة أو التفسيرِ والفهم والتأويل المنطلقةِ من سَنَديةٍ قوامها مَثَل أو حكمةٌ شعبية. إنّ توظيف مثَلٍ لتوضيح ظاهرةٍ نفسية أو مقولة (عادة، مَيل، غريزة، عاطفة، حقيقة، قيمة، موقفٍ أو قانون) هو توظيفٌ اعتمادي شبه طفلاني ثم اتّكالي، يكِلُ الأمرَ للموروث والمخزون والجاهز... لكأنه عملٌ كهلانيُّ النزعةِ والأجهزة والتحليل، نكوصيٌّ وحنيني.

55- السِّلماوية العربية- العالمية نظريةٌ في "السلم العالمي" قوامها وروحيتها السِّلمُ فيما بين قوى الشخصية، ما بين الخائلة والعاقلة (المخيالِ والعقل)، ما بين الأفراد داخل المجتمعات الأوسع فالأوسع وصولاً حتى المجتمع المسكوني. السِّلم يكون، والحالُ هذا، بين الأنا والمجال، الناس والطبيعة، الانسانِ والثقافة، البيولوجيِّ والفكريِ، الممتدّ وغير الممتد، المحسوسِ والنظري، الذاتاني والموضوعاني... هنا السِّلم الايجابي إسهامٌ في تزخيم التواصلية العقلانية،

والتشاركيةِ والأفقية التضافرية، والفرديةِ كما الجماعية، والشورانيةِ نزعةً ورؤية. على هذا، السّلماوية النفسية الفلسفية تغدو خطاباً في الصحة الأخلاقية والحضارية، الوطنيةِ كما الأُمَّتية، والكونية كما المسكونية.

* السلماوية عملياتٌ وسيرورات هدفها إعتاقٌ للنظر والسلوك الذي قد يبدأ، على سبيل المثل، بدعوة دول أوروبا المكتظّة (سكاناً، بخاصة) للتغيير والتطوير في تعامليتها مع العربسلامي الراهن بشفافية وحتى بلياقةٍ، وباحترام لحقوق الأمم بالاستقلال، وبالتعاونِ؛ وليس بازدواجية القيم أو بالاستكسابي، وألهنةِ الاستنفاع، وتبرير الاستغلال.

* السِّلْماوية، إذَن، نظريةٌ قوامُها في تدبّر ونقدِ الحروب الأوروميركية المعاصرة والراهنة. ومن هذا المنظور فهي أيضاً نظريةٌ في تدبّر الدوافع إلى السياسات المتشنّجة المستأنفة، على نحو ملتبسٍ وإلتهامي افتراسي، للاستعمارَيْن الفرنسي والانكليزي وأضرابهما من التوسُّعيين الجُدد، أو التمدُّديّين بافتراءٍ، وبعدوانية متميِّزةٍ ومميَّزة داخل دار "الاستثمار العالمي الراهن". تُستدعَى، هنا، للمقارنة، النظرية العربية الراهنة في السَّلام.

56- تميّزت الأريكة العربية بعدم الغرق في المبالغات والافتراضات والعقيدانية (= الدوغمائية)، وفي تفسير كل شيء، وكّل شيء في كل شيء، بالجنس، بعُمر الطفولة، بالمحجوب، بالغريزي، بغرائز الموت وغرائز الحياة...(را: بقية المؤاخذات أو المطاعن).

الأهم في هذه "اللائحة الإتّهامية"، أو المزعزِعةِ لتيارٍ محلي متشددٍ داخل الأريكة العربية، هو رفضنا للاسراف في تقدير اللاوعي والانطلاق منه باعتباره الأساسَ الوحيد والمنصّة، النبع وقانونَ القوانين، الحقيقة والمطلق. ونحن نقول: إنّ إهمال الوعي إغفالٌ لدوره وطبيعته، ولأجهزته في تفسير وتطوير الأنا والأنا الأعلى؛ أي الشخصيةِ والحرية والتاريخ، أي الانسانِ المنغرس في تاريخٍ وطبيعة، في لغةٍ وثقافة، في طموحاتٍ وأرض وسباقات.

الأريكة العربية إدراكٌ كُلّيّ، ثم إعادةُ إدراكٍ، للوظائف والمعنى للمخيال، للمتخيَّل؛ ولقوى نفسية يستبْعِدها بل ويكرهها العقل التقني؛ التطبيقي أو العلْمي، (الأدواتي) والآلوي، الصّناعوي... بعبارة أخرى، هناك لغةٌ عالمية هي الخيلة أو

المتخيَّل، الصورة أو الخيلة، القوةُ الحادسة (الحدسية) أو المِحْداس، المعتقِدةُ والمتوهِّمة. ذاك تقديرٌ أو احترامٌ يوصف به، على الأتمّ والأكمل، حالُ العقل والفاهمة الواعية والعاقلة، الأفهومة والمجَّردِ كما المنزَّه أو المحض. القطبان هذان، المتخيَّل والعقل، يتغاذيان؛ ويتساكنان بتناضحٍ وتشاركيةٍ، وفي تفاعليةٍ متناقِحة مستدامة.

فقراتٌ أو خرزاتُ الفضاء النفساني والعلاجي والفلسفي (1)

1- الفقرات (= الفِكْرات) مكوِّناتٌ أو عناصر لنظرية هي الكُلّ أو النسق، والوحدةُ العامّةُ أو الشكل الجيّد. ما نفعله ونفهمه هو أنّ إعداد الكُلّ، الطبخةِ أو الخلطة الكيماوية التوليفية، يستلزم الانطلاق من إعداد العناصر المكوِّنة عنصراً عنصراً، أو جزءاً جزءاً؛ أو مكوِّناً مكوِّناً، أو رزيحةً رزيحة.

لا تُمرتِب فقراتٌ النظرَ العقلانيَّ الأشمل والأعم، ولا نُسلسل بمنطقٍ أو أهميةٍ الفقرة. تبقى المقولات شاردةً متناثرة، مشتَّةً مشذَّرة، غير محكومة بمعايير شاقولية، أو تبعاً لمفاضلة ... فهنا الأفكار، كالذكريات، مستدعاةٌ وعفوية، جزئيةٌ حيناً ومتردِّدة حيناً آخر، عموديةٌ أو أفقية، حرّة هنا وأحاديةٌ غير متنوّعة هناك.

2- المؤلِّف الذي يكتب ذاتيته، نفسيته واستبطاناته، تجاربه الطفوليةَ والتعبيرات عن الأنا الحميمية عنده، يتلاقى في ذلك مع الكثيرين الآخرين في كتابتهم عن الشخصيّ، عن موضوعٍ "مخصوص" ... مجموع ما يتلاقون حوله أو يتوافقون عليه يصلح أن يكون هو عينه الموضوعيّ، والعام؛ وهنا أيضاً توجد وتفعل الشروط البيئية والأوضاعُ التاريخية، الواقعُ والثقافة المشتركة الضّامّةُ الجامعة.

المُراد هو، إذَن، أنّ الذاتيَّ النزعةِ (الذاتاني) والموضوعاني ليسا، في حقول الأدب، كشاهد، متناقضَيْن: التحليل النفسي، والمناهج النفسانية العامة، قطبٌ؛ وهذا محتاج لأن يتفاعل بتساكنٍ وتناضحٍ مع القطب الثاني الذي هو التفسير للأدب بالشروط والواقع، بالتاريخيِّ والعقل والتجربة الحياتية. فالمتكافئة، إذَن، هي ذهابيابيةٌ بين القطبَيْن المتغاذييْن، أي كَرَفَرةٌ وعطا أخذية متواظبة ومتناضحة ضمن كلٍّ أو نسقٍ، ومشتركيةِ الإطار أو ضمن مَعْبَعْضية.

3- التحليل النفسي، في مدرسته العربية المنطلِقة على يد مصطفى زيور، ثم

مصطفى صفوان ومن ثم علي زيعور (= زيور)، فتح الباب أي أوصل وقاد إلى تأسيس المدرسة العربية في النفسانيات، ثم في الفلسفة؛ ثم في النفسانيات– الفلسفات؛ ثم في علم الاجتماع وميادينه، كما في الإناسة والألسنية، في الجماليات والقيميات.

حين ابتداء جلسة مناقشة أطروحة دكتوراه، في جامعة القاهرة، في آخر نَفَس للقرن الماضي، المشرف على الأطروحة، رئيس اللجنة حسن حنفي، نبّه علي زيعور، عضو اللجنة، إلى عدة محللين نفسيين يدخلون القاعة... كان من أبرز أولئك الزملاء حسين عبد القادر محمد، وعبد الله عسكر... دعوا زميلهم زيعور إلى جلسة تعارف وتحاورٍ تحول فيها المجتمعون إلى أصدقاء ومعجبين كلهم بالمصطفَيَيْن زيورَ وصفوان.

4– الفلسفي النفساني، أو الفلسفي– النفساني (لاحِظ الشحطة)، هو عينه الفلسفو – نفسي.

هذا الفلسفي– النفساني قطاعٌ واحدٌ **قوامه تفاهميةُ وتضافرية الفلسفةِ مع علم النفس**. هما، هذان الأخيران، كما واحدٌ. هما معــاً، في كما واحد (= مشتركٍ/ Comme un = commun): متداخلان في وِداديةٍ تعاضدية، متلاحِمان ومنصهران في "مَعْبَعضيةٍ". هما مع بعضهما البعض الآخر؛ بل مع بعضهما البعض.

5– الأهمّ من أخذ المصطلح الأجنبي، وابتلاعه على طريقة الحَيَّة، الأجدى أي الأنفع والأجدر باللغات غير الباهرة في ثورات العلوم الراهنة، يبقى ويمثُل في صوغ ذلك المصطلح تبعاً للمنهج المعتمَد في اللغات التي تتوالد بالالصاق، وضمِّ اللاحقة والبادئة (را: الكاسحات، الصائتات، إشكاليات تحويل حركات التشكيل إلى حروف).

وهكذا لم يكن صعباً على بعض الأقسام، في كلية الآداب/ الجامعة اللبنانية)، أن تعتمد مصطلحاتٍ من نحو: نفسو– نفسو– فلسفية، نفسو– بدنية؛ العلمِنْسان، العَلمُجتمع؛ الطّبْنَفس، العلاجْنَفس، التحليلنفس؛ الحُلميات أي علم الحُلم؛ القُرْبُعدية، العَنْبَعيد (= تيلي/ télé).

رفَضْنا: نفسو– لوجيا، هايبَر نشاط، إنْفرا– أحمر، أولترا– بنفسجي.

وهكذا، على هذا الغرار وبهذه الطريقة المبدِعة، تُقدّم العربيةُ لكل اللغات الاسلامية، ولمن يحتاج، نفعاً وإمكانات للاستغناء "عَمَّنْ شئت كيما تكون نظيره".

6- المحك، في الصوغ للكلمة التقنية، ليس هو وجودها أو عدم وجودها في القواميس؛ في "لسان العرب" كشاهد، أو في خزعة. المحكّ، المعيار أو الميزان، هو المنفعة؛ إنّه المصلحة. فهنا ينوجد الأبقى والأسرع، الأقدر على التكيّف والاستمرار؛ وهو الأصلح. والأصلحية تكون ولا تكون معيار الحقيقة. منهج الإلصاق كوّان؛ إنّه خلاّق، وحكيم، سديدٌ ومبدِع.

7- نجح منهج الإلصاق والضَّمّ لأنه يضمّ ، أي يجمع كائنَيْن من جنسَيْن مختلفَين. التوالد عند الكائنات العليا زواجٌ بين قطبَيْن يَنتج عنه مخلوق جديد. التوالد الذاتي، بالاشتقاق أو بانشقاق المتموّرة (= الأميبيا، للشاهد) إلى قطَعٍ يغدو كل منها كائناً جديداً، تكاثرٌ لا ينتجُ عنه كائنات منيعة.

ذاك المنهج في توليد الكلمة التقنية، انبعث بقوة في عملي الجامعي، بتأثيرٍ ما من منهج اللغة الألمانية في تطوير ذاتها، والمحافظة على مهاراتها في البقاء الخصب المنيع، وفي تأدية وظائف اللغة من أجل الانسان والبشرية، العلمِ والتفاعل مع الطبيعة.

رفض الاستمساكيّون وسخروا؛ في بداية التأسيس وحقبةِ التدشين. لكننا، الآن أو في هذا الزمان والمكان، غدَونا أصدقاء. صِرنا أحراراً مختلفين؛ وغَدونا متفاهمين متعاطفين، متساوين ومتحاورين. خلافنا محصور: فهم يرفضون فقط الاسراف والتسّرع.

8- في المركز الطبي (البرايماد) المتعدد العيادات، المنتقِل باسمه وكيانه التنظيمي من أميركا إلى بيروت، خصّصتْ طبيبة الأمراض الهضمية والكبد و"الناضور"، دينا علي زيعور، عيادةً استشارية في التحليل النفسي والعلاج أو التطبيب للأمراض العُصابية (= النفسية) والذُهانية (= العقلية).

كان اسم تلك العيادة، داخل ذلك المركز، مركز "المعلم علي زيعور...". وبقيت الزميلة زينب الأحمر تُعالِج، وتُنظِّم الشؤون المتعلقة حتى السنة 2009؛ متنقلةً بعد ذلك إلى داخل مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت. هذا، بغير أن يتوقف العمل في "دار المعلم علي للتحليل النفسي"؛ وبغير أن ينقطع زكريا عن

متابعة اختصاصه في الطب النفسي، في جامعة دالاس (تكساس)، واهتمامِه، عن بُعد، بالمركز التحليلنفسي والعلاجي المذكور.

9- الفهم النفسي- الجسدي (النفْسَدي، النفْسْبدني، النفسْجسدي) للانسان، ومن ثم الطّبُّ النفسجسدي، تشخيصٌ لما يكون الانسان، أي لطبيعته أو بَشَريته، لتطوره الثقافي- الوراثي (الميمي معاً والجيني)، لقلقه وعوارضه، لغته وعقله، أمراضه وتفكك شخصيته أو تحلّلها (را: سامي علي).

ذلك الفهم للانسان، طبيعةً وتفاعلاً أو دوراً وطموحاً في الحياة، يقوله ويُشرّحه علم النفس؛ إنّه الفلسفة؛ وهو النفسانيات- الفلسفات متحركةً داخل الدار العربية في التحليل النفسي والصحة العقلية كما الحضارية.

10- مفاهيم النظرية الفلسفية- النفسانية أنشأها ذلك الولد المستقل عن أمه، عن الفلسفة. وبعد إعجابٍ للابن بنفسه، وصراخه في وجه أمّه منادياً بانفصاله عنها، وعن حضنها الدافىء، شَعر ذلك الابن "العاصي" بهول ما فعلتْ يده.

أقلقته مشاعر الحنين عند المنشق، وقلقُ الانفصال عن ثدي الام الطيّبة.

كثُرتْ وتعزّزت المفاهيم (= الأفهومات؛ الأفاهيم) الكبرى، المؤسِّسةُ الموقِّدةُ للمدرسة العربية في النفسانيات والتحليل النفسي، وفي الفلسفة والعلاج النفسي بواسطة الفلسفة... وفي أغوار وعتمات تلك المدرسة تغوص وتمكث، وتلبث وتهجع نوازع وميول ووجدانياتٌ تقُلق الابنَ النفساني الذي هجره أباه- التراث. فقتلُ الأب أشعر الابن بالذنب والندم، بالخوف من الحرية، ومن معاداة الأب- التراث الحامي والطّيبِ الحنون.

11- غدت النظرية العربية الراهنة في الفلسفات- النفسانيات (والتحليل النفسي ضمناً) استئنافاً لما كان بين علم النفس والفلسفة من علائقية هي أكثر من تعاون قطبَيّ المتكافئة؛ وأكثر من التضافري أو التداخلي أو التكاملي. لقد غدت "الروابطيةُ" تعَاطفيةً وكليةً، وتشاركيةً عامةً؛ أي في كل حقل وعلى كل صعيد؛ ومجانيةً أي لا طمعاً ولا خوفاً بين أحرارٍ متساوين مكانةً وقيمةً، طبيعةً ووظائف، مساراً أو انتاجاً وتقييماً، إنصافاً أو محاكمةً وعدالة.

12- الدفاع عن الذات، وتعزيزُ حصونها، أولياتٌ تنوعت؛ فهي قد تكاثرت. يُلتقط العناد والمخالفة، والرفضُ اليائس، كأسلوبٍ أعمى ومذعور. أساليب

اليائس، حيَل المحبَط أو المحكومِ بعقدةِ الإخفاق، تُحقّق للفكر العربي المصاب باليأس المسرِف، والمقتولِ بالمنحوسية أو الإخفاقات المتواصلة، صحةً ناقصة منجرحة، سيئةَ التكييف، ريثماويةً وعطوبة.

المحارب الفاشل، الوعيُ بالفشل، وتماماً كالباحث الفاشل في مركز البحوث العلمية، قد يقتله وعيه المضني وتوتراته المحجوبةُ والمقموعة. اليأس، وتماماً كما الوعي بمرارة الفشل، نتغلَّب عليه أعمق بوضعه على أريكة العقل الهادىء، والتحليل المديد، وعشراتِ الأساليب في العلاج.

13- في الجامعات الفرنسية، وفي حدائق باريس وبين الشعب الفرنسي، يكتشف الطالب الغريب أنّ الفرنسيَّ يُصاحَب؛ أي هو محبٌ للأصدقاء والحياة، وغير عنصري. وكثيراً ما يُلاحَظ بسرعةٍ ملحوظةٍ أنّ سياسة فرنسا مُسيئة للشعب الفرنسي، للشعب اللطيف وحَسَن المعاشرة (طيب المعشر، على حدّ تعبير الفصحى).

14- قد تُطرح كمبحث، أو حتى كرسالةٍ أو أطروحةٍ للشهادة الجامعية العليا، موضوعاتٌ وقضايا، قد يُظَن أنها جزئية جداً؛ وهذا في حين أنّ معالجة الجُزَيء هي في الواقع منهجٌ جديد، وإمكانٌ لتوليد الجديد والدقيق أي ما هو غير عمومي، غير لزجٍ أو غير ضبابي؛ يُذكَر من ذلك على الصعيد النفسي، والنفسي العيادي، والتحليل النفسي:

- تفسير الحرص عند المتقاعد والطاعن في العُمر.
- تفسير الحبّ "الأحفادي".
- تفسير القلق والاكتئاب والاضطرابات النفسيَدَنية عند المسِنّ.
- ضبطُ العمل ضبطٌ للزمان والمكان؛ ضبطٌ للعقل.
- التعلق بالبطولات والنجوم الإعلامية عند المراهق؛ ثم في عُمر ما بعد التقاعد.
- الدراسة الميدانية (= في الحقل) للنكتة الشعبية: فرزُها في جداول، أي بحسب أولياتٍ وقواعدية، أو قوانين انتاجٍ وصياغةٍ إحصافية (= ثانية).
- رائز التقاط نمط الشخصية وسِماتها وأمراضها من خلال النكتة. استكشاف الأعماق بواسطة مِكشاف هو التعليق والتفاعل مع الطُّرفة أو الدُّعابة، النكتةِ أو الأغموزة؛ المثَلِ أو التحيّة "المعقَّدةِ" الملتبسة عن تَعمُّدٍ أو عن قصدٍ مسبق.

15- يبدو مغيَباً، بل مطروداً أو مقتولاً القول الفقهي القديمُ بأنَّ المرأة مساوية للرّجل؛ أي إنّها أهلٌ مثله لأنْ تقوم بكافة الوظائف التي يقوم بها، وتتولى الحكم والرئاسة وشؤون المدينة (= الدولة)، وتفصُل السياسةَ عن الفقهيات واللاهوتيات... لم يكن ذلك قولاً طرحه أفلاطون؛ أو حتى من قبله من حضاراتٍ بَيْنهرية أو فرعونية. ذلك القول في المرأة يبدو أنه مهمَّش لأسباب سياسية؛ ولكنه موجود في الفكر العربي والمعيوش، وأمم شرقية كثيرة (كالبابليين، والفراعنة...). لكأنّ بعض الفلاسفة والمفكرين العَربسْلاميين احتاجوا الى "التدرّع" والتذرّع بالغريب، كيما يتجاسروا على إبداء قولهم الإيجابي الانعتاقي؛ أي القاضي بتغيير الدفة شطر التوجه نحو المرأة من حيث هي أخت أو أمّ، وعمّة أو جدّة، وبنتٌ أو شاعرة أو عشيقة...

لكأنّ ابن رشد، كشاهد، جعل من أفلاطون دريئة؛ جعله شاشةً أسقط عليها الموقف الإيجابي المسكوت عنه، المعتَّم أو المطمور.

والمرأة تستبعد الرّجل، وتتحكّم فيه؛ تماماً كما أنّ الرجُل يستعبد المرأةَ ويسيطر عليها "ويسوسُها".

16- أوالية التّقية، عند الفلاسفة والصوفيين والملاحدة، ظاهرة بيولوجية معاً وثقافية طورتها الحياةُ والزمان والجغرافيا. شاهدنا عمل نقول الحرباء. فالحربائية أوليةٌ، منهجٌ أو وسيلةٌ للتغيّر والمحافظة على الحياة بتغيير المظهر أو الجِلْد، اللونِ أو الموقف... هنا من أجل البقاء حياً يقاتل الكائنُ الحي، أو يكذب؛ إنّه يهرب، يفرّ أو يتظاهر ويحاكي أريضه أو محيطه الخاصّ به. إنّ علم النفس التطوري، إنّ التطورانيةَ البيولوجية الثقافية، التطورانيةَ الاجتماعية الأخلاقية، ليست هي وحدها العلوم التي نجحتْ لأنها علوم تنصبّ إعمالاً أو إعقالاً وتحليلاً على موضوعات تفسِّر وتشرِّح السلوكَ أو "الطباع" عند الحيوان؛ وعند الانسان؛ ومن ثم عند الجماعات كما الأمم تبعاً لقوانين التطور، لقوانين النشوء، والبقاء، لقانون البقاء للصالح النافع، للأصلح.

17- 1- الكنطية العربية الراهنة مقولة غير تاريخية. ولعلها لا تنفع كثيراً حتى وإنْ بدتْ، عن بُعد، سديدةً أو جديرة. بحسب النظرية الصوفية العربية، تكون محاكمة الفعل وتعييره تبعاً لمبدأ هو أنّ الخير المحض في الفعل والتفكير

غير استنفاعي، وغير استكسابي؛ أي لا طمعاً ولا خوفاً، لا ترهيباً ولا ترغيباً... وهذا قد يتكافأ، مع التحفظ أو الحذَر النقدي والتحوّط، مع نظريةٍ غربية تقول إنّ المحض (الإنسان، الخير الأسمى، الفضيلة) هو وحده، ودون غيره، الغايةُ الأكبر، المطلقة (را: النظرانية، المحضانية).

ينبثق عن هذا المبدأ مبدأٌ آخر مفاده أنّ فعلاً أو سلوكاً أو نيةً يكون فاضلاً فقط إنْ كان يَصلح أن يُطرح بمثابة "قانونٍ" عام وشامل؛ قابلٍ لأن يُطبَّق على الجميع، وفي جميع الأحوال والأمكنة والفضاءات.

شاهِدُنا هنا هو أنّ التقيَّة ليست فضيلة. فالقيمة، في لوحة القيم وعلم صراع القيم، تكون كلها أو لا تكون... فهي ليست جزئية أو نسبية أو مقبولة هنا؛ وعكس ذلك أو نقيضه هناك.

توجد القيمة (الإنسان، الخير المحض، العشق الإلهي أي المحَبّاوية، الحرية، المطلق) خارج أي هدفٍ كسبيّ... تُرى هل هذا التبصّر أو التدبر في القيمة واقعي؛ هل هنا تحليل تاريخي، وتفسيراتٌ بالشروط والعوامل الموضوعية؟ لكأنّه يوضع، هنا، الشكل أو القانونُ قبل الإنسان وخارج الزمكانية.

17- 2- ليس مهماً أو بالغ الثراء الإلتقاطُ في مجملٍ أو كلٍّ أفكار وتحليلاتُ **سيرْلْ** في العقل؛ في الدماغيات ومن ثم في الوعي واللاوعي والحالات العقلية (= النفسية). من الرُبَّماوي أنْ يكون الأنفع هو التقاطُ تعثراتٍ سيرْل وسقطاته؛ أي أفكاره غير السديدة وبخسة الثمن أو الحذاقة... أسهل الأبواب لِدخول مفهومه الأكبر، المؤسِّس لكل شيء، أو لكلّ شيء في كل شيء، هو الباب البيولوجي الذي يُنتِج ويُشرِّح، يحلل ويقيّم، يأخذ ويعطي، يُعيِّن ويُسمّي. وكما أنّ الفائدة تُستخرج من منجم العوائق والإخفاقات، فكذلك تكون مفيدةً أيضاً موضوعات ملتبسةٌ أو معتِمةٌ، ضارةٌ أو مُرّةٌ، مكروهةٌ أو منفِّرة وبائسة.

18- يُستشرف كما يُسأل عن مستقبل المشروع العربي في إعادة الإدراك والتسمية، أو التعضيةِ والتوجيه، لعلوم المجتمع والعقل والإنسان داخل الذات العربية في حقولها الراهنة؛ ومن ثم في الأنا والمجال الاستراتيجي، في النحناوية والقيم والأُمَّتية!

وأيضاً قد يُسأل عن الوظائف القادمة وما بعد الراهن، أو الحالِ والمآل

للمدرسة العربية الراهنة إنْ في الفلسفات – النفسانيات أمْ في التحليل والعلاج والطب النفسي البدني، وإنْ في علم الاجتماع والإناسة والألسنيةِ وعلم تعثّر المسير بل والتقدم القفزي والمتنوع المتكاملِ، أمْ في العلوم الثائرة وثورات التكنولوجيات والإعلام والبيولوجيا.

19 – رائز "عدّ المصطلحات" الأكثر تردداً في ديوانٍ قليل الصفحات، وقليلِ الكلمات في الصفحة، يكشف عن مطمورات وهاجعات، أو بورٍ وعتمات مدفونة ومؤثِّرةٍ وكوّانة في النص وصاحبه؛ كما يكشف عقلَ السارد والأسرودة، شِعره وجهازَه في فهم الحياة والمعرفة، وفي تقييم اللذة أو السعادة؛ وفي القيمة، أي في الإنسان. فالمتغلِّب في ذلك العقل والسلوك، في الشِّعر ومن ثم في المنتِج أو الناظِم بشتى أعماقه وأبعاده، متغلِّب إسمُه هو البُعد الحسي، والحواسي... إنَّه عمقٌ جوارحي، عضوي، جسدي.

20– رائز إعطاء علامةٍ على مجموعة مفاهيم، متناثرة في الظاهر، لكنّها تكون متكاملةً عند القاع والجذور، يكشف قيم الشخص ونمطَ شخصيته؛ أو السِّمةَ الأكبر في خصائصه وطباعه. كمَثَل، ضع علامةً لما يلي: الجنس، الزواج، الطلاق، الأخ...؛ أو قَيِّمْ رقمياً: الآلة، القرية، الوطن، السينما... المَرض، القلق، الهَمّ، النوم، السَّهر، الأرق... يُستدعَى هنا الرورشاخ اللفظي العربي.

21– طيلة عُمري، إنْ في مرحلة ما قبل الجامعة أمْ في العمل المُمأسَس، الفريقي، كان يتأكد لي، وينغرس أعمق فأعمق في عقلي وسلوكي، وآلامي وفاجعتي، أنّ قدر الإنسان مأساوي؛ وهو محتوم. ضمن هذه المعادلة تقع الحريةُ المشروطة بالعوامل الخارجية، بالمجتمع والأوضاع، بالبيئة والتاريخ، بالعمل ومشكلات الواقع، باللقمة وإرادة العيش المحكوم بكل هذه الشروط، بل وبالمطموحات والحاجات الحضارية.

22– نقرأ تاريخ الأريكة العربية، في التحليل النفسي، عبر تدبّر المكتوبات "الجرائدية" والإذاعية و"المجلاتية" المنشورة قُبَيل أول الستينيات السالفة.

ففي مصر، كان الأشهر هو مصطفى زيوار؛ وكان علي زيعور في لبنان طالباً جامعياً يكتب تحليلاتٍ نفسيةً أشهرها أحاديثه الإذاعية ومقالاته المقتضبة عن كلٍّ من فرويد نفسه، آدلير، يونغ...؛ وثمة أيضاً من الفلاسفة: كنط، نيتشه،

رَسِّلْ؛ وأيضاً: النقد والناقد، القصة والشعر الحديث، اللاوعي، الأحلام، الجنس عند الطفل والمراهق، عقدة أوديبا...

في سنوات التدريس الجامعي، منذ 1971، في الجامعة اللبنانية؛ كان زيعور قد أصدر فيها، في علم النفس والتحليل النفسي، "مذاهبُ علم النفس والفلسفاتُ النفسية"؛ تاريخ علم النفس (مترجماً عن أستاذه في السوربون)؛ المناهج في علم النفس.

23- نافع جداً الإصغاء إلى خطاب الهندي، والياباني كما الصيني، في الواقع العربي؛ وفي إمكاناتِ وعراقيل " تَحقّقه الحضاري" داخل الدار العالمية للصحة الحضارية عند الأمم أو في العالم.

24- الحضارة العربية، وتماماً كما الحضارات الإسلامية، أخلاقية. إنّ القيمة الكبرى، في أنضودة القيم أو لوحها، أخلاقية بتشكلاتٍ متداخلة متكاملة؛ منها: الواجبات أو الأمْريات، الآدابية، اليَنْبَغيات، الوِعاظة، الوصايا، الجُمعَويات (خُطب يوم الجُمعة)؛ وأيضاً، المذاهب في: اللذة، في السعادة، في "الصّبْر الجميل" أو التحمل والتجمّل، في المنفعة، في الطاعة والانقياد، في تربية الولد... ليست جميع حقول علم الأخلاق ملهوَتة؛ لكنها كلُّها مُجمعَنةً مجمعِنة، مروحَنة مروحِنة.

25- حركات الإصلاح، المنطلقةُ إنْ من الطرق الصوفية والدين أمْ من ذمّة المجتمع والسياسة، بل وتلك المتفاعلةُ المنفتحة على حركات الإصلاح العثمانية، تبدو خطاباً أو مشروعاً في إعادة إدراك الصحة الأخلاقية للناس والوطن واللغة ومن ثم في إعادة الضبط والتعضية للقيم وصراعاتها، بل وللحاجات والدوافع الحضارية، والصحة الحضارية.

حركات الإصلاح العامّة أو المجتمعية، والأخرى التي كانت، بحسب خطاب الطرق الصوفية، في القرنين الثامن والتاسع عشر، تُعد تعبيراتٍ تديّنيةً عن حاجات حضاريةٍ كانت مستلزمةً وضرورية من أجل التوقّي والدفاع عن الذات، ومن أجل الترميم للكلّ والمعنى، وإعادة الصياغة للحياة والقيمِ والموقع بين الأمم، ولإرواء الدوافع للشبع اللُّقموي، وللشعور بالتقدير الذاتي والجدارة، ولضبطِ الفعل السياسي والإنتاج الثقافي، وضبط المجتمع وظيفةً ومساراً أي طبيعةً وتحسيناً.

26- الأخلاقيات، علم الأخلاق، تمثِّل تاجَ الفلسفة إن الأيْسيةِ الموجوديةِ؛ أم المعرفائية، بل وفلسفةِ العلم أو منطقه ونسغه. الخُلقيات هي هي الفلسفة... العقل العربي، وتماماً كما الفلسفاتُ والفكر المسكوني كما الكينونيُّ داخل الدار العالمية والتعولِم أو التكوكب، يعود ويؤوب إلى "حب الفضيلة"، إلى النظر في الخير والسعادة، إلى لوح القيم المتكاملة المتكافلة، إلى القيم الكونية المميِّزة للإنسان، والمؤنسِنة، والمنقِذةِ من الدمار والمخاطر الناجمة عن ثورات العلم والتكنولوجيا أو الصورة والبيولوجيا.

27- حقول علم النفس ومناهجه، وحقائقه كما قوانينه، تبدو شديدةَ القرابة بينه كعِلم مكرّسٍ للإنسان وبين الفلسفة كمؤنسِنة مخلقِنةٍ، أو كخطابٍ في الصحة الحضارية للبشرية والمستقبل، للطبيعة والثقافة، للإجتماعي والبيولوجي، للذاتي والموضوعي، للعقل والقيمة أو للعلم والفن.

في الفسطاطَيْن، النفسانياتُ والمحضانية، يُدرَك الإنسان (= الناسُ، النفسُ، العقل، الخ...) انطلاقاً من بُعده العضويّ؛ ثم من حيث تطوره التاريخي في الوجود والحياة والعالم؛ ثم في بُعده الاجتماعي أي حيث مقولاتٌ وقضايا هي المجتمع والجماعة، الزمانُ والمكان، البيئة وشتى الشروط الاجتماعية أو الموضوعية والخارجية. أخيراً، يكون بُعدنا الثقافي الفكريّ مجبولاً موقَّداً بموضوعات العقل، وحالاته كاللاوعي والعواطف، والانفعالات والتخيّلات، والاحساسِ كما الإدراك.

28- قال زميلٌ في حقول التحليل النفسي، ناظرٌ أيضاً في الصحة الأخلاقية ثم الحضارية عند العربي: نجح علي زيعور في نظريته التي طرحها في علاج لاكان عبر جلسة أو جلسات؛ لأنه نجح في تشخيصه لِمعاناةِ (لاكان/ Lacan) بعد إصابته بعُصاب فقدان العزيز. ونجح في دعم عدنان حبّ الله الذي أسهم جيّداً في تطوير مؤسَّساتٍ مَدَنيةٍ تُعنى بالتحليل النفسي.

* وأكّد أنّ تلك المعاناة عند لاكان، وما أحفّ بها ورافقها من مشاعر بالوحدة والهواجس، باكتئاب الشيخوخة (= ما بعد التقاعد)، كانت معاناةً من العوامل المتزاملة المتساعدةِ، والضغوطِ المتراكمة المتفاقمة، التي أوقعته في اليأس، في إلقاء النفس من النافذة، في الهرب من مخاوف المرض والعجز والإنهدام إلى

الاستسلام ونحر الذات، ومن المرارة والوجعِ والعتمة إلى فضاءات الاندثار والظلام الدامس وآخر الطريق.

29- باسم العقل والمنفعة، وبذريعة أنّ العلم هو وحده القائد والحاكم، صار البُعد الاقتصادي مقطوعَ الصلة مع البعد الأخلاقي... لكأنّ علم الاقتصاد، وهو أسرع وأكثر العلوم الإنسانية تطوراً قفزياً أو عشوائياً أو مبرمَجاً، بات في فضاء النظام الرأسمالي القائم قاتلاً؛ أو إلتهامياً بغير ارتواء، بلا شفقة أو بلا رحمة، بلا ضميرٍ أو وجدان، غير مبالٍ بوجع المستضعَف أو الجائع وغير المحظوظ. في ذلك المنظور، يكون الإنسان شيئاً غُفلاً بلا معنويات؛ وبلا أهمية تُعطى لما هو فينا اعتباريٌّ وفكري، قيَمي أو وجداني... لقد سقطت القواعد والرمزي والضوابط أو المعياري؛ وذلك كله لمصلحة الكسب والمصلحة، المنفعةِ والماديّ والماليّ... أسطرةُ الاقتصادي باتتْ بلا حدود؛ وخسر الإنسان الأملَ بالعدل الاجتماعي؛ وها أنّ الفكر "اللُّقْموي" يصرخ مطالباً بعودة القيم الإنسانوية المطرودة، بأنسنة ما صار يُسمى "اللاإنسان" واللاكينوني، باستعادة مكتسباتٍ حققتها وأسهمتْ في تحقيقها، الأديانُ والروحاني، الحدسُ والإيمان، المتخيَّل والوجدان.

30- خطاب ز.ن. محمود في الصحة الفكرية للمواطن العربي، ومن ثم في صحته الأخلاقية، بل وبخاصة في الصحة الحضارية للكل أو للجميع والأمة، خطابٌ هو توفيقانيُّ المنهج والرؤية، المدى والمعنى.

وممّا يضاف، كان ذلك المنهج يبدو تلفيقانية؛ فهو يزاوج المتنافرات، ويُصالح الشيء مع نقيضه على نحو غير تاريخي، أو باصطفائيةٍ واستنسابية. هل يكون ذلك المنهج في التحليل، ومن ثم تلك الأطروحةُ في فلسفة التغيير وإعادة الضبط، خاضعاً لمسبق وجاهز؟ أيكون هو عينه منهجُ الحبابي أو عثمان أمين، وبدوي كما المدرسة العربية الراهنة في النفسانيات والفلسفة، وفي تحليل اللغة والمنطق؟ هل قسونا على الإدراك الثنائي للفكر العربي المعاصر، عند ز.ن. محمود وتياره أو القائلين قوله؟ هل تلك الثنائية قطْعية أو بتّارة، نهائيةٌ ومُطلقة؟ قسوتنا على "قسوته" المذكورة هذه انزلاقٌ إلى الحكْم غير السديد وغير الحكيم؛ وهذا كله بالرغم من ما فيه من نفعٍ وتحذير، أو تنبيهٍ وتربيةٍ غير

مباشرة. تنفعنا إعادة محاكمة ز.ن. محمود وفق معايير وضوابط متغيرة منفتحة؛ أو تبعاً لروحيةٍ رحومةٍ وطيّبة، طبيبية وسَلْبيجابية. إنّ تلك المحاكمة طبّقناها، قبلاً، على الغزالي في تحليلاته وأحكامه على الزندقة والأديان والخلاص؛ وعلى المرأة والأسرة، الجنس أو الذكورة – الأنوثة. لم يكن الغزالي، في كلّ ذلك، أو ز. ن. محمود، أيضاً، بمثل تلك الفظاظة التي يلتقطها فيه المستسهِلون أو المبتدئون.

31- قبولُ الحياة شجاعة؛ حتميةٌ هي الحياة، والموت. قبولُ الحياة بوعي، ومن ثم بإرادة وتحَدٍّ، تأخّرَ وجاء بعد تطوّر النوع؛ والتكيّفِ مع قوانين البقاء والاستمرار، قوانين التطور والأصلحية. الشجاعة، عند الصابر في الزمان هذا وفي جميع الحقول، هي المتابعة والانخراطُ والانغراس برغم المخاوف والمخاطر والمثبِّطات. ليست الشجاعة في أنْ لا نرتعب، أو أن لا نهرب؛ إنّما هي في أن لا نجعل تلك الضغوط والقاهرات والمقِلقات مانعاً للاستمرار، وللتحدّي وإتمام السهرة حتى آخر الليل.

32- غير مستنفذٍ هو التفسير بعامل وحيد ومحدود هو: البيئة، المناخ والموقع، أو المكانُ والأرضُ؛ أو الجغرافيا. يؤثّر ويتأثّر الانسانُ والتاريخ والثقافة، المجتمع والقانونُ والدولة، بالاقليم والأمّة.

الوعي البيئاوي فاعلٌ ومؤسِّس، لكنه ليس المفسّر للحرية والتَّبعيات، للظواهر الأدبية والفنّية، والشِّعريةِ كما المجتمعية واللغوية، وللاقتصاد والفكر والإنسان كلّه وبرمَّته. ليس المفسِّر الأحسم لكافة أنماط السلوك، والمشاعر الأمَّتية والوطنية، البَداونية والريّفانية، وعقليةِ المُدُني أو العقل الحضَري؛ ثم إنّه يفقد الكثير من مهاراته إنْ تشغَّل كمنهج أو وعيٍ جاهز ومسبق، عنصري والتِهامي (افتراسي).

رُذِلت نظرياتٌ نفسانية فسَّرت أو أقامت الحياة والتطورَ كما العقل والشخصية على محاور متفرِّدةٍ أو أوحديةٍ وواحدية؛ من مِثل: الغريزة، الدوافع والحاجات، الميول، الذكاء، الاحساس، الإدراك، الوعي، الارادة الحرة، الجسد، العادة، الحدس...

33 – التَقيّة أوليةُ احتماءٍ، دفاعٍ وإتقاء عن الضحية وفي سيرورة التكيّف داخل سياسةٍ جائرةٍ؛ غير أُفقية؛ ولا تتغذّى بالحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، أي بلوحة قيم الإنسان والوطن الكونية. ففي حقل الاستبداد، يتفرّد الجبّارُ "بنساء العشيرة" أو الرهط؛ وبالنعيم، وفردوسِ الأم؛ وبتمثيل أو رمزنةِ الأب. ذاك "الرئيس العُصابي" مريض ومُمرِض، جارحٌ للأمة والفعل السياسي ومن ثم الأخلاقي، ومنجرحٌ محكومٌ بأوهام الحضور الكلي والجبروت، وبتألّهُن الطاغية المولَه له المهووسِ بحسد الألوهية، أو بالغيرةِ من المطلق، وبغرض الانصياعية والاستسلام.

34– مبدأ يا مستضعَفي العالم أنّى كنتم، ومن أي قارة أو أمةٍ أو مجتمع أتيتم، مبدأٌ هو، داخل السَلمانية، منطلقه وقوامه "عواطف" أو مشاعر التعاطفِ مع المبخَّس والمطرود، والمنغلِب المنكسر الخاطر. هنا النفساني، في لحظةٍ يستقل فيها عن الفلسفة، يُحرِّكُ التفكير والتدبّر في المستضعَفين؛ أي في لأم انجراح الحضارة، في اللاتوازن بين العُسريات واليُسريات، في عدم الإطمئنان اقتصادياً ومعنوياً بين قطاعَيْن غير متكافئَين داخل المتلازمة (= المتكافئة) البشرية، في التوتر القاتل المشنِّج والمرنِّح للصحة النفسية والروحية الحضارية عند إنسانٍ يلوِّثه بتواصلٍ وتعمّقٍ وعيُه بحالته وحاله، بالظلام والمهدِّدات من حوله وحوالَيهْ. هنا، النفساني والفيلسوف، أو الفيلسوفُ بما هو نفساني والنفساني بما هو فيلسوف، أساسُ نظرية إعادة التوازن والإطمئنان، التكيّفِ الإيجابي والرضائية، إلى عمودَيّ فلسفة اللقمة، فلسفةِ العُسريات – اليُسريات، المحظوظِ واللامحظوظ؛ وذلك بيولوجياً معاً وثقافياً.

* لا نقول بتوحيد الترف والعَوز داخل نظريةٍ أو أيديولوجيا تلغي النقيضَيْن، الحدَّيْن، لتجعل منهما وحدةً قسرية، مفروضةً أو إرغامية؛ أو تلغي أحدهما لمصلحة الآخر، وتنقُل العقل كلَّه إلى الأحادية والاستبداد ومن ثم إلى السيطَريّ والهَيمَني.

35– الولِدان المخلَّدون هم أرواح خالدة؛ مألوهون مقدَّسون؛ شهداء يُرزقون؛ ملائكة أو ضحايا أصلها ويُنبوعها الكبش الفادي، صوفةُ هاجَر أو مسيحُ

إسماعيل. الأطفال أو الشهداء الذين يقدَّمون، على غرار صوفة الجاهلي، ضحايا قربانا لله؛ وحَمَلاً أو كبشاً يكون مُلكاً للكعبة أو محوَّلاً إلى مشاع، ولا يملك نفسه بل يملكه الله أو أهلُ الله أو أهل بيت الله... بهذه التقدِمة (الذبيحة) يغدو ذلك الابنُ فادياً، يغدو الطفل أُضحيةً مقدّسة، مُشاعةً مسيَّبة (را: الحامي، الوصيلة...)، شهيداً لكن حيّاً يُرزق في النعيم والخلود.

* الإبن هنا، الطفل المضحّى به، هو نظير "الكبش الإلهي" الذي فدى اسماعيل هاجر، أو "مسيح هاجَر"، على ما يقول المتخيَّل العربي أو متخيَّل الهاجَريين المُصرّين على أحقّية إسماعيل أو على اعتبار أنّ اسماعيل، واسحاقَ سارة، هما أخَوان لأبٍ واحد مشتركان في وحدةٍ روحية؛ في كلٍّ عقيديٍّ تبادلي ومشتركي، في فضاء أو إطارٍ عام يتطور ضمنه المتساكنان بغير تغليبٍ لإسحاق أو النزعاتِ العنصرية.

36- الولدان المخلَّدون مسمى آخر للولدان الخالدين، كيف وأين ولماذا يتحول الولدُ أو الابنُ من بشريٍّ فانٍ إلى خالدٍ مخلَّد؟ بحسب تصورات الأريكة العربية في التحليل النفسي، أو فرضيّتها عن ظهور وتكون المعتقد والأخلاق والضوابط، يجتمع الآباء المضحّون بعد تقديم الذبيحة البشرية، أي أطفالِهم، ويبكون أو يندمون ويتحسّرون؛ وبالتالي فهم يجعلون من ذلك التقديم أو القرابين أصلاً وطريقةً لتطهير الأفراد والجماعة، ولمحو وإزالة المعاصي والكبائر، ولتعيين المعايير والأعراف المنظِّمة والمحدِّدة لما هو صالح أو طالح، لِما هو مع المجتمع والمصلحة أو ضد المجتمع وضد المصالح.

* هم خالدون؟ ما معنى أو طبيعة ووظيفة الخلود هذا؟ قد يكون خيلةً أو توهّماتٍ افتراضُنا المذكورُ أعلاه حول تفسير دور التضحية، وتأسيساتها وما أدخلته من تنظيماتٍ وأعراف وعقائد. ولعله تخيّلٌ أيضاً وافتراضٌ الانتقالُ إلى تفسيرٍ لغوي صرفٍ لكلمة الخلود المشتقة من الجذر **خ ل د** ... التفسير بالجذر تفسيرٌ غير تاريخي؛ وهو أيضاً معبِّر قليل النفع والمهارات كما القدرات على أن يكون سنداً أو تفسيراً مؤيِّداً... ومع ذلك؛ فلنحاولْ ونجتهد حتى وإنْ كان يعطينا الجذر خ ل د كلمة **خَلَدَ**. وهنا نقول: خَلَدَ إلى النوم، دار في خَلَدي، دار في

نفسي. ويعطينا كلمةَ دَخَلَ. وهنا نقول: دار في داخلي؛ ومن دواخلي أنّ... في عبارة تفسيرية، نقول: خَلَد إلى النوم أي دَخَلَ إلى النوم (أو في النوم). في خلدي معناه هو: في داخلي، في فكري، في نفسي، في روحي. فما هو داخليٌّ، إذَن، هو روحيٌّ أو روحاني، مثالي اعتباري، غير محسوسٍ وغير عياني.

في هذه الفرضية، الولدان المخلَّدون هم الداخليون: إنهم "أشياء" فكرية. هنا فكرٌ أو نَفْس، وباطني داخلي وفيّاوي (من حرف الجرّ: في) أو نفسي. هنا، إذَن، روحٌ أبدية، أو ملاك إلهيّ. هنا كائناتٌ روحية... هنا جنّة الخُلد؛ وحيث الحياة الأبدية تكون روحيةً سرمدية.

يُستدعى، للشهادة والمقارنة، تفسيرنا النفسي، الخِيليُّ والحدسي، للحورية، للمرأة الروحية، للملائكة الأناث (!)، للملاك؛ الروح أي الحُور (را: رَ وَ ح).

37- "الولدان المخلّدون" مصطلحٌ مؤداه وطبيعته معتقدٌ يقوم على التضحية بالبشري المتحوِّلة المطوَّرة إلى التضحية بالكبش الإلهي. وذاك معتقد يقوم، أصلاً وفصلاً أو كلاً وجزءاً، على أنّه بتقديم تلك التضحية قرباناً يتحول المضحى به، الطفلُ أو ابنُ المضحِّي، إلى خالدٍ أو إلهي، مشاعٍ أو مسيِّب، ملاكٍ أو روح طاهرة، إلهٍ أو معبودٍ مقدَّس ومشوَّع (را: الإله الجاهلي شوع = شَيعْ؛ ش و ع). بحسب هذه الفرضية، في هذه الخيلات، تكون التضحية، بالولد في الكعبة، منبعَ المعتقدات والشعائر التعبّدية؛ أي، بكلمةٍ أقصر، منبعَ الأخلاق والشرائع وأساسَ الضبط والتنظيم للمجتمع والجماعة والحياةِ العملية كما "الإيمانية" أو الإعتقادية... هنا يكون قتلُ الولد تكفيراً وغسلاً ومحواً؛ وبالتالي يكون قتلُ الابن، قرباناً وفداءً وهَدياً لله، هو هو الدين والأخلاق، السلطةُ والقيم، المعاييرُ والقوانين، الضوابطُ والموازين.

37- 2- الولدان المخلّدون هم الشهداء الأحياء عند ربّهم؛ وهم المستشْهِدون المباركون.

38- متكافئة العُسريات مع اليُسريات أساس الفكر التضحوي؛ وقوام فلسفةِ اللقمة، بل ونفسانيةِ العامل المنتج أو الفكر الاقتصادي؛ بل وحركةِ ونشاطات الظواهر الاقتصاديةِ في هذه المسكونة، وفي هذه الأزمان وما بعد هذه الأزمان.

قطب العُسريات يتغاذى ويتفاعل مع قطبه المناقض. هما متلازمان، يتبادلان المعنى أو الدور. لا يتلاغيان؛ كلاهما محتاج للآخر في الوجود والمعرفة، وفي الفعل والتواصلية، وفي القول والقيمة، وفي المنفعة والحقيقة؛ وبالتالي في العقل التضحويّ والعقلِ الاقتصادي (قا: جدلية السيّد والعبد).

39- المرأة أقوى من الرجُل فكرةٌ أو "أحكام" وتحليلاتٌ أظهرتها، ونصرتها بالدراسة الميدانية والمناهج التجريبية ثم التّجرُّبية، الأريكة العربية والمقعدُ الفلسفي العربي والنفسانياتُ الاجتماعية العربية. فعلى الصعيد الأنتروبولوجي، تَتكشّف أمامنا مجتمعاتٌ "بدائية" عديدة تقود فيها المرأةُ الرَّجلَ والمجتمع و"العائلة"، أو نظامَ القرابة والقيادة وشؤون القوت... وعلى الصعيد البيولوجي والذكائي، قد لا تكون المرأة هي الأضعف أو الأدنى صحةً بدنيةً، وصحةً عقلية أو مستوى فكرياً. في الامتحانات الجامعية، مرّ أمامي بوضوح وسطوعٍ أنّ لائحة الأوائل، لائحةَ العشرة الأوائل، قد تتميز على الأغلب بكثرةٍ نسبيةٍ للاناث. حتى داخل المجتمعات المغلِّبة للرجُل، يُلحظ بدقة أنّ الزوجة (المرأة، الأم، الأخت، العَمّة، الجدّة...) ليست الأضعف داخل العائلة؛ أو في العلائقية أمام الزوج، وحيال شؤون الأسرة والاقتصادِ وحرية التصرّف. وليست هي المرذولة أو الخاطئة، القليلةُ العقل أو الدين أو التمسكِ بالفضائل.

لكأن الحقيقي، هنا، هو المتضمَّن. المعنى الحقيقي هو عينه ذلك المطمور أو المنسي، بل اللامفصوحُ والمسكوت عنه. المُراد هو أنّ المعنى، الموقعَ أو الدور للمرأة دفينٌ وغوري، مسيطر وبنيوي. وما يُسقَط على الأنثى من جورٍ وإجحاف أمرٌ تاريخي ومسيَّس، لاحقٌ ومكتسَبٌ أو بَعديّ، نسبي وتغيُّريّ... المسقَط على المرأة أمينات وخيلاتٌ، وإسقاط عليها من الزوج الفاشل، بل ومرغوباتٌ ذكوريةٌ، و"أيديولوجيا أبوية"، أو ثقافةٌ نقلية تُشبه أن تكون مألوفةً جداً ومأنوسةً، أو أن تكون تصوراتٍ عوامِّيّة تحريضية عن الذكوري – الأنوثي؛ وأفكارٌ وسلوكاتٌ لا واعية؛ وذكرياتُ تجارب مكتوبةٍ مُسمّاها هو اللاوعي الثقافي – البيولوجي عند النوع، وفي الفرد... تلك القولة أو النظرية في جوانب الأنثوي منفتحةً على عقل الفلسفة النسوية (= النسائية)، وخطابها في العافية أو الجدارة الحضارية، داخل الدار العالمية للفلسفة، وللنفسانياتِ كما الاجتماعياتِ الحضارية الإسهامية

* القراءة الطبيبيةُ العيادية، أو استكشافُ الحالةِ التحليْلنفسية للذكورة – الأنوثة (= الكُونوثة)، توصِل وتؤدي إلى التقاط إيجابيات داخل الموقف التقليدي المُعادي للمرأة والمعقّد لأمور الجنس والشؤون الزواجية أو للفقهيات النسوية كما الجنسية أو النكاحية. يضاف، أيضاً، إنّنا نلتقط الإيجابيَّ أو السويَّ والسديدَ في خطاب دارسي تلك الفقهيات القدامى؛ وفي خطاب المحلِّلين المعاصرين لتلك الفقهيات السمعية أو النقلية.

* نتبنّى شتى ما قاله تيار العفيف الأخضر، وأضرابه هنا وهناك، في الجنس والأنثى. نرفض ما رفضه الناقدون والحركات النسائية؛ لكنّنا لا نُبطِل أو نعطِّل أو نعمى عن الإيجابي، عن المطمور أو المغيَّب، المهمَل والمتروك المسيَّس على يد التديّن والتسلّط.

فقراتُ الفضاء الفلسفي للتحليل والمحلِّل (2)

1- لكَم هي "مظلومة" عَقليةٌ، سلوكٌ أو إنسان يعيش في فضاءٍ هواؤه موبوءٌ بأضاليل الإعلام، بالسلطة "الجرائدية"، وشتى وسائل الاتصالِ الجماهيري والإجتماعي الأخرى. لا ينمو بحريةٍ واستقلالٍ إنسانٌ تحكُمه الميديا، الإعلاميات المرئية والمسموعة، الإلكترونية والحاسوبية... كلُّ رفضٍ أو نقدٍ تجاه التواصل بالوسائط الجماهيرية يكون، في الحقيقة، رفضاً لبيئة فكرية "مسمَّمةٍ" بروحيةٍ وأدواتٍ يستخدمها أربابُ السياسة والاقتصاد، المسيطِرون والمهيمِنون، المحظوظون والمحظوظون جدا.

التسلط الإعلاميّ إذلالٌ آخر للبشريّ، وقتلٌ للعقل والحريةِ المسؤولة؛ وضغطٌ أو تطويعٌ وتطريقٌ يحيل المواطن إلى آلةٍ، وأداةٍ استهلاكية؛ أي إلى شيء أو متاعٍ، إلى رقمٍ وغُفْل.

2- يصلُح الحوار، بالرغم من كثرة الأوهام حوله، مع الفلاسفة العرب الأقدمين. وكشاهد، إنّه ما يزال حياً وجائزاً، وما يزال ممكناً ومعبِّراً، حوارُنا مع ابن سينا أو الفارابي، الغزالي أو ابن خلدون.

في نفسي إعجابٌ بشخصية وذاتيات ابن سينا؛ وليس فقط بفكره أو مقولاته. بيدَ أنّي لا أستطيع القبول بمبادئ "ملتوية" أو ذاتياتٍ وأساليب العيش التي اتّبعَهـا

ابن خلدون؛ وهذا، بالرغـم من أنّي لا أراها، في هذا الزمان وما قبله، غير مألوفةٍ عند السياسي والغني، الرأسمالي والمَصالحي؛ وحتى عند المتواطئ المستتبَع، المتحزِّب والمتعصِّب. قد لا يُلفِت اليه، الغزالي، بما هو ذو نظريةٍ في السياسة؛ لكنه يُلفِت بما هو ذو قولٍ في الفكر المسكوني، في خلاص البشرية برمّتها بغض الطرف عن الدين أو المذهب، والأمّةِ أو العِرق أو الفكر؛ ومن ثم في عفو الله وصفحه عن كل مذنب أو مشركٍ أو جاحد، وفي خلاص كل إنسانٍ أو كلِّ الناس.

3- جذور الاستعمار البائد، بوجهَيْه الانكليزي والفرنسي، تبدو بوضوحٍ اقتصادية هادفةً إلى الاستحصال الكثير، بلا كثير مشقة، على الثروة والاستكساب، الاستنفاعِ وتحقيق المصالح والأيديولوجيا. لا نستعرض تلك المسبِّبات، أو العوامل والشروط التي كانت تعمل في مجتمعٍ وحضارةٍ وتاريخ، في سياسةٍ وأوضاعٍ تدفع القويَّ إلى الهجوم، والمستلَب المستضعَف المنجرح إلى الاستسلام والانكسار، ثم إلى التقبّل كما الرضوخ.

لكنّ المدرسة العربية الراهنة، في الفلسفة والنفسانيات والصحة الحضارية، انصبّت فقط على استكشاف الدوافع اللاواعية، والحاجات الحضارية اللامفصوحة أو المتضمَّنة... المراد هو أنّ المحجوب، المكبوت أو الدفين حياً لكن مؤثّراً وفعّالاً، كان هدفَ المحلِّل العربي للظاهرة التوسعية الافتراسية عند بضعة دولٍ أوروبية سِمتها الأولى أنها ذات كثرةٍ سكانية نسبةً إلى الدول الأوروبية الأخرى. إلى جانب العامل السّكاني هذا، يقوم "الشأن" الاقتصادي بتفسير التاريخ. وتتفسر، هنا، أي عند الأوروبي المحظوظ، الأبعادُ النفسية والغورية واللاواعية بالعلائقية التاريخية داخل مجموعة دوله الكبرى، وحروبها فيما بينها. لأجل إستكشاف اللاوعي عند الفرنسي، أو أيِّ مستعمِر، من اللابدي، بحسب الأريكة التحليلنفسية العربية، بلوغُ ذكرياتِ الحوادث والتجارب الصّدْمية المدفونة حيَّة، والموجِّهة والمفسِّرة لعواطفه وانفعالاته، أحكامه وتقييماته، رغباته ورؤيته اللامفصوحة للحياة والشعوب الأخرى، للأمم المجاوِرة الدانيةِ والبعيدة القاصية.

* صورة الانكليزي عن نفسه جبَل جليد؛ المطمورُ هو الحقيقي.

* خفّ التوتّر الذي كان يواكب تدبّر حالة المستعمِر والمستشرق، الجاسوسِ الأوروبي والشخصية الأوروبية الاستغلالية.

4- المسلسل التلفزيوني مليء بما هو غير منطقي وغير واقعي، وبما هو بعيد عن الخبرة في الحياة والفكر، وفي اعتماد التاريخ وتفسيره وتأويله. بيد أنّ هذا الأمر، وإذْ هو ليس موضوعنا، يقدِّم للدارس "معلومات" وأخباراً عن الحياة الشعبية والمألوفة، أي التقليدية أو الموروثة؛ وعن الحياة المهجَّنة أو المعلمَنة المتأثّرة بسماتٍ تخلقُها الصناعة والآلة، والأفكار كما السلوكاتُ المعروفة والمميَّزة داخل الدار العالمية للتقدم الثائر والعَميم.

بمراقبة بضعة حلقات اكتشفتُ كم كان سهلاً، وشديد المنفعة، تَعلّمُ لغةٍ إسلامية. كما كان، أيضاً، مفيداً ومنوِّراً اعتمادُ السينما من أجل المعرفة الحيّة بالتاريخ والفكر في العالم؛ وعند الأمم الاسلامية، بل وعند الأمم "المتعثِّرة" الأخرى وما ماثلها- اجتماعياً واقتصادياً ووعياً- من قطاعات أو طبقاتٍ سكانيةٍ داخل الأمم الصناعوية، الشديدةِ التقدم في التكنولوجي والإعلامي، وفي العلوم والاختراعاتِ والصورة.

* كان المسلسل موضِحاً مفسِّراً، عند العربي المعاصر، لأسماء عائلاتٍ وقرىً من نحو: شلَق، كلَش، باريش، إنجي، فرحات، تولين، باريش...؛ فهذه ظهرت على الشاشة في مسلسلٍ تركي نافعٍ، لعله خفيف الظل والقيمة كما العقل وإعمال العقل.

* دعيتُ لإلقاء محاضرة والتعليق على محاضرة، في قسم الفلسفة -جامعة القاهرة؛ وفي الجمعية الفلسفية المصرية. وشاركتُ في مناقشة أطروحةٍ دكتوراه عن الفكر الهندي. لاحظتُ أني كنتُ في القاهرة كمن يعيش في مدينته؛ أي بين قوم مألوفين لديه من حيث اللهجة والعادات وشتى مناحي الحياة والنشاطات. فقبل نزولي في القاهرة كنتُ قد عرفت وفهمتُ التصرفات والطباع، والاهتمامات والطموحات، الرغبات والمشاعر، المعالم والمتاحف والتاريخ... وكل ذلك بواسطة التصاوير والإعلام، السينما والأفلام، النجوم والمشاهير، الروايات والمجلات.

* مسلسل عربي تراثي فتَح على قراءة الأزياء والمطبخ، الأمثال والمشارب، العادات والأعراف، الهموم والقيم والحضارة... والأهم أنّي أزددتُ معرفةً باللهجة اللبنانية، وبمفرادتّ كنتُ أظنها غير عربية.

* وضعوا أمامي، في أوائل الستينيات، صورةً كبيرةً لِـ دانييل لاغاش كانت داخل كتابٍ فرنسي في علم النفس؛ وقالوا كالواثقين المبتهِجين: هذا أنت! صورته تشبه صورتك. وفي زمانٍ لاحقٍ لذلك، قال آخرون: ذاك الفنان، فلان، يشبهك تماماً. وعلى رغم التقدم في العُمر؛ فأنا لم أتوقف عن قراءة صورٍ متعاقبة متتالية لصديقٍ أو صابر، لمريضٍ أو لمستشيرٍ طالبٍ استشارة، لطفلٍ أو حبيبة أو عجوز، لأقربائي ولي نفسي.

* نافع وممكن هو اكتشاف النفسي والغوري بقراءة الصّور التي يظهر فيها الطفل مع أهله، أو بين رفاقه في المدرسة والملعب... وكذلك هو أيضاً حال صُوَر ورسوم الأطفال، والرسوم الكرتونية.

5- في تقديرنا العمارة نفسُها اعتُبرت انعكاساً للبيئة؛ وكذلك للإنفصال والمفاصل في الجغرافيا وفي التاريخ، في التفكير والفكر نفسه؛ بل وحتى في الأدب والشعر أيضاً. والفنون العربية الاسلامية، على نحو خاصٍّ ومحدد، زعمنا فترةً أنّها قد تفسَّر كانعكاسٍ للعقلية التي تُجزّئ الأشياء، والتي تقيم التقطّع والانفصال وليس التوليفةَ والادراك الكلي... في الواقع، لم يثبُت وجودُ العقلية التي لا تُدرِك الكلّي، الكلَّ المتلاحم المتواصِل، العفويَّ والفوريّ، الجيّدَ والمباشر.

6- يُعجِب نجيب محفوظ؛ يستجلب الاهتمام بتحليلاته للمشاعر والانفعالات، وبتشخيصاته وتمحيصاته للحالات وما هو غوري وغير مفصوح في دواخل الشخصية، أو في التجربة والادراكِ عند مختلف طبقات المجتمع؛ بل وحتى عند أعلى الدرجات للمعرفة والتفكير والإعقال عند الشخص العادي، كما عند الجامعي أو الباحث، والسياسيِّ كما الغنيّ المحظوظ.

من هنا فإنّ الطالب في المرحلة الجامعية، قسم النفسانيات وفي شهادة التحليل النفسي، قد يلتقط بسرعةٍ التقاطع في سَبر النفسانية عند الأديب والفنان، وعند الاختصاصي العيادي والمحلِّل النفسي. لكأنّ الأدب سبق التحليل النفسي؛ ونفعه جداً أو ماثَلَه حراثةً وتعمّقاً.

7- الانفتاح على لغاتٍ أوروبية أخرى، كالايطالية والاسبانية، مهارةٌ نمنحها للثقافة العربية مقصودُها ومُرامها التخفّف من أثقال وأخاديد مبهِظةٍ أحدثتها الانكليزية والفرنسية.

* السياسي، هنا، يجامل؛ أما المحلِّل النفسي فيغوص متعقِّباً انجراحاتٍ حضاريةٍ قد لا تندمل أبداً.

8- في السبعينيات من عُمره أقسم العلماني جداً، بغير ضرورةٍ أو معنى، أنّه لا يستطيع منع تبلل عينيه بالدموع حين استماعه إلى نداء: حيّ على الفلاح ... وأنا أيضاً، كنتُ ألاحظ أنّ أبي كانت تعتوره مشاعر مماثلة حين ترداده للنداء عينه. ذاك بُعدٌ في الحياة الروحية، ومن ثم في الصحة الأخلاقية الروحية والمثالية، صالحٌ لأن يُستكشف؛ ويُستثمَر؛ وصالح، ربما، لأن يحلَّل كما حالةٍ عيادية.

9- آن للأزهر، على سبيل الشاهد، أن يعترف بأنّ في الاسلام نظرية يمثّلها علي عبد الرّازق مفادها فصل الدين عن الدولة؛ ونظرية أخرى يمثّلها التقليدانيون؛ وأنّ الازهر يفسح للفكر كلَّ مجالٍ من أجل أن تتفاعل وتتحاور على ساحته هاتان النظريتان المتشاركتان المتواضحتان.

10- حالة نفسية اجتماعية عنوانها ما هو "**الشيء**" **الأكبر الذي تَعقبَ الطلابُ وجودَه فيهم وأثره**. لكأنّ دراسةً ميدانية لاحقتْ وتحرّت "**الهدف الاكبر**" عند الانسان اللامحظوظ في مجتمعِ هذا الأوان، وهذا المكان. بدا أنّ ما يسعى إليه كلُّ فاعلٍ اجتماعي هو توفير اللقمة، وضمانُ القدرةِ على العلاج الطبي، والاستحصالُ على ما يؤمّن الاطمئنان المادي والنفسي على المستقبل. هذه الأهداف الثلاثة موحَّدةٌ هي عند القاع وعلى رأس القمة (را: سُلَّم الحاجات، "هرَم" الدوافع). فعنوانها واحد هو المال؛ هو الاقتصاد؛ هو الحياة السعيدة؛ هو المصلحة الشخصية؛ هو المنفعة المضمونة والامتلاء.

يبدو ذاك الأمر تلخيصاً لمهدوية كل مواطنٍ أو شريحة، وكلِّ مجتمع أو جماعة، وكلِّ أمةٍ أو دولةٍ... ما الفلسفة سوى النظرية العقلانية العامة في تحقيق المصلحة والإنصاف وسدِّ المنافع بحيث يُدفع عنّا الضرر والوجع، والقلقُ

والمخاوف، والمخاطر والمثبِّطات. ما الفلسفة سوى صوغ نسقٍ أو كلٍّ أجمعي في الحياة والعقل والفعل، في الأَيْس واللَّيْس، الشّبعِ والجوع، العُسريات واليُسريات، المهدَوياتِ أو العدَنيات.

11- في مجال الروابطية الغائرة والصريحة بين الفلسفي – النفساني – الأدبي، كتبتُ "مقالةٍ طالبية" وعلى نحو "مَجَلاّتي" بعنوان: القصة والفّن كما الشعر الحديث... فلسفة ونفسانيات حديثة (1961)؛ وثمة أيضاً مقالة في التاريخ نفسه بعنوان سيكولوجيا النقد والنقد (بيروت، مجلة الآداب، 1961). كان في تلك العيّنة شاهد على مشكلات وصراعاتٍ ميَّزت آنذاك المسرح الفكري. وكطالب لم يكن قد أنهى دراساته الجامعية، كنتُ أجد متعةً في اللعب مع البارعين والمهَرة حول: الالتزام، المثقف، القيم، التصنيع، الأدروجة الوجودانية، الصِّراطي داخل مستنقعٍ ضحل من الأيديولوجيات العربية المسيَّسة والضَّيّقة... وكان يُفرحني أني في صف مجلة "الآداب" المرتفعة حينذاك فوق ركائز هي الوطنيّ والأُمَّتي، الناصري والوحدة العربية، التنكُر للأحزاب المتعصّبة والأيديولوجيات اللاهوتية، التحرّر والاستقلال.

12- ربما يكون الاهتمام بحقلٍ فني هو، كشاهد، "**موسيقى شعوب العالم**"، ومن ثم بالموسيقيات المقارنة، أو بالموسيقى داخل دارها العالمية، عاملاً قليل التأثير أو كثيرهُ في الاهتمام الأدق المحصور بهواية التلحين. كان من هواياتي وضعُ كلماتِ أغنيةٍ؛ ثم وضعُ لحنٍ لها. فلَّشْتُ، في تحليلٍ نفسي ذاتي، عن المنشأ والطبيعة والمعنى لذلك الميل، لتلك الرغبة أو للدوافع اللاواعية المحجوبة.

يحتاج المراهق إلى اختصاصي نفسي اجتماعي من أجل المساعدة على كشف المزيَّف في ذاته والمتوهَّم، وعلى تعيين مهاراته والتوجهات أو الطموحات، وعلى فهمٍ واقعي لما نرغب ونستطيع، لما نريد ومالا نريد.

13- في التدريب على موضوعةٍ تحليلنفسيةٍ، عنوانها أثر ومعنى اكتشاف نمط الشخصية، تأسَّسنا وانطلقنا من طرح تعبيرة واحدةٍ يكون ردّ الصابر عليها إمكاناً وطريقاً إلى إخراج المكبوت والمحجوب.

وعلى سبيل الشاهد، كنتُ أسأل: هل تزوَّجتْ؟ يكون الردُّ اندهاشاً ونفوراً وامتعاضاً؛ أو ابتساماً وانشراحاً، وإقبالاً متفائلاً.

كما قد يكون الرد: أنا متزوّج! اكتفيتْ. يكفيني همٌّ زوجةٍ واحدة... زوجة واحدة غير محمولة. فكيف أتزوج اثنَتْين؟ وفي مناسبات أخرى، بصورةٍ عفوية أو غير بوليسية، كنتُ اطرح فكاهةً (نكتة، بايخة) من أجل التقاط ردود الفعل عند "العميل"، الصابر. فالاستجابة شاشةٌ تعكس الأغوار والدفائن، وتكشف المستورَ أو اللامفصوح والمَخفي.

14- في دراسة "التواصلية" قد يَصلُح البدء من التنبّه أو من توظيف الايطولوجيا (الأطباعية الحيوانية، عادات السلوك عند الحيوانات). فصغير الحيوان وصغير الانسان يُظهران تشابهاً يتوقف مع البدء بتعلّم اللغة. يهمنا، الآن وهنا، أنّ الصغير، في الجانبَيْن، يحتاج للآخر؛ فبغير علائقيةٍ مع الآخرين لا إمكان عند الصغير للاستمرار. ذاك ما يعلّمه النفسانيون بدقة وطرائق علمية؛ والتحليل النفسي يدرس هنا الانفصالَ عن الأم، والتواصل البديل كما الوسيط مع الأم؛ ويدرس الفُصالية؛ كما يدرسُ بعد ذلك، بعد العلائقية الأرومية (= البيولوجية)، التعامليةَ ثم التواصلية المؤنسَنة.

15- عقدة اللغة الأجنبية عند المسلم، أو الفقراء في لبنان، والدّولِ أو الشعوب المتعثّرة المنجرحة حضاريا، صُفِّيتْ ببطء واختمارية بفعل وتأثير عوامل هي عينها التي طورت الوعي بضرورة أن تُغيّر الذاتُ صورتَها عن جسدها ولغتها، عائلتها وحقوقها المدنية، تواصليتها مع المستضعِفين الجارحين لها، ومع أمم الرابوع الأوروبي التمّددي وداخل الدار العالمية.

لمّا انتصر العربي بالتعلم الثانوي ثم الجامعي بلغته العربية، في أول الستينيات، اندلعت الثورة على السياسي المحلّي، وانبجست أشياء، وتدفقت المردوديات.

لقد كان الرد على الاجحاف، وعلى الظلم بوعي وتخطيطٍ مسبق، يشبه أن يكون "كارثياً" (را: معجم الطب النفسي...). وبعد سنوات التقدير للشهادة الثانوية بالعربي (في سوريا، وفي مصر)، استيقظ الوعيُ بضرورة التطهّر من وعثاء السفر إلى التعلم في بلاد بعيدة. ثم كانت الثورة الثانية؛ فظهرت الجامعة اللبنانية، وطوّرت ونمّتْ الوعي بأنّ اللغات الأجنبية شِبه متواضعة القيمة والوظيفة.

المراد هو أنّ الانتقال بين اللغات الأوروبية ميسور؛ وليس أمراً إدّاً. فالجسر الواصل فيما بينها سهل العبور: تعلُّمُ مائة كلمةٍ يونانية، وبضع مئات فرنسية أو انكليزية، يُهيّء لتعلّم أيٍّ من تلك اللغات بغير خوفٍ مسبق أو حذَرٍ لاحق.

16- يتناول التحليل النفسي "الأنا" تناولاً هو وفق مناهج التحليلنفس والمتخيَّل والإناسة، وتبعاً لاستماراتٍ ولمنهج التداعيات، وبهدف البحث عن أنماطٍ أصلية أولى في اللاوعي الجماعي؛ أي في التحليل للأحلام والبلاغويات بل والأقوالِ الدارجة والأساطير والأمثال، وحتى للفن والأدب والنقد.

ويكون المنهج الآخر تناولاً لتلك الأنا من حيث الاهتمام بما هو فيها كامن ومحتمل وغير متحقق، وبالأماني والاسقاطات للأنا والنحناوية والمجتمع. يقرأ ذلك المتناولِ عبر جلساتٍ تحليلية عديدةٍ أنّ الرمز يُعد كما حقيقة، والواقعَ النفسي يؤثّر كالواقع العيني، والحسياتِ والأسبابَ تكون مخبأةً وراء ما يقدمَهُ المنتِج للنص على انه فوقْ – سببية، وغير خاضع للحتمية. فالمعجزة وأخواتها، كشاهد، عبارةٌ عن ردود واستجاباتٍ لفظية أو غير مباشرة، وحلمٍ يقظوي وحلم ليلي، وتشبيهٍ ومجاز، وعطاء لا واع، وحكايةٍ واستعارة، وفعل لا إرادي. من هنا تبدو المعجزة ذات وجهَيْن في رأسٍ واحد، وحقيقةٌ ذاتْ مظهرَيْن أو ثوبَيْن، ولغةٌ خاصة وعامة، أو عميقة وسطحية معاً.

17- لكأني غدوتُ مقتنعاً، أكثر فأكثر، بأنّ الحضارة (والثقافة) البشرية إرثٌ ينتقل، انتقال الثروة الفردية، من أمةٍ إلى أمة، ومن الأب إلى ورثته. بذلك يصح القول إنّ الحضارة البَيْنَهرية، البَيْرَوافدية، كشاهد، انتقلت إلى الحضارة اليونانية؛ وإنّ هذه الأخيرة انتقلت إلى العرب، ومن بعدهم إلى أوروبا اللاتينية. وهكذا هكذا.

انتقال "الثقافةِ العالمية" من يد إلى يد، أو من أمةٍ لأمّة، لا يكون قِرْدانياً؛ ولا يبقى آليّاً أو خطياً، عبوراً مستقيماً أو منساباً وانسيابياً.

18- التأويل أساسُ ومُعتِقُ حركةِ الابداع والحداثة؛ وأساسٌ في اوالية الاتزانية التي هي حركة دائمة، وتجديد مستمر، وتكيفٌ ايجادي أيْسِيٌّ مع التغيّر الاسهامي.

تلك الحركة انعطاف، تعميق. إنْ لم يكن التأويل تعميقاً فهو نظرة أخرى على النّصّ. والنظرة الأخرى طبيعية، ودليل صحة. ذلك الانسان الذي ينتمي إلى "أهل النظر" أو أهل العرفان والولاية لا يستطيع أن يقبل، في كل الأمم والأديان والأزمان، بنصٍّ واحدٍ ووحيد، أو بقراءة واحدةٍ كافية ونافية للنص المقدس أو الأساسي أو حتى المألوفِ العادي. الادراك يتغيّر بتغيّر الوضع والظرفِ والثقافة، والتجاربِ الشخصية والهمِّ والمطلَب. التأويل إذَن ضرورة طبيعية حتمية. تتطوّر وتتغيّر الأفكارُ أو الأقوال الأساسية إنْ في الفلسفة أم في الدين، كما في الاحزابية (علم الاحزاب)، بتغيّر أدوات التأويل وزمانه أو روحه، ومطالب العصر والظروف، والتحدّياتِ كما المثيرات.

* القساوة على أهل التأويل اللاهوتي تهدف لأغراضٍ مصلحية، سياسية، غَرَضية ومَيْلية؛ ومن هنا فأنا وانْ كنتُ غير مؤيِّدٍ فإنّي لست منكِراً لهم ولا أرفضهم. استبداد الاكثرية، عقدة الأخ الأكبر، عمّقت الهوةَ بين المذاهب الاسلامية، بين الشرائح أو المداميك الاجتماعية، بين الأمم أو الثقافات، والأديانِ كما اللغات.

أنا أرى في التأويل ثورةً ما دام العقلانيون يحبون كلمة ثورة. التأويل كان ركيزة المعارضة. التأويل معارضةٌ وطلبُ تغيير، وتمردٌ على القائم المحتمي بالظاهر والشائع، والموروثِ المتَّبع أو السلفي. لقد قدّم القائلون بالتأويل الافضل والأرقى. المثال؟ الفارابي، ابن سينا، الصوفيون، ابن طفيل، ابن رشد... واليوم، لا يكون تحرّر، وتحريريّون وانعِتاقيّون دون التأويل. عدا ذلك يكون كلُّه قَفْصَنة، ويقود إلى الأحادية المستبدة والتعصّب.

19- فاشلةً بدت المذاهبُ في الأنسنة وكينونية الناس، كما بَدَتْ مثاليةً مفرطة، غير واقعية؛ وتشهد على ما فعله العالم "المتقدِّم" (!) الصناعوي في نفسه، وفي العالم، إبان الحَربَيْن الكبرتَيْن، في القرن الماضي.

النظريات العربية في الأنسنة، وفي السِّلْماوية والمدَنيات، لم تبلغ بَعد الرُّشد؛ ولم تحرث عميقاً وشُسوعياً لا في عالمها العربي؛ ولا في الأمم الأخرى غير المحظوظة. لم تحرث في القيم المسكونية من جهة؛ ولم تفلِح أيضاً، من جهةٍ

أخرى، في الحقل المحلي وأضرابه من الحقول المستضعَفة والمنغلبةِ داخل العالم المتقدم نفسِه، داخل عالَمٍ يجافي مطروديه ومنجرحيه المظلومين.

20- المعاينة (القراءة الطبيبية)، بمناهجها أو بنقدانيتها السلبيجابية، تكشف الطريق إلى تجنّب المطاعن والمرذولات ثم إلى إعادة ضبط المطاعن التي قد تُلحظ على جسد نظرية الفيلسوف كما على سلوك الراحل إلى الكمال. تلك القراءة تكشف أيضاً اللاوعي الثقافيَّ للايمانيات والعقائد والمعتقدات؛ وتضع أمام العقل المستكشِف المتحرّي المتمحّصِ، المحجوبَ والجذورَ، والتجاربَ الاولى والطفولة في حقول الخيليات والحدسيات والعقائديات.

21- عقدة عُمر بن أبي ربيعة، أو نزار قباني، طفليةُ المنشأ والتكوّن والمسار. **عقدة الثدي**، عند الشعراء، كشاهد، هي غرضٌ أول، بل الأول، في العلاقة مع الأم ومرحلةِ ما قبل الأوديبية. **فالثدي الطيّب** المملوء حليباً يبقى طيلة العمر رمزاً للحياة والأمان، للحب والحنان؛ وعند الحدّ المناقِض فقد يكون ثدي الأم رمزاً لنقص المحبة أو الاطمئنانِ، بل وللعنفِ والاحباط، للشرِّ والكراهية، للحرمان العاطفي، وقلق المهجورية، والانفصالِ النفسي.

في هذه الحالة تُلتقط عقدةُ الثدي (= النهد، بالمعنى الإغرائي الشبقي) عند عمر بن أبي ربيعة قديماً؛ وهي مفسِّرة وموقِّدة للقصيدة عند نزار قباني، في هذا الحين والأوان. إنّ رائز عدّ المصطلحات المفتاحية (= الأكبر، الأكبرية)؛ أي إحصاء أعضـــاء الجسد الأنثوي، الأكثـــر تردّداً في القصيدة (= قا: الحُلم؛ الفنّ)، إمكانٌ لأن نقبض على المكبوت عند ن. قباني، ومن هم في مثل تلك الحالة العيادية.

22- ترسخ اعتبارُ الدافع إلى الأدب والفن والابداع عقدةً اسمُها عقدة الدونية والضّعَة، النقصِ والقصور. وهي بالتالي دافع إلى التعويض والتعويض الفائق، إلى الرغبة بالتملك والهيمنة، بالسيطرة والعنف وإرادة الاستعراض أو الاستبذاخ والاستفاش.

لا تكون الغريزة، غرائز حفظ الذات وغرائز حفظ النوع، أو الغرائز بكافة تشكّلاتها، مفسِّرةً للابداعات الأدبية والفنية؛ وذلك ما يقال أيضاً بصدد تفسير تلك

الابداعات، ثم تفسيرِ بناء الأضرحة الضخمة والقصور، المعابد الهائلةِ أو الابراج الكبيرةِ والقلاعِ وما إلى ذلك من معالم باذخة، تفسيراً بالتوق للخلود، والرغبة اللاواعية، أو الواعية، بالحياة المديدة العَصية على الزمان والدهور.

23- عقدة الفارابي عُقدةٌ فحواها الإنسحابُ من الاختلاط، أو من الانغراس في خضمّ المجتمع والانبساطية والنشاطِ العلائقي. هناك انكفاء؛ وهنا الانطوائية التي تكون واعية، إرادية ومتعمَّدة. وقد تكون مرَضية، وحالةً عصابية؛ وثمة أيضاً حالة الانطواء عند الذهاني؛ أو حالة أحد العوارض الملحوظة في الفصام.

* سبق أن أشارت المدرسةُ العربية في حقول التحليل النفسي إلى أنّ الأفكار أو الظواهر النفسية المحرَّمة قد تكون من مسبِّبات قلقٍ أو توترٍ يجد حلاً بالدفع إلى تسويةٍ للصراع بين النزوية الجنسية المكبوته والأنا الأعلى حيث الأخلاق والمجتمع والقيم... فالعزلة، الانسحابُ والتعفّف والامتناع الجنسي، أوالية هروبٍ وتغطيةٍ أو اضطرابٌ نفسي بيولوجي اجتماعي، وعصابٌ أو حالة مَرَضية اسمها حالةُ "اللاإختلاط" أو خواف الاختلاط.

24- في عقدة الانتقال أو عقدة النقلة تتحوّل النزوياتُ إلى ميدانٍ أو موضوعةٍ مختلفة. فهنا، كشاهد، إبدال كراهية شخصٍ بكراهية فكرةٍ أو وسيطٍ، أو رمزٍ أو ممثلٍ للموضوع الأول... وقد تكون الضغوط والاكراهات الجنسية، على المراهق الذي استعصى عليه كبتُها، عاملاً مؤثراً في مفاقمة أواليات التعفف والزهد أو التحولِ إلى مناقضة تلك الضغوط، إلى التكوّن العكسي والنشاط الراهن في محو الماضي والنقيض. بالانتقال اللاواعي تحصُل وتتكوّن السيطرةُ على المشكلات والأنا، على القلق وعدم الرِّضى عن الجدارة النفسية للذات.

* عقدة النكوص تتمثّل في التراجع إلى السلوكات الطفلية، إلى الحصون الماضية، والثدي الطيبِ الممتلئ أو الحنون والحامي. هنا نبعَتْ، منذ أواخر السبعينيات الماضية، دعوةُ المدرسة العربية في التحليل النفسي إلى استكشاف اللاوعي أو المكبوت، والمحجوبِ وذكرياتِ التجارب الصَّدمية الطفوليّة، والعَنَتية والمتعصّبة... وهنا كانت أيضاً دعوة تلك المدرسة إلى تحليل الشخصية والمكبوتات عند: الأصولي، السلفي المتشدّد، كاتب كتاب القراءة الابتدائي،

المدرِّس الجامعي، الفنان، الأديب، السياسي العُصابي، الشاعر النرجسي، البطل العصابي، التعصّب.

25- انتفعت التربية من التحليل النفسي... يكون هدف ما من أهداف التحليل النفسي، في معنى ما من معانيه ووظائفه، تربوياً؛ ومن الجدير أن يكون، أيضاً، أخلاقياً.

فالتحليل النفسي يستحق ويقدر أن يكون، في نهاية الأمر، ايجابياً ومتفائلاً، واثقاً بالانسان وقدراته، وبإرادة بل وبالرغبة في الشفاء، وموحياً بل وموجِّها وموجَّهاً نحو النظرية الاشفائية التي تتأسس على إمكان ووجوب وربحية إعادة الادراكِ والضبط، التعليمِ والتنظيم والتربية. التربيةُ تكون شَمّالة ومتواصلة، استراتيجيةً وتطوراً وتنمويات، دينامية ولا تتوقف عند مرحلةٍ من العُمر، ولا على صعيدٍ أو مستوى محدود.

26- حالة عيادية: الايلام اللامتعمَّد ظاهرياً قد يكون حالةً ذات دافعٍ مخبوء دفين. وكشاهد، إنّ الايلام للزوج، عند الزوجة المتشنِّجة، تَتَمثل في أنها قد تذهب إلى ممارسةٍ لا واعية لأفعالٍ تُسيء إليه أو تحطّ من قدره، تُزعزعه وتُنقص من ماله، تكشف عن مطموراته وتفضح خصوصياته.

27- في مناسك الحجّ، وزيارة قبر الرسول، ندعو الله تعالى طالبين "العفو والعافية"؛ أي مساعدته لنا على التطهر والتزكي نفسياً ووعياً، ثم على الحياة السعيدة جسدياً واجتماعياً. ندعو الله ليس للمحو والغسل، بل وأيضاً كيما لا نقع مستقبلاً في السوء والنقص، في الحرمان والآلام. "العفو والعافية" اسمٌ آخر للمهدَوية في العُمر، وللفوزَيْن المادي والمعنوي الاعتباري، البيولوجي والثقافي، الممتدِّ وغير الممتدّ.

* انتاج وتكوّنُ المعتقدات، أو الايمانياتُ وقطاعُ المتخيَّل، ظواهر نفسية اجتماعية مرافِقة للعقل البشري. فالانسان متخيِّلٌ وسلوكاتٌ، عواطف وتفكّراتٌ؛ حدسٌ وتوهّمات؛ وذاك كلّه ظواهر ضرورية لحفظ النوع، وبقاء الذات. أحفّتْ هذه القطاعات، أو "الثقافة"، وصاحَبها أو تَزاملَتْ مع الانسان عبر تاريخه وتطوره؛ أي في حياته ولغته، وفي تواصليته بينه وبين نفسه، أو داخل بستانه

الذاتي، وفي تعامليته داخل الدوائر الاجتماعية وأمام القدر والمصير والألوهية (= المطلَق).

28- داخل الفكر العربي، وفي العالم "المتوتر" المنجرح، خفّ أو أخذ بالتحول إلى ضده، التأثيرُ الثقافي الفرنسي أو الانكليزي بشكلٍ خاص، والأوروبي بوجه عام، على الفكر والفلسفة والنفسانيات؛ ومن ثم على التحليل النفسي وشتى الانشقاقات أو التفّرعات في المجتمع والعلوم، والفعل الاداري كما السياسي والاجتماعي أو الاقتصادي.

* نافع هو وسديد توقّعُ الاستمرار في نقد العربي للمجتمعات وللشخصية والسياسة الأوروميركية، الصناعوية والآلوية.

* الموقف المعادي، العدوّ، قد ينفع أكثر مما ينفع الموقف المؤيِّد. لا ينفعنا الموقف الفاتر، كما "المحايد" أو الصامت. في جامعة أجنبية، كفَّ الكتاب "اليسوعي" الباحثُ في النهضة العربية، في القرن التاسع عشر، عن تحويل مديح الفكر المحلي إلى مديحٍ للثورة الفرنسية.

* المنهج، وتماماً كما المدرسة أو التيار، هو ما يستمرّ. إنّه يعمل باستقلال عن مُطلِقِه، ويقع ما بعده أو خارجه. وهو يُراكِم ويتناقح، يُنتِج ويعيد ضبط ذاته وتعضيتها. إنّه أقدر وأعرق من أن يُحصر بباحثٍ أو اختصاصي بالمنهجيات. فالمنهج معروضٌ مبذول للجميع، مجاني. والمدرسة، كالمدرسة العربية في التحليل النفسي أو في الفلسفة والنفسانيات، لم تبدأ بفردٍ أو بزملاء جامعيين... إنّها تستحق ذاك المسمّى لها لأنها كالحياة " تتوالـد ذاتياً"، وتطوِّر نفسَها بنفسها، وتقوم بالنقد الذاتي، وتنحو كالحية والحياة نحو التجدّد والتحوّل، الترقّي وتصحيحِ المسار اجتهاداً ونمواً.

الشاهد هو أنّ المدرسة العربية المذكورة يَجري ويعمل المنتِجون ضمن إطارها متغذِّين بثمارها وروحيتها، بل وقوامها ونسغها. وما يجمعهم هو أنّهم يسيرون بتخطيط أو قفزاً وعشوائياً باتجاه أن يكونوا متحرّرين من السير في خنادق ووهاد المذاهب والنظريات إنْ الانكلوسكسونية أمْ المنتَجة في الرابوع أو الخاموس الأوروبي. وعطفاً على ذلك الوعيِ بمنفعة ومردودية إستقلالهم، فإنّ

الزارعين والحاصدين في حقول الفكر العربي، يشعرون أيضاً بلابُدّيّة ولا مناصيةِ الصوغ، بحريةٍ وعقلٍ ناقدٍ وعينٍ مخصوصة واسعةٍ، لمشكلات الانسان والحياة والتطور داخل شتّى العوالم: العالم الصناعوي، العالَم الثالث أي عالم المهمَّش والمستغَل والمتلاعَب بمصيره إنْ في الأمم المتقدّمة نفسِها أم في الأمم الطالبة للنجاح والترقي.

القواعد التي تُنظّم وتَنْظم المدرسة الفكرية تُماثل الأعمدة أو أحجار الزاوية في "عمارةٍ" قانونية أو إدارية، في بنيةٍ اجتماعيةٍ أو في حركة وعقيدة. من مبادئ "**القواعدية**" مبدأ الانطلاق من الكتابات الاشتراكية المنتَجة بالعربية؛ وليس من هذا الاشتراكي الالماني أو الايطالي؛ ومن الكتابات العربية، أيضاً، في الوضعانية أو التومائية والشخصانية، وفي الوجودانية أو التحليلنفسية؛ وليس من ذاك أو ذيّاك الانكليزي، الاسباني أو الأميركي.

من بنود "القواعدية" أن تُدرس الفلسفة عند العربي المعاصر ثم الراهن/ المستقبلي انتهاضاً من أعلامها المخصوصين؛ وليس كملحقين أو مكرِّرين أو ناقلين. إنّ تفاعلهم مع الخبرة داخل "الدار العالمية" أمرٌ جيد، ومؤشر صحي ومعافى؛ ولا بُدّيّ. تدريس أو دراسة كنط، أو هايدغر، أو سائر الخاموس الفلسفي الألماني، لا مناصيٌّ وفائقُ الربحية والمداخيل والثروة الرمزية؛ لكنّ ذلك يكون ضمن رصيد جامعي آخر، ويؤوب إلى حقل هو الفلسفة في أوروبا. أريد أن نزرع ونحصد في حقول مدرسةٍ عربية في فلسفة اللغة والمادة، التاريخِ والمجتمع، الأخلاق والقيمة والعِلم، الوقائعِ والحقائق.

"قواعدية" المدرسة العربية غير مخصوصة؛ وغير مقومَنة، وليست محكومة أو مربوطةً إلى أيديولوجيا "أُمَّتية".

29- من العوامل التي قد تقدم "عوناً" في عمليات تفسير تكسّر الخطاب الأثلوثي في الفلسفة (اليوناني – العربي- اللاتيني) وتفسيرِ النفور منه أو تركه وهجره، عاملٌ محجوبٌ هو حاجة الجامعات الأوروبية للشعور بالتوكيدية، وبالقدرة على صوغٍ "إصلاحي" مثوَّر مجدَّد للذات والمجال، وللزمان والتاريخ.

النفور من البقاء رهينة للفكر المذكور، وإرادةُ التغيير والتحول والاهتداء، شعوران ربما يمكن اعتبارهما كمولّدَيْن أو كأواليتَيْن.

30- "الكنطية العربية" مقولة غير تاريخية. قد لا تنفع. لكنها قد تدفع من أجل قراءةٍ أو مقارنةِ القيم وصراع القيم داخِل التراث الفلسفي الأخلاقي، في الفكر العربي الاسلامي؛ وفي قطاعه الصوفي على نحوٍ مميَّز وساطع.

تبقى غاية الأخلاق الغايةَ الأقصى للفعل والسلوك والنوايا؛ وتلك غاية الانسان أو الناس؛ وغايةُ كلٍّ من: المطلق، الحرية، القيمة، الفضيلة، العِشق الالهي أي المقولة المحَباوية، الخير المحض، المحضانية.

لا نقرأ الفكر الصوفي، ونظريات روحانيةً أو مثالية وتديّنيةً أخرى، محكومين أو منفعلين بنظرية كنط في الأوامر الأخلاقية. فالأحرى هو أننا نقرأ التراثيَّ متفاعلين منفتحين أو مستوعِبين محيطين بنظرية كنط؛ وذاك أنّنا نقرأ المحلّي بعين عالمية وتاريخية، بعقلانيةٍ شمّالة وانفتاحٍ ضرامي مسكونٍ مهموم بالانسان الواحد وأبعاده المتعددة المتكاملة.

31- الفشل والانهزام، الغلطُ والانجراح، إمكانٌ ومتاحة للتقدم نحو الانتصار والظفر، السَّدادِ والصواب والتطهر. قطاع المثبِّطات، كقطاع المهدِّدات أو المخاوف أو المخاطر، قطاع يَصلح وينفع من أجل التحول إلى الايجابية، والتحويلِ إلى الاسهامي والاستنجاحي، والتغلب أو الاستنفاع من السلبي والمؤلِم، والاستنفاع من الاخفاق والمانع والمعرقِل، من المُعادي والعقبة و"البطل المناهِض".

إعادة صياغة الذات تكون إعادة توظيفٍ أو أشكلة ومَعنيةٍ للبطل بشتى تشكلاته: المناهِض، الجارح المنجرح، الأقلاوي، الحاكم الطاغي، الجبار أو القاهر، الانعتاقي، الملحد... ويهمنا أيضاً، من جهة أخرى، الأبطال الايجابيون، العاملون والصانعون في الفكر والثقافة كما في الادارة (= التدبير) والسياسة، وفي تمحيصِ وصقلِ المدَنيات والحياة الاجتماعية وأنماط التواصلية. يُقسَم الابطال، كالحال في القطاعات للحضارة والثقافة أو الشخصيةِ كما المجتمع، إلى سلبي وايجابي وبينهما المتطرّف والبارد، الفاتر و"المحايد" وما إلى ذلك من طبقاتٍ ونيصاتٍ، أو شياتٍ وفُرَيقات.

الأبطال، كما القيم، معايير وضوابط في الفعل والسلوك؛ وكما في التفسير والتشريح، والتأويلِ وإرادة التغيير. البطلُ الجديد اثنان: البطل في حقل الصورة بأشكالها (الذهنية، الحسية، الخيلية، الرمزية، الفنية...)؛ والبطل في حقلِ التكنولوجيا (= التِّقانة) والعلم.

32- كلٌّ منّا إبن زمانه. عاش جيلي في كفاحٍ ضد رجُل الدين، ضد الفهم الناقص للديني، ضد السلطةِ المستبدة للسياسي والتعبّدي؛ بل وحتى للمعرفة. أنا لا أستطيع، بل ولا أحتاج لأن أُنرجِس تجاربي، في التواصلية داخل الشأن السياسي والاجتماعي أو الديني، مع الرؤساء في المدرسة الابتدائية، ثم في الثانوي، وفي الدراسة الجامعية؛ ثم في شتى دوائر المجتمع أو حلقاته المتحالِقة المتدائرة.

33- طرائق اللعب (= الممارسة، القراءة، التحليل) على الساحة السياسية في لبنان ليست مستوردة، وليست أزمة عابرة. فأنا، كشاهد، في أواخر الستينيات، قُبيل 1972، مررتُ بعلاقة غير وديةٍ أو حتى عدائية، لكن غير علنية، مع تيارٍ رغب بالاستنفاع من الظروف السياسية في لبنان كي يصل إلى الواجهة والتصدّر. ويبدو أنّ السياسة اللبنانية، التي تفرِّق كي تبقى مكرِّسةً لاتجاه أحادي أو ليد مهيمِنة، قضتْ بأن يكون داخل كل طائفة (مذهب، جماعة) في لبنان تياران متعاكسان. فبتناحر هذَيْن داخل البيت الواحد، ثم بتأجيج هذا البيت نفسه في وجه بيتٍ آخر من داخل المبنى الواحد، أو الدينِ الواحد عينه، يتوفر الارتياح والسيطرةُ لأصحاب الفريق المنافِس أو المستغِل المستنفِع.

34- الطائفية الدينية، وتماماً كما الطائفية الاجتماعية (الاقتصادية)، إرساءٌ للفعل السياسي والعقلية والسلوك على الاستبداد والقوانين الشاقولية والعنف المتعصِّب. فالحُكْم السياسي يتحول إلى طغيان فئة أو جماعةٍ؛ وإلى إقصاء الآخر وحقِّ الاختلاف، بل وإلى رفس الحقوق المدنية للوطن والمواطن، وللشعب والتواصلية الأرقى والانتماء الأُمَّتيّ العام. وبذلك، يكون الحالُ حالَ عُصاب سياسي، وتصلّبٍ في المعرفة والعقل والثقافة؛ وانقفالٍ أحادي واحدي للنَّحنُ ومسفِّلٍ مبخِّس للأنتَ والأنتُم، وللهُمُ ولكل فردٍ آخر متمسكٍ بالمساواة والكرامة

الانسانية، بالشورانية (=حكم الجماعة، بالمعنى الراهنيِّ النزعةِ والعقل)، وبالعدالة الاجتماعية (را: الرئيس العُصابي؛ السياسة المريضة والمُمرضة، الجارحة والمنجرحة).

35- يستقرّ نافعاً وحياً من الفيلسوف، في العالم اللامحظوظ، تحليلاته وأقواله في المجتمع والسياسة. فقد بقى حياً ونافعاً ما كتبه زملاء في حقول العقل العملي، أي في المرأة والتربية، في الحكمِ الاستبدادي والتسلط السياسي، في الانجراحِ الحضاري والتعثّر الجماعي العامّ، في عدم إرضاء الدوافع كما الحاجاتِ والقيم داخل الحضارة العربية القائمة والمتطلعةِ إلى المستقبل والمسكوني. لكأنّ العقل النظري، لعلّ الفلسفة المحضة (النظرانية)، قد تخلى كثيراً عن كثيرٍ من وهجه ووجهه في المجتمعات الصّناعوية. فداخل الآلوي تراجع الاهتمامُ بالماورائي إنْ لم يُلحظ أنّه، وعلى شكلٍ أوضح وأفصَح، قد أمْسى غير جاذبٍ؛ وغير كثير المردودية والنفاع.

36- تَبَيّن أمامي أنه نافعٌ، وناجحٌ أيضاً، أن تُعاين أفكارُ أو نظريةُ كاتبٍ باعتماد لغةٍ لا تكون لغة ذلك الكاتب نفسه. المُراد هو أنّ توسّط لغةٍ ثالثةٍ، بين لغة المؤلِّف ولغةٍ غير أوروبية، ليس سيئاً بمقدار ما قد كنّا نؤكده عند الدرجات الأولى من السُّلَّم.

37- من الحقول الجديدة، داخل المدرسة العربية في علم النفس أو مِهَنه واختصاصاته، حقلٌ يستحق أن يُسمّى "**علم النفس الأُسَري**" (= العائلي الضيّق، الذّاتي). فذاك علمٌ نفسيٌّ حَمَل عند الأسلاف، من يونانٍ وعربٍ ولاتين، اسمَ "**سياسة المنزل**". هنا، اشتهر في داخل المدرسة البريسونية- السيناوية- الأكوينية قطاعٌ هو **التدابير الإلهيةُ للسياسة المنزلية** احتوى على نفسانية سياسةِ القوت، ونفسانيةِ سياسة المرأة، ثم الخدم، ثم الولد...

38- ما لم يكن مفصوحاً، أي ما كان متضمَّناً مطموراً، هو ما يُقلِق جدّاً وما قد يُطَمئن: أ- في كلمةٍ عن "المغربي خليل أمين..."، وردتْ في جريدة الحياة (بيروت، 5 تشرين الثاني، 2013)، جاء أنّ ذلك العالِم المبتكر "نشر 245 بحثاً في مجلاتٍ علمية مرموقة، وسجّل 120 اختراعاً في علوم المواد والبطاريـــات" ...

فهو يُسخّر الليثيوم لكهربـــاء الخليويّ والسيارة. ب- وجاء في العدد نفسه من الجريدة: "يُشارك (في القاهرة) موسيقيون ومغنّون من ست دولٍ عربية في الدورة الثانية والعشرين لمؤتمر ومهرجانِ الموسيقى العربية... ويقدّم ستين أمسية على مسارح دار الأوبرا، إضافةً إلى مناقشاتٍ حول واقع الموسيقى العربية".

39- ما تزال ظواهر التديّن، كما النصوصُ الدينية أو الايمانيات والمعتقَديّ، ذاتُ إمكان قديرٍ يستطيع إغناء الفكر الفلسفي، والأخلاقيات، والمتخيَّل، واللغة القيمية المسكونية، والصحة الروحية كما الحضارية. من ذلك الإمكان يتدفق نبعُ أفكارٍ قديرةٍ على فتح نوافذ وحقول مختلفةٍ عن الحال في الفكر الفلسفي الشائع المعروف، ويفتح قنواتٍ وإطلالاتٍ على عوالم فكريةٍ واجتماعيةٍ مختلفةٍ وواسعةٍ لا يعرفها المجتمع الصناعوي الراهن؛ أي عصر الزرِّ والرقم، النورِ وثورات العلم، الحاسوبِ والفضاء، السرعةِ والذَرّة، الإعلامِ والصورة.

حالة عيادية: العجزة والمختلَقة كما الفحوليّةُ الخارقة وسائر الأخوات

1- ما ذا يقول المُحلِّل الراهن في صدد ما كان من **طبيعة** المعجزة وأخواتها داخل قطاعات اللاوعي الثقافي؛ ومن ثم ماذا يقول في **الوظائف** التي أدتها، وفي **الأسس والأواليات** التي ميّزتها في زمانها القديم. في عبارةٍ أدمث، ما هي "المجلوبات" أو المنافع وما قد يبدو في الزمان الحاضر صالحاً قابلاً لأن يُعاد إدراكه ثم تسميته، أو اعطاؤه معنى ايجابياً. المعجزة، كما المختلَقة، قلنا، مراراً، إنها أدب خيالي، وميثَويّ، وفن شعبي، وتعبيراتٌ عن أمنياتٍ طفليةٍ أو كهوفية، وعن رغباتٍ مطمورة وتخيّلاتِ إنسانِ ما قبل اللغة، ما قبل التاريخ، وعن هواماتٍ جنسية، وتخريف...

2- من هذه "التعريفات" يُستخلص، إذَن، أنّ المختلقة، وتماماً كما الحلم أو الاسطورة وأضرابهما، نافعة وصالحة من أجل تفسير الحلم والأسطورة، كما الاستعارةِ والشِّعر والميثة، والعقليةِ البدائية كما الصوفية العرفانية، بل والطفليةِ والهذائية. هي إذَن أمنياتُ طفل، ومنتوجُ ما قبل اللغة، وحُلم يقظةٍ نهاري مُرصَّن مُحصَّف. ورأينا أنها تعبيراتٌ لا واعية، عند الفرد الراهن؛ فهنا عالمُ الاسطورةِ

والخرافة، الشِّعر واللغة المجازية أو الاستعارية، التماهي والأمْثلةِ وعَصْمنة أو ألهَنَةِ المحبوب (قا: الحبيب في الأغنية الشعبية...).

3- علم أو مبحث المختلقَة (المعجزة أو الخارقة، الكرامة أو الحلم، الخرافات والخرَف...) يَدرس، طبقاً للمناهج المعروفة في العلوم النفسية، الخيلاتِ (= الصُّوَرَ) والأوهامَ، التمثّلاتِ النفسيةَ والهوامات نفسَها والحدسيات، الهوادس والعوالج...

من بين ما درسَ علم الأوهام، نبدأ بتلك الأوهام التي تغذّت وأحفّت، أو أسَّستْ ونشأت حول ميادين كالهوية، الحقيقة، الأمة، الذات، الآخر، السلطة الدينية، السياسي الخليفاوي أو السلطاني (را: التفاصيل عن الأوهام المغذِّية لكل من هذه المفاهيم الواردة). ويتدبّر، أيضاً علم الأوهام "أفكارَ" الطفل والذهاني، الشاعر والصوفي والحُلميات. وهنا يبدو أنّ المعجزات والخوارق المسقطة على شخص مميَّزٍ معجزٍ غدتْ تصلح لأن تكون موضوع شريطٍ حَرَكائي (سينمائي) باسم الطفل الخارق، والأب أو الجّد الخارق... مُراد ذلك ايضاً هو أنه يُستدعى للمقارنة، في العقل الراهن والزمان الحاضر، البطلُ في الرسوم المتحركة الكرتونية وأضراب ذلك.

4- إنْ قُلنا قولاً نفسياً في المختلقة، أو أيّ تشكّلاتٍ خيلية مماثِلة، فذلك لايعني أنّنا نقول إنها حقيقية، سديدة أو صائبة؛ أو إننا نؤيدها وننتصر لها. وإنْ قلنا فيها قولاً سلبياً فلأنّنا نريد أن نكون كطبيبٍ، في معاينة، يُشخّص المرضيَّ والسقيم أو اللاسويَّ والمؤلم في جسد المعايَن. تلك هي **القراءة السلبيجابية** مطبَّقةً على الاختلاقي؛ فهي طريقة تتفحصّ وتُمحِّص ثم تفرز السويَّ عن اللاسوي، والصِّحي أو النافع عن السقيم والضار. وذاك هو، في تسمياتٍ أخرى مترادفةٍ للقراءة الطبيبية، للمعاينة، ما رأيناه أعلاه، بعناوين من نحو: منهجية القاضي أو منطقه ودوره، إعادةُ الادراك ثم الضبط والتغيير، إعادةُ التسمية أو الأشكلة والتعضيةِ كما المعْنية، النقدانيةُ الاستيعابية والتجاوزية أو التّخطّوية، "منهجيةُ" الأم والاستئمام، قيمُ احترام الحياة، قيمةُ الناسِ والانسانِ والمحبّاوية، استراتيجياتُ منطق ومنهجِ المتكافئة (المتناذرة، المتلازمة) حيث تساوي الحدَّيْن أو القطبَيْن للقيمة الواحدة.

5- قطاع المعجزات والمختلقات، والخارقات والكليدِمْنات، كما الوهمياتِ أو التخريفِ والهذيان، مساحةٌ محدودة؛ وهو لا يلخِّص أو يُميِّز التجربة الحضاريةَ والفكرية للاسلام والتاريخ العربي. فذاك قطاعٌ هو جزء محدَّدٌ معيَّن، وليس هو عاماً؛ وهو إسراف كان غير ضروريٍّ قبوله في الصِّراطية التاريخية أو في العقلية المعاصرة. في التحليل الراهن، الزارعون في ذلك الحقل الاختلاقي الملهوَت ليسوا مستقِلين، وليسوا مخيَّرين؛ ولا يتمتعون بالصدق والنزاهة. ولم يصرّوا على أنّ المعجزات، وتماماً كما الكرامات، قولٌ حقّ وشفّاف، وسديدٌ أو أساسيٌّ في العقيدة والشريعة، في الحياة والاستمرار.

6- من المعبِّر أنّ تيار ابن تيمية، كشاهد، يَصلُح لأن يؤخذ بمثابة أداةٍ ماهرة ومنيعة هدمتْ وحاربتْ، فعلاً وقولا، كل معجزةٍ أو كرامة. يُستدعَى، أيضاً، منطق ابن الجوزي؛ فهو في "تلبيس ابليس" بدا حاذقاً وذا كفاءة في دحض ورفض تلك "الخزعبلات" الصوفيةِ الروحِ والرؤية، أو المنطق والمنهجية والبنية كما النسق.

7- من دوافع الاختلاق الغيرةُ ومن ثم المنافسةُ بين المسلم وأتباع الأديان الأخرى؛ أو بين النبي وسائر الأنبياء الذين مرّوا قبله، ومِمّن وَرَدَ أو لم يَرد ذكرهم في القرآن. فالمنافسة كانت، على ذلك، نوعاً من التفاخر اللفظاني؛ وقطاعاً محكوماً بالرغبة اللاواعية بالنُّفاج والأسطرة. والخوارق، للسببية في الطبيعة وما هنالك، متخيَّل غير حُدوثي، غير منطقي، غير واقعي، منفصلٌ عن المكان والزمان، تخريف أو هذيان، عقلية طفلية، عقليةٌ صوفية شاطحة ومنفلتة.

* الغيرة، بين الإخوة الصغار، غيرةٌ وحسدٌ فيما بين الأديان.

8- لكأنّ القَدْسنة الراهنة، الأسطرةَ كما اللهوَتة، حاجةٌ حضارية ما تزال موتِّرةً للانسان المعاصر. ذاك أنّ الأيْسيّات والمعرفيات والقيم عوالم أغرقتها الصناعوية بالعلمي والتكنولوجي والاعلامي؛ أي وقّدتها نزعاتُ الاستهلاك واللذة، والاستمتاعُ كما الاقتناءُ والامتلاك؛ وأضحى يرعاها ويحكمها قانون المادة والبيولوجيا، وقيمُ العضويِّ والمنفعي، الملموسِ وغير الاعتباري وغير الممتد. والحالُ هذا، في تلك الفضاءات الآلوية وضمن تلك العقلية والنمط المعرفي كما

المجتمعي والقيمي، خفُتَ دور الاخلاقيِّ والديني، الماورائي والروحيِّ أو المثالي داخل الشخصية وفي علائقيتها مع غيرها وضمن حقلها، وفي الانتماءات والهوية والثقافة وفي التعاملية ومن ثم في التواصلية وفنّ العيش، وفي الفلسفة والفكر، وفي اللاهوت والسِّلع التديّنية والسياسية.

9- المختلقة اللاهوتية تتكافأ أو تُدرَك كما الكذب عند الطفل أو في عقليته المركزانية أي المتمركزة حول الأنا، وفي العقلية "البدائية"، وفي حالة هوَس الاختلاق، وتفكّكِ العقل؛ فذاك كله تعبير غير منطقي، ولغة مريضة، وحالة تقهقرٍ واندثارٍ، وتذكير بالكهوفي وما قبل اللغة والثقافةِ أو المجتمع الحضاري والتاريخ.

المختلقَة التسلوية ترفيهيةٌ (را: الفشّار، الفنّاص) تقوم بوظائف هي عينها وظائف الكذب عند الطفل[1]. فذاك "الكذب" المميِّز للعقلية الطفلية تكوّنه أيضاً وتفسِّره أولياتُ الدفاع. الأنا، في كلّ تلك الحالات، تفتش عن التقدير لها، وعن مكانة مركزية؛ وتستدرّ الانتباه، و"تطالِب" بأن تكون رفيعة الشأن والمعنى وفي مركز العالم[1].

10- غرض الفحوليات (علم الفحولة)، قوامه ونُسغه جنسي. والفحولة تحلَّل، كما البطولة، بمناهج استكشاف اللاواعي والغوري، التجارب المؤسِّسة.

حالـــة تحليلنفسيـــة

الدفاعي واللاواعي والمحجوب في المعجزة والخارقة والفحولية (ودادية الكرامةِ الصوفية والمختلَقة أو الأكذوبةِ الطفلية والبطولة)

1- القائلون بالخوارق وضّاعون مختلِقون. يُطعن في مصداقيتهم؛ وبخاصةٍ في مقصودهم أو غرضهم. فهم إنزلقوا إلى المتخيَّل واللاعقل، وإلى عتمات ولوثات اللاسببية؛ ووقعوا في حالة فصامٍ مع الواقع والمجتمع والعقل؛ وتراجعوا إلى عقلية الطفل وما قبل العقل؛ وتلاقوا مع الصوفي الشاطح، والشاعر المنفلِت، والذُّهاني أو "الخَرْفان" الخَرِف و"الفشّار" وشتى شيات (= فُرَيْقات، نيصات، تلاوين) "الكَنْفشة" والنُّفاج، نفخ الذات ونرجستها وتضخيمها أو المفاخرة والتعظيم لها.

بذاك فهُم إذَن كمن يُضعِف النّصّ الديني؛ ويستند إلى مرجعيةٍ غير متينة، والى أوهام مسبَقة، وأمنياتٍ تُضفى على الواقع وتُغطّيه بغير عِلمٍ أو هُدىً، أو نصٍّ مُبين.

2- تقوم المعجزات بتعزيز السلطة الدينية-السياسية القائمة؛ أي بتعزيز الاستبداد والتفّردِ وهيمنة الحاكم. فالمعجزة، وإذْ هي تَدعَم وتُمتِّن الاستسلام والرضائية، والوهمي أو السحريَّ والغنائي، تُهيّء النفوسَ للانصياع والطاعة العمياء، وللتغذّي بتمجيدٍ أجوف للأبطال أو للمؤسِّسين، وبالاخضاع الأسطوريِّ الاستعاريِّ للطبيعة... المعجزة حالةٌ توهِم بالقدرة على تخطّي الوقائع والمشكلات والمآسي، ومن ثم على التواصل مع الغيبي والجذور أو الينابيع، وعلى القَدْسنة واللَهوَتة أو العَصْمنةِ والألهَنة. وهي حالة إناسية؛ وخاصةٌ من خصائص الوعي

البشري يكون الإنسان فيها شِبْه إله؛ بلا حدودٍ وقيود، سيِّد الوجود، ذائباً في الطبيعة، موحَّداً مع الطبيعة، ويحيط بعلمه كل الأشياء، فحلاً، شاعراً بوحدة الوجود وخارقاً وجبروتياً.

3- باقتضاب، الخارقة كالكرامة الصوفية منتوجُ اللاعقل والضدّ العقل وما جانَبَ العقل. وتُعرَّف بأنها منتوجُ المتخيَّل، أو ثمرة الايماني؛ وتَتَفسَّر الكرامةُ المختلقة هذه بأنها وليدةُ الأسطوري أو الاستعاري، الرمزيِّ والغريزي، المطمورِ والحُلمي، الاختماريِّ واللاواعي، الطفلي وما قبل اللغوي، الهَذائي والتهلوُس. هنا، أخيراً، تكون وحدة الوجود كما الشهودِ الأصلَ المؤسِّسَ والتاج.

بذلك تكون إزاحةُ قطاع المعجزات وأخواتها إلى فنٍّ خيالي، أو إلى فنّ أدبي، إزاحةً ممكنة؛ وهي نافعة. فالعجائبي والغرائبي عالمٌ سحري، وتفسير أُزْعوي أسطوري استعاري ومتخيَّلٌ للوجود والعقلِ والقوانين الطبيعية؛ وهنا قطاع معتِم كثيفٌ داخل القطاع الصوفي ثم داخل الثقافة الدينية الشعبية، والشفهية منها بخاصة، والمسيَّسةِ الموظفةِ لخدمة الحَرْفاني والقاهرين المتغلّبين. وفي كلام أخصر وأقصر، ذلك القطاع وعلى غرارِ إخوته (الحلميات، الأسطوريات، الكرامات، الكِلَيدِمنات...) قد غدا قطاعاً مكَّرس الحدودِ والغرض؛ ومميَّز المصطلحات والأعلام، ومعرَّف الحقائق والقوانين والجذور النفسية والصوفية كما التاريخية.

4- الخارقة، بسبب أنها تُفيد الخضوعَ وتنفع الانقياد أي الرّضا والانصياع والاقتناع، تقتل الحرية والكرامة والمسؤولية الفردية. وتُعلّم عبادة النّصّ والحرف، وتقديسَ لغة السياسي الملهوت وخطابه النخبوي المتفرّدِ والطاغي؛ المكتوبِ والشفهي، النقلي والموروث أو السَّمعي والمعهود.

المعجزة تقتل حقَّ المنكِر لها، والمنافسِ أو الآخر المختلِفِ عنها. فمن لايؤمن بها تراه المعجزة محارباً وعدواً. وتَرفس المعجزةُ التاريخيَّ والسببي، العقليَّ والنقدي، المنطقي والعلمي، الواقعي والتجربةَ والسُّنن المنظِّمة للعلائقية والمجتمع، للحياة والانضباط؛ للتغيّر والمتعدِّد، للأخذِ والرَّدّ (= الحوارِ، التفاهم، المساواة). والمعجزةُ تَتَرجُسٌ ومُنرجِسة. إنها سيطرة لفظية، بلاغيةٌ على

المشكلات والواقع، على المُسبِّب المأساوي والرَّدِّ الكارثي، على الجوع والانظلام والمَرض. وتسوق المعجزة إلى التفسير الأحادي للحياة والمصير، والى الاجماع الشمولاني المتفرِّد المتحكّم.

5- يُفرد للفحولة، للجنسية الذكرية، قطاع واسع وطباقية معقدة ملتبسة داخل حقول "المعجزة وأخواتها" المشرَّحة المستكشَفة بطرائق الأريكة العربية في التحليل النفسي. ولقد رأينا أنّ الأهمّ، في جميع تلك الحالات، هُو الوضع أمام الوعي (= الوَعْيَنة) لما هو مطمور ومحجوب، جذور وذكرى تجارب مؤسِّسة، لا واعية.

6- وكخلاصة، فإنّ فنّ الخارقة تطهّرٌ ناقص، وتفريجٌ أو "تنفيس" وإخراجٌ لمشاعر، وتعويض وإبدال، الخ... تنفّسُ هواءِ عقليةٍ أو فضاءات المعجزةِ حلٌّ ريثماوي، ربّماوي، رديء ومؤذٍ، هشٌ وعطوب؛ فذاك حلٌّ هو استعادةٌ لاطمئنانٍ موبوء، ولتكيفٍ طفلاني حرْبائي، اعتمادي وتواكلي مع الحياة والذات عينها، ومع الألم والانغلاب والمجتمع القاهر. تُلفَظ المحاكمةُ عينها في حقّ المُتماهي بمبدأ المعجزة أو الخارقة، الكرامة والمختلَقة... فهذا وإذْ يتماهى بالبطل المعجِز، بالفحل الخارق، يتنازل عن حريته وكرامته، عن معناه ومسؤوليته. لأنه، وكما سنرى مراراً وتوضيحات، بتلك الأولية يذوب في بطله الذي يقاتل ويدافع عنّا، ويلعب الدور الفحولي أو يحتلّ المكانةَ التي نتمناها ويحقِّق آمالنا. وكأنّ المتماهي يغدو هو عينه المحقِّق للأمنيات، والمُشبِع للحاجات والدوافع، والحامي أو الحصن المنيع، والعطوفُ والأب الجبروتي معاً، والعدنيات والأم الرؤوم الطيبة، والفردوسيات كما المهدَويات.

II

1- لا مناص من التنبّه إلى ضرورة أن يُفرَد قطاع معرفي يتخصص بدراسة الخارقات ومايماثلها من نحو: المعجزات، الكرامات الصوفية، الاسطوريات، المجازيات، الاستعاريات، الفحوليات، الحكايات الشفهية، الايمانيات الطفلية، الخيلياتُ وبخاصة الحُلميات وسائر قطاعات **اللاوعي الثقافي** الاسلامي والجاهلي.

2- يُعتَبَر قطاع المعجزات أحد القطاعات المكوِّنة لما أُطلِق عليه، أعلاه، **اللاوعي الديني**؛ وهذا الأخير قطعةٌ أو مساحةٌ داخل علوم اللاوعي الثقافي- البيولجي (قا: اللاوعي الجماعي، الذاكرة كما الخيال الجماعي مغروساً منقوشاً في الثقافة كما في اللحم عند النوع).

3- يَترمزَن أو يتمثل قطاعُ العجزات ببطلٍ يُسمّى "البطل المعجِز". وهذا يُدرَك على بساط مشتركٍ يتحرك عليه أو يتغاذى ويتساكن فيه مع البطل الشعبي في السيرة الشعبية، ومع صاحب السيرة الذاتية أي مع التأرخة الفرديـــة ومن ثم مع التـــأرخة العامة أو كتابةِ التاريـــخ... ويوضع البطـــلُ (= الفحلُ) في قطاع المعجزات مع البطل في قطاعاتِ كلٍّ من: أهل الحديث، أهل الرأي، أهل البطل المقتول، كُتّاب المناقب أو الطبقات، والرّجالِ كما الأعلام أو التراجم. في عبارةٍ أوضح وأنفع، "البطل المعجِز" واحدٌ، من حيث قيعانه والمحجوب، وظائفه طبيعته ومعناه، ومساره وقوانينه، في المعجزة والكرامة، في السيرة الذاتية ومهنَة المؤرِّخ (= التأرخة) وفي الفحوليات والحلميات، وفي الخرافة والعقلية التخريفية والعقل المخرِّف، إلخ.

III

1- لا يُصدِّر الوعيُ الديني العربي، المعاصر كما الراهن والمستقبلي، قطاعَ المعجزات والكرامات إلى الأمم الاسلامية غير العربية. فهذه الأمم أحوج إلى الغذاء الروحي الحضاري الذي يمثله الاسلام العقلاني "الحكيم"، أي الموجَّهُ إلى العالم أجمع، والمخاطِبُ الرُّشداني الذي يقول إنّ الله هو قيمة القيم الناظمةِ للبشرية والطبيعةِ، أو هو الكمالات والحقوقُ المسكونية والعالمينية... إنه، بالتالي، العدالة الاجتماعية الأكمل بتراحمٍ ورحمانية، تضامنيةٍ وتكافلية، تشاركيةٍ ووداديةٍ أو مَحَباوية.

2- يُصدِّر خطابُ الصحة النفسية الروحية، وهي عينها صحة نفسية حضارية، إلى الأمم الاسلامية، ومَن في موقعها ويماثلها هموماً حضارية واجتماعية سياسية، المواقفَ والأحكامَ والروحية والنّسغ التي تتعاطى مع النصوص الدينية التراثية معاطاةً لا تذيب حرية الفرد وثقته بالمعنى المعاصر

للدين والنص، للتديّن والتجربة الروحية، للروحاني وللإيمان والعقيدة... وتكون تلك المعاطاة عينها مجبولةً موقَّدةً بالعقل من حيث هو الصانع والمميِّز للمجتمع البشري الراهن، وللمسكوني، للعقلاني والأشمل، للتفسير والتعلّم والسلوكات كما للتعاملية ثم التواصليةِ الحضارية الضرِّامية، الإسهاميةِ والايجابية.

3- حيال قطاع المعجزات وأخواتها، أي المنامات والاسطوريات والخيليات، لا ينجح أن نكرس العقل الباحثَ المنقِّب، الاستكشافي والمفسِّرَ المحلِّل، من أجل تبيان هذائية اللاعقل واللاسببي أو تخريفيةِ ما هو عدوّ العقل ومنكِرُ ثورات العلم. لا بدّ، إذَن، من طرائق أخرى تفسِّر تلك الحالة.

4- لكأنّ المُطالِب بالغاء التكاليف الدينية (الصلاة، الصوم...) مهُاجِمٌ محارِب... ولكأنّه يثير التحصّن، وردّ الفعل، والنفور؛ ويدفع المحارَب المعنَّفَ إلى التخندق المفقِر، والتعصب الانقفالي الأعمى. وعلى سبيل الشاهد، لا يُعد الهجوم على السُّنة النبوية نقداً أو محاكمةً أو تحليلاً. وكشفُ الحديثْ الضعيف قبول نافع ما دام قراءةً في حالة تاريخية؛ لكنّ "الجمل بنِيّة، والجمّال بنِيّة؛ ونيّة الله فوق كل نِيّة" (أقوال الأرياف؛ را: الرّيفانية).

ترى القراءةُ الطبيبية، في حالة التلذذ بتعقّبِ مَرَضي تَلَصُّصي للفاسد، أو للتخرّصِ والمختلق وغير العقلاني، اضطراباً في المعايير المُحاكِمة، وعُصاباً قهرياً، وعوارض عداوةٍ دفينة أو تعصّبٍ عنصري، أو حقدٍ مطمورِ القاعِ والجذور.

5- كمحلّل نفسي، كطبيبٍ أو منتهِضٍ من موقف ودورِ القاضي، لا أسمح لنفسي، لا يحق لي أن أهاجِم معتقداتِ الصابر أو أيديولوجياته، انتماءاته أو مشاعره وعواطفيته. أنا قد أرى ما يراه تماماً الخصم والمُحاوِر الحَر، والمنكِر أو العدَماني. لكني أثق بأنه ليس نافعاً، ولا هو أخلاقيٌّ أو حقيقي، القولُ بإلغاء السُّنة النبوية أو بإعدام الأحاديثية؛ بقتل كلٍّ من: الطبِّ النبويّ أو طبّ العقيدةِ كما الشريعة، قطاع الكرامات أو المعجزات والخرافيات، اللاوعي الديني كما اللاوعي الثقافي الأعمّ ومن ثم اللاوعي الجماعي للبشرية[1].

* احترام الناسِ (الانسانِ) والدينِ أو الوطن، حقٌّ؛ وذاك واجبٌ، وقانونٌ أخلاقي. وذلك الاحترام احترامٌ هو للذات والغير، للانسان والتاريخ. لكنّ احترام الانسان نفسَه غير منفصل عن احترامه لكل انسان، ولله تعالى والطبيعة، لكل أمة أو دين؛ لغةٍ أو عقيدة. احترام الانسان (الناس، بحسب الفكر العربي المعهود) لا يكون ولا هو يتفسَّر بالتهجّم التجريحيِّ على جسده الثقافي، على دينه ولغته أو أمته... والتواصلية السديدة الحقيقيةُ تكون حواريةً وتفاهميةً، أو محبةً واحتراماً بين المحلِّل والمحلَّل، بين المريض والطبيب، بين الناقد والمنتقَد، بين الذات والآخر، بين الأكثرية والأقلاوية.

6- قطاع الاخلاقيات وعيٌ وسلوك، ثم لا وعي ولا عقل؛ وموقعٌ فردي وجماعي. على ذلك، لا تُفسَّر الحضارةُ العربية والاسلامية فقط بالدّين أو التديّن والتعبّد، بالطقوسية أو التكاليف الشرعية وبعلوم الدين. لا تُفسَّر الحضارة أو التاريخ، الهويةُ أو الامّة أو الثقافة، بعاملٍ وحيد أحسمي. وهنا، كشاهد، يُضاف أنّ قطاع المعجزات والحديث النبوي المنحولِ الضعيف أعجز من أن يفسِّر العقل العربيَّ أو يمثِّل العقلية الاسلامية، ويرمزِن الحضارةَ والثقافة أو التاريخ والهوية والأمة؛ وأعجز من أن يَسوق إلى قانونٍ يقول إنّ القول بالمعجزات النبوية قد خلخل العقل العربي، أو بخَّس الحضارةَ ذلك القولُ الخالي بالمعجزة واللهوَتة، بفقهَنة المتخيَّل والفحولي والاسطوري.

7- يُعاد قطاع المعجزات إلى قطاع أوسع اسمه **الاختلاقيات**. (علم المختلَقة). والاختلاق ظاهرة نفسية اجتماعية؛ وقد تكون محكومة مفسَّرةً بالتطور البيولوجي، وكذلك، أو بعد ذلك، باللاوعي أو المكبوت والمحجوب، وبدوافع اجتماعية وغير مباشرة، أو متعمَّدةٍ ومقصودةٍ بارادةٍ ولتحقيق تكيّفٍ، واستعادة توازنٍ وصحةٍ نفسية وعلائقية.

لا يُهاجَم المريض أو الاختلاقي؛ والفحلُ المعجزُ لا يُنرجَس ولا يُسفَّل. وذاك لأنه يكون ويتطوّر ويفسَّر على غرار ما سبق قوله في صدد الباطني الصوفي، والاستعاري وشتّى ما إلى ذلك من قطاعات اللاوعي الثقافي الأخرى. الاختلاقي نوع أو نمطٌ من الكذب: تُحييهما الأواليات عينها؛ ويقومان بالوظائف عينها.

تُستدعى وسائل الدفاع المُراوِغة عند الحيوان؛ كالتظاهر بالموت والحربائية، وظاهرة التمويه و"الكذب" والفرار.

8- الاختلاقي هو عودة الكهوفي الينا؛ وهو تفجر المكبوتِ البيولوجي والثقافي داخل اللاوعي الجماعي؛ ويُفسَّر كما تفسَّر الكوابيس وبعضُ حركات الطفل قبل اللغة، وبعضُ ردود الفعل بحسب علم النفس التطوري.

9- الفحولية "مادة" تُلتقط في حقول متواضحة هي: عقلية البدائي، عقليةُ الطفل، فيما قبل اللغة، في الكهوفية، في حالات الهذيان، وبعض الأمراض العقلية كالفصام والخرَف وتفككِ الشخصية.

10- يترابط ويتكافأ الاختلاقي مع الأواليات الدفاعية الناقصة السيِّئة. فهو، للشاهد، قد يكون مدفوعاً أو محكوماً ومفسَّراً بالحنين والنكوصي؛ أي بحلّ المشكلة والردّ على الواقع عن طريق التقهقر إلى الطفولي والماضي، إلى الاصول والجذور الأوغل، وتجارب اللاوعي النوعَوي (الخاص بالنوع البشري) والتطورِ البيولوجي.

يترابط الاختلاقي، الفحولي، مع أواليات الدفاع الاخرى كالهروب وإنكار الواقع، أو الانسحاب والاستسلام، التعويضِ والغَسْل، الإبدالِ والنرجسة، التكوين العكسي والكذب، التبرير والمناورة والتضخيم، التسفيل والتطفيف التبخيسي والالغاء، العدائية والعنف، ملء النقص وسد الفراغ، خفض القلق إزاء الملغِز والغامض أو المرعِب كما المأساوي في الحياة والكون والمصير.

تُعزِّز الاختلاقياتُ، ومنها الفحولية أو البطولة الذكَرية الجنسية، بشتى أنواعها وحقولها، تَسلُّطَ السياسي واللاهوتي، الانقياديَّ والانصياعي. فهي تواجِه الاستبداد، كشاهد، باختلاق ما يبرره أو يقفز فوقه؛ أي بردود الفعل السلبية المخادِعة، وباستجاباتٍ وحلولٍ غير سببية، استعاريةٍ وخيليةٍ، وهمية وهوامية جنسيةٍ طفلية.

الاختلاق كحالةٍ تحليلنفسية يكون حالةً مرضية، هوساً أو إدماناً. الإدمان على "صنفٍ" ما من أصناف الاختلاق معناه اضطراب القوى العقلية؛ وهو هذيان، إنّه فصام.

11- المنتوج الاختلاقي خلق تياراً معادياً تأسسَ على رفضٍ عقلاني للاختلاقي ولا سيما في القول بالمعجزات، وفي الكرامات وما إلى ذلك... وأقام الفلاسفة والمعتزلة والمفكرون الإنعتاقيون استنكارهم لذلك القطاع التخيّلي الخارقي عبر خطابهم في النبوة معتبرَةً هي نفسها بمثابة المعجزة أو الخارقة للطبيعة والسنن. قد يبدو أنّ ابن رشد، كممثلٍ لحقل الفلسفة اليونانية الاسلامية المسيحية، مِمّن يؤمن بالمعجزة فقط لأنها أداةٌ نافعة وناجحةٌ تدعم صدق وصحة الايمان بالنبوة نفسها.

12- الاختلاق ظاهرة نفسية إناسية. إنه نمطٌ أرخيّ، معروف في الحضارات عبر الأزمنة والأمكنة. ينوجد الاختلاق مع القوة الفاهمة (أو مع العقل التحليليِّ البحثي) داخل الشخصية الواحدة؛ أو داخل الوعي الفردي الواحد. كالحلميات هي، طبيعةً ووظيفة ومنهجاً تفسيرياً، الاختلاقيات والفحوليات وعقليات الشاعر كما للطفل والصوفي و"البدائي".

* رفض العقل الصّراطي، في الحضارة العربية الاسلامية وبخاصةٍ إبان اللحظة التاريخية المعاصرة والراهنة، الكَمْلنةَ للشصيات المؤسِّسةِ أو الفحولِ والأبطال اعتماداً على التخيّل والوهميات، واختلاق المعجزات والكراماتِ وأضراب ذلك (را: المعجزة عند العلايلي وفروخ وزيعور، في: زيعور وفروخ، العقل الصراطي...).

* ينفعنا تكرار أنّ أوهام "القول المعجِز" تستدعي أو تتكافأ مع أوهام الخطاب في الهوية والذات، في الأمة والقومية، في العلم والحقيقة؛ بل ومع الأوهام عند الفيلسوف كما المفكّر، وعند المؤرخِ وبخاصةٍ عند السياسي الطاغية أو "الخليفيِّ" المنهجِ والرؤية، وعند الفحل، عند بطل الذكورة الجنسي.

13- المبالغة أوالية معقَّدة؛ وتكون واعية كما قد تكون قسريةً، ولا واعية، تراكمية تَدَحْرجيةً. فهنا ظاهرة تخضع لقوانين تفسِّر الادمان على الكذب المسرف وتطور مساره. في حالة الاختلاقي، يتضخم ويزداد "الوعيُ" تخريفاً وهذائيةً، وابتعاداً عن الواقعي أو انفصالاً عن الحياة والأسبابية. يُلحَظ هذا الحدّ الأقصى داخل الاختلاقيات الهادفة إلى الانتصار على الخصم، وتسفيلِ العدو، ومجابهةِ

المرعِب والكارثي على نحوٍ عام. في تلك الحالات إنّ مَرض أو "منطق" "الاسهال اللفظي" يغدو منطقاً ومنهجاً، ومن ثم نفتقِد العقل المُحاكِم والحوار التفاهمي... وكشاهد تطبيقي، إنّ ازدحام الكرامات داخل العالمَ الصوفي المعيوش أو التطبيقي، كان يهدف لمنافسة أخصام التصوف، وللنضال من أجل حماية الصوفي، وتربيته أو "تدجينه"، ودعمه نفسياً وايمانياً، بل واجتماعياً وسياسياً... في اقتضاب، أهداف المنسوجات والحكايا أو "الأسكوباتِ الروائية"، للمعجزات، كشاهدٍ تطبيقي، تُعدّ أهدافاً تَتَفسَّر بالظروف الاجتماعية والسياسية، وبمشكلات زمانها ومجتمعاتها، والتحدياتِ الخارجية بل والداخلية أيضاً أي الممثَّلة بالبطل المناهِض.

* الايمان بالرؤيا الحلمية هو، بعين العقل أو العلم، ليس أقل تجريحاً للعقلانية والمنطِق والعلم من منتوجات اللاوعي الثقافي الأخرى. فالرؤيا المنامية ليست أقل تأثيراً من الكرامة الصوفية، ومن الدرجةِ المعرفية الشفهية العوامّيّة، على كبح العقلاني وتحجيمِ السببي وانفلات الخيلي والتوهّمي والهلْوَسي.

* والنبوة محصورة، محدَّدة لقوم؛ أما الكرامة فكانت فرديةً ومستدامةً، وقد تُنسب إلى فاسقٍ أو فاسدٍ، إلى متصوفٍ أو عاشق... المعجزة المنسوبة للعظماء النّبويّين قد تكون غير مُخيفة؛ أما الكرامة فمرعِبة للعقل، للسببية وتَقدّمِ المعرفة والتفكير المنطقي.

14- لم يتغلب، داخل الوعي الديني والمكبوتات التديّنية اللاواعية، تيارُ المنتصرين المؤيدين للقول بالمعجزة وأضرابها داخل المجتمع والطقوسية والفكر... أمّا تيار المنكِرين للمعجزة فكانوا من درجةٍ معرفية، ومن ثم اجتماعية، مختلفةٍ نمطاً ونوعاً، منهجاً ومضموناً.

* الدراسة التطبيقية لنزعة الاختلاق وللتغاذي النسبي بينها وبين نزعة الكَمْلنة أو الاكتمالية (=الاتمامية) تَسوق العقلَ البحثيَّ التحليلي إلى الانصباب على دراسة المعجزات والكرامات وأضراب ذلك مما بيّنّاه أعلاه (البطولات الخرافية، الفحولات...).

* القول بالمعجزة، كمثلٍ أو خزعة، لا يقود إلى استنتاج القول بتقهقرٍ سافرٍ في العقل؛ أو بتعثّرٍ في الحضارة. فالعقل لا يتقهقر، ولا يقدر على الهروب؛ لأنه يُخلي، ريثماويا وبحكم "طبيعة" العقل الضّرامية، مساحةً لدور اللاعقل والوجدان، الحدسي والخيلي، الأسطوري والاستعاري، اللفظاني والبلاغوي، التسلية والشرود، الأحلام اليقظوية، والمهدويات، الفردوسيات الأرضية... أما أنّ المعجزات إسهال نفسي لفظي (مرَض نفسي، عُصاب)، واستغراقٌ في المبالغة المفرِطة والقهرية، فقد تتفسّر تلك الحالة بأشكال عديدةٍ. يهمنا، زيادةً على ما مرّ، ارتباطها بنزعة الاكتمال، وبالرغبة بكملنة العزيز؛ وهي لأنها قسرية وإفراط فهي حالة تَتَفسَّر كمرضٍ نفسي، عصابٍ قهريٍّ يحكم أيضاً سلوك ووعيَ عوارض النزعة الاكتمالية.

* كملنة الحبيب سيرورة يحققها التخيّل وأولياتٌ كالنرجسة أو الألْهنة، وكالتماهي ومن ثم إسقاطِ الفاسد أو النسبي والعامِّ الشائع؛ وإضافةِ المثالي والكاملِ وغير التاريخي أو غير النسبي (را: أولية التلميع والإخفاء، الكشفِ والحجب...).

* أخيراً، نستدعي، كخلاصة، تفسيرنا للمعجزة والكرامة وأضرابهما بأدوات التفسير والفهم والتأويل التي اعتمدناها في تفسيراتنا للحلم والأسطورة، للسيرة الذاتية والتأرخة، للمرض العقلي والعُصابي... كما نستدعي أيضاً: قطاع الفحولةِ وحسدِ الألوهية داخل قطاعات اللاوعي الثقافي ورزائحه المكبوتة؛ أو داخل حقول التحليل النفسي في أريكته العربية وفضاءاتها الفلسفية.

تحوّلُ مشاعر المرارة والوعيِ بالفشل والانجراحِ إلى عقدة نفسية متحكِّمة ولا واعية

عند الفرد والمجتمع وفي التعاملية والأُمَّة

I

1- الانسان مشاعر وسلوكاتٌ ومواقف ومن عُقَده المغموطيةُ وعقدةُ الانتحاس والمغبونية. أصيلةٌ غوريةٌ في النوع والفرد هي المشاعر التي تصيب البشر؛ فلن يكون إنساناً من لم يَخَفْ أو يَغضَب. وكلٌ منا وقَع في الحزن، وانشرح بالسرور والابتهاج وما إلى ذلك... والشعور بالغيرة، في أشكالها

العديدة، كالشعور بنقص الثقةِ والتوكيد الذاتي، والشعورُ بالاتساع المترامي والإحاطةِ بالكون أو الطبيعة كالشعور بالانقفال والبخاسة والصغارة، مشاعر تمر علينا ونقع فيها، أو نفرح بها ونتألم منها... ويصدق هذا على الفرد والجماعة، الكل والعضو، النّحناوية بل والحضارة.

هناك مواقف نكون فيها بلا قيمة، وأخرى نتسع فيها ونتعمق نتحجَّم ونكبر (قا: الحلاج يتّسع فيملأ الغرفة، وفي الحالة المناقضة يغدو بحجم حبَّة العدَس، الخ...). كما انّ الانسان يعرف الحُلو والمر، ويهبط إلى أسفل مستوى في رغباته وخياله، أو قد يحسد الخسيس والسارق، ويغار من الدنيء والحيوانيِّ والسفيه... كل العواطف والانفعالات، الميول والرغبات، خاصةٌ بالانسان ومشروعه... يتميّز أحدنا عن الاخر بتغلّب هذه العاطفة أو ذاك الانفعال. لكننا نكون دائماً مجموع تلك العواطف والسلوكاتِ والوجدانيات: العقلي والجسدي، الرمزي والمخيال، الواقعي والمثالي، الفردي والجماعي...

2- الشعور المعقد بالمرارة وارتباطه مع عُصاب المغموطية

تفاعليةُ وعُصاب المنحوسية كما الانكسارِ والاستلاب مع العوامل الاجتماعية والثقافية (= المدَنيات).

ذاك الشعور بالمرارة لا يعرفه الجميع، وليس له المفعول نفسه عند جميع من عرفه وشعر به. مشاعر المرارة لا أمرّ منها، ولا توصف بأنها الحزن، أو الفشل، أو الخوف وما إلى ذلك. انها مشاعر تقوم في المرء عندما يقف أمام القدَر المرير؛ تُحرّكنا، تُمِضّ، و" تقُضّ المضاجع" ... ولعلها، بَعْدُ أيضاً وأزيد، تزداد مع التجارب حيث الفشل، والاحباطات، وتراكم المثبِّطات والضّغوط وما إلى ذلك من ألوان سلبية، هدّامة وتفكيكية في الانسان.

عقدة **المغموطية** تلخِّص بعض الناس. فهي شائعة. لكننا لا نودّ أن نلخّص بها كل شعور عند المتقدم بالسّن، أو المنجرح، أو الانسان عموماً حيال غيره أو ماضيه، حيال الطبيعة أو الآخرين. فالانسان لا يُختزل إلى مجموعة من المواقف والعواطف، أو من المشاعر والوجدانيات والردود. بالاختزال نقلِّصه؛ ونفجّره أيضا عند عدم التقاطه في وحدةِ أبعاده، كما في كُلّيته وصيرورته وتاريخه.

3- عقدة المغموطية والمغبونية. مشاعر المطرود والمنفي والمنجرح. الوعي بالانهزام والانغلاب بدايةٌ ضرورية ناجعةٌ ونافعة.

شعرتُ بعقدة المغموطية، آلمتني مشاعر معقدة بأنّ حقي مغموط، حينما كنتُ في وظيفةٍ رئيسي فيها شبه جاهل، واستعراضيُّ الشخصية، أو توسُّعي النمط. ولمّا انتقلتُ إلى وظيفة أخرى، وكنتُ قرأت مكتبات برمتها في اختصاصي، رأّس عليَّ ذلك الرئيسُ شخصاً فيه سُخفٌ، نكايةً بي أو، للسبب المعروف أو المظنونِ في لبنان، تعاطفاً مع ابن طائفته الدينية. مراراً سألوني عنه، فرددتُ ذات يوم: هذا الذي غمط حقي، أو أكله وتغافل عن الواجب فعله وتحقيقه، سوف ينتقم لي عقلُه. وحيث أني كنتُ كثير التشكيك وتقليب الوجوه بسرعة، فقد فصَّلتُ الكلام الذي أردتُ به توقع "الجنون" لذلك "الخصم" اللاشريف أو المعاند. لقد رأيتـــه ذات يوم في بيته، وكنا "شِلـــة" (= ثلّة)؛ ولما خرجتُ من "الحضرة" كررتُ أنه سيدخل الليل، سيصاب في شخصيته. لقد صدق التوقّع، الذي أتى متأخراً، لأنّ الصابر هذا كان حائزا على كثير من الشروط التي تهيئ إما للانتحار، أو للانهيار، أو – في أقصى الحالات– للفصام.

اللهم لا شماتة، ولا رغبة عندي بالانتقام، فأنا أضعف من أن تبقى لي تلك الأفكار القاتمة؛ أي السوداء القاتلة. ثم ماذا؟ كيف عرفتُ أنه وقع في الحضيض العقلي؟

سألتُ عنه صديقاً مكسور الخاطر، فردّ مستنكراً جهلي برغم أنّ الصابر انتقل إلى الظلام منذ عشر السنوات. لم أطلب التفاصيل، ولم أشأ أن أسمع أيّ توضيح. نقلتُ الموضوع بسرعة إلى مَدْحه، فغسلتُ أحاسيسي بالإثم تجاهه. واستغفرتُ له ولي، وللانسان المستلَب حقه، ولزميلٍ لم يكفّ يوماً عن الثناء على ذاته، ثم عن شتم رؤسائه، والحظّ، والأحوال، والزمان، والظروف، والواقع، و...، و...

تقود عقدة المغموطية الكثير من أحكامي على ذلك الظالم، وعلى الرئيس الأول الذي عملتُ تحت إدارته. فليس هذا أو ذاك مستحق، عند التحليل الهادئ، لما كنتُ القيه عليهما من مشاعر واختلاجاتٍ أو معتورِاتٍ وشبكات. فظني القديم

بأن الواحد منهما كان دوني مهارة، أو غير مستحق لأن يكون في مركزه، ظنٌّ أو توهمٌ أساء لي أولاً... وحسَدي له لأني لستُ في مركزه، أو لأني لستُ في المكانة والمكان اللذين يتناسبان مع كفاءتي (الفعلية أو التوهمية)، كان غيرةً وحَسَداً يحتّم عليّ سلوكاتٍ ومشاعر غير هادئة، ومثبِّطات، وإحباطات.

حينما انتقلتُ إلى عملٍ آخر، وكان مبتغاي، سرعان ما ابتليتُ بشخصيةٍ جامعيٍّ ميّالٍ إلى الرئاسة، استعراضي يحسن استغلال الوظيفة لجلب التوسّع، وللتمدّد كنبتة العوسج. وأكثر ما كان يثير النفور طلبه الواعي واللامفكرَن لأن يكون صاحب دالّة عند الزملاء: يود منهم الاقرار له بأمجاد، أو توجيهَ الأمجاد والأنظار صوبه.

مجموعة السلوكات، ورغباتُ هذا الصابر، غذّت فينا، بعد أنْ حرّكت فينا، عقدة المغموطية. إمّا أن تستسلم، وإمّا أنْ تقاوم، وإمّا ان تنسحب. أواليات التكيّف السلبية مع هذا الحقل والعقد كثيرة منها: اللفظي، والوهمي، والهرب، والانسحاب، والتغطية أو الكذب ... وكلها أواليات لا تحقق الاتزانية، ولا الصحة الانفعالية، ولا حبّ ذلك الحقل أو العمل، والرئيس أو السلطة.

المصاب بهذه "الورطة" صابرٌ (زبون، عميل) يستطيع الاستمرار في ذم خصمه مدة ساعات. وليس صعبا الاستماع، طيلة ساعات، إلى ذمّ الحال والزمان والأيام، والحظّ وما إلى ذلك من عوامل تؤخذ كأنها مسؤولة عن رفْع الخصم إلى درجة الرئاسة أو عن إبقائك في درجة المرؤوسية اللامبرَّرة إن حقاً وفعلاً أمْ وهماً وتخيّلاً.

4- تفسير عقدةٍ نفسية انطلاقاً من شخصية تاريخية

استمرارُ الحَدَث المؤسِّس "في اللاوعي" مؤشِّراً في السلوك والتعامليةِ والوعي.

من الممكن، على ذلك، تفسيرُ شخصيات كثيرة في الفكر العربي، وفي العالم، بأنها كانت محكومة بعقدة المغموطية؛ أي بمعقودٍ متحركٍ مترابط ينطوي على أحاسيس وهوامات، على ظنون ورغائب منجرحة، على فشلٍ للذات، أو على نقصٍ في التكيف. في قراءة عنترة، أو طرفة بن العبد، الخنساء أو المتنبي،

توضيح لهذه العقدة. إنْ لجأنا لهذا المصطلح في مقاربتنا لشخصية المتنبي، أو أيّ مفكرٍ بقي مغموراً، فقد يغدو سهلاً، حين التحليلِ، عليَّ اكتناه دهاليز في محجوباته ولا وعيه، في جوانبه المعيوشة وفي المستور والمتضمَّن، في الغوري والنفساني، والمتحكّمِ داخل عطاء الإنسان "المظلوم" كما المغبون وعالمه.

5- عقدة غير معمَّمة، متطوِّرة وتقتلُها المدَنيات أو العدالة الاجتماعية بخاصة.

المغمورية هي هذا المعقود من المشاعر السلبية والغيرة، والحسد والعدائية المسعورة؛ أو هي مجموعةٌ متلاحمة من النفور اللاواعي من الأب والسلطة والمعلم، ومن التقدير الذاتي والقلَق. المغمورية تخفي، عند القاع، قلقا على الوجود والمصير. وهي صراع داخلي، وحصيلة تنافس و... و... و... وكيف تفسِّر معي، شعور منهزم يرى نجاحاتٍ تُنسب زميله القديم، المتواضعَ القدرات والكفاءات؛ أو يلاحِظ نجاحات فاشلٍ قديم يصل إلى الشاشة ويقدَّم للجمهور بثوب المخْلِص، والراعي، والقائد؟ أنت تجلس مع مشكلاتٍ طفيفة وهو يتحرك على الساحة العامة نجماً مغطِّياً وصوليته أو ما تراه خداعاً والتواءات، واستغلالاً غير أخلاقي؟ كيف يقلِّص المنغلب هذا الانجراح؟ كيف يتوقاه أو أين ومتى يكون انجراحاً يدفع إلى الايجابي والاشفائي؟ لعل في اللجوء إلى التعويض أكبر أواليةٍ تقود هنا إلى النجاح، وإلى الاتزانية والنضج الانفعالي؛ أي إلى الصحة النفسية العقلية. بكلمة تقول الأوضح والواضح، أنا، كمثَل، رفضتُ في تجربتي الاولى الاعتراف بسلطة ما كان منفِّراً لي، ورئيساً مقرفاً، صار في رؤيتي له، الآن، غير منفِّر ولا مقرف... لقد كان يقوم بواجبه، وكانت نقاط ضعفه كثيرة؛ لكن المبالغة عندي والقلق، بل والحسد والطمع وسؤ التقدير، وحبي المكتوم لفتاة كانت تحبه، ولأخرى كانت جارته، عوامل سلبية في علائقيتي معه. كنتُ اظن، في تجربتي الثانية مع السلطة المكروهة المستبدة، أنّ رئيسي يسبب عدم نجاحي؛ ويقف عقبة في وجه رغباتي وطموحاتي، ويمنع حريتي وحقوقي.

لكن مشاعري بأني منجرح الحقوق كانت محفِّزاً للفرار من شبكة تلك المشاعر السوداء المؤلمة لي، والملاحِقة بلافكاكٍ لسعادتي اليومية الآنذاكية. فقد توجهتُ نحو الايجابي، ورضيتُ بالواقع الظرفي.

أما المحفِّز الأهم، والأنفع ربما، فكان هو الذي دفعني للانسحاب، للهرب. لكن الهرب كما الانسحاب كان ضعفاً، أو حلَّ اليائس والعاجز. صح! وما هَمّ؟ فقد أخذتُ القلم وكنتُ أستطيع كتابة عدَّةَ صفحاتٍ بلا توقف، ولا مسودة، ولا إعادة تنقيح. وما قيمة تلك المكتوبات؟ لا أعرف. وليس ذلك الموضوع موضوع حديثنا. ولا هو همّي الآن.

* إذا وعيتَ بعقدة الانجراح فسوف يساعدك الوعي بها على التحرر منها. إذا وضعناها أمام نور العقلانية أو حركناها بإرادةٍ هي التكييفانية، فلسوف نستطيع تحقيق رغبتنا بالقضاء على توتراتنا، وعلى الاقتراب من الصحة النفسية العقلية، ومن النضج الانفعالي. وسوف ترى، حين الرغبة بتحليل تلك العقدة وبتجاوزها، أنك قادر على أن تُحاكِم الوصولي أو الميلشياوي، الانتهازي أو المحظوظ، القاهرَ والغادر، المنافق والاستغلالي، بدون توتر ونقمة. سترى الواقع على نحوٍ واقعي، وسترى القواهر والعواهر على حقيقتها. ستتخطى المرارة، والسخريةَ اليائسة؛ ستحظى بمنهجية التحليل، والتحليل الذاتي، وبملكة الدارس للظواهر تبعاً لقوانين وقواعد مشتركة هي على شيء من الثبات والتعميم.

II

1- الانسان يتعلم التشاؤم ولا يُفطَر عليه. المخاوف على المستقبل والصحة الجسدية وما إليها عامل يولّد الانجراحَ، والوعي بالمهجورية وبتوقع الالتياث للمهزوم أو الفقير، المريض أو المقموع، السوداويِّ أو التذمّري "الضِّفدعيّ". هنا يقول الصابر: قدَري، حظي ونصيبي، في حياتي، أن أتجرع الكثير من المرارة، وأن أكرع كؤوس الحنظل والعلقم والزقوم. ويتابع: أنا غير واثق من شيء، أنا شديد التشاؤم، أنا يائس محبَط، قلِق وخائف، مهدَّد، بلا معين، متروك، مكتئب، منحوس ، مؤزَّم، مأزوم...

2- يرى الرّد النفساني والتبصّر أنّ للتشاؤم، وتشكّلاتَه، جذوره في التجارب القاسية، وفي الآلام والشروط الموضوعية والبيئة؛ أي في التي تمنع الجائع من أن يرى ويعيش جوانب ايجابية فرحة في الحياة. فقد يصير الانسان متشائماً بعد خيبات أملٍ كبيرة وكثيرة؛ ولا سيما بعد مأساة عائلية تهزّ الكيان، ولا تترك

أحداً سليم البال صافي النظرة للوجود والمصير. ويقول المكتئب كما المنجرحُ: انقفلتُ على ذاتي، وتشاءمتُ... نفرتُ لأن الحياة لم تكن بجانبي، ولم أفرح لأن الحياة أو الشروطَ الاجتماعية والواقعية لم توفّر لي ما يفُرِح. لقد أحببتُ، وظننتُ أنْ يكون الواقع مؤاتياً لي وليس معادياً. كرهتُ أن أبقى وحدي أُحارِب، لا أتحمّل ما لا طاقة لأحد برده.

أنا، رأيتُ كثيرين يعيشون بلا متاعب تُذكر، ويغتنون، ولا يفكرون، ويرضون عن الواقع بكل تعقيداته. في الوقت عينه، كنتُ أرى جهلهم، وغرقهم في السطحية والمألوف، وفي الجزئي والخفيف، في البخل والطفيف.

3- لكأنّ العالم محايد. لم نُخلق كي نتألم؛ أو كي نفرح ونبتهج. الموت أو الكون يسير وفق قوانين موضوعية. والمعرفة محايدة قد تَنْصقل وتَتَجوهَر في فضاء الألم، وقد يرى في الوجَع آخرون لذةً. العالم ليس أرضاً للتشاؤم، ولا يهمه أن نكون معذَّبين أو متفائلين، فاترين مسطَّحين أو سعداء. كل ذلك كلام هو، كما الصَّبْر، جميل؛ وهو صائب بل هو ملتبس. ويتابع اللامحظوظ في الوجود فيقول: لم استطع أن ارتفع إلى حيث أرى الوجود بلا تشاؤم... لم أستطع أن أكون قاهراً للقلق والمشاعر المخزية، للانجراح والمثبِّط؛ أو أن أكون في "صبرٍ جميلٍ" على الكدر والكرب.

4- عند المحلل النفسي، الاهتمامُ بالحزانى والمتألمين أثناء النهار، وبعد الانكفاء على الذات، موضوعٌ حيّ. فذلك الاهتمام نبيل القصد، شريف. لا أرى أنّ هناك نشاطاً أرفع منه، أو يسبقه قيمةً وجدارة. الاهتمام بالانسان (= بالناس) موضوعة واقعية، ويجب أن تكون قصد كل نشاطٍ علمي، أو معرفة منظمة، أو نظرٍ عميقٍ صادقٍ. لقد زاد اهتمامي بالمريض واللاسوي أني لم استطع، ولن أستطيع، تقديم خدمةٍ تقي المنجرحين التشاؤمَ أو تساعدهم على الفوز والخلاص والتغلبِ على مآسي الحياة وقسوتها وآلامها. إنّ الانسان الضعيف، بسبب حزنٍ أو خسارة أو تهميشٍ وانغلابٍ أو انجراح، موضوعةٌ حية واقعية، ولعل أقدر من يعي قيمتها هو من عانى وجرَّب. لكن ربما سيكون صاحبُ الفكر التأمّلي، والمنهج العقلاني، هو الأقدر على التفسير ثم التغيير. أمّا الذي يشدد على أنّ

الارادة والصبر الجميل، أو إرادة المقاومة وتحمل الصعاب برواقيةٍ صارمة وشجاعةٍ شكلية، فقد يصدق؛ لكنه يبقى هنا صاحب نصائح وحاملَ فكرةٍ عميقةٍ بدون أن يكون قاهراً لعجزنا عن المقاومة والممانعة، بل وعن المحاربة المديدةِ للقواهر الخارجية؛ والمهاجِمة من الداخل.

لا حقّ لي، ولا لأيّ إنسان معاصر، بأن يقع في لجة التشاؤم. أعرف ذلك، فعلى الصعيد التحليلي النفسي، وفي الرؤية الشاملة العامة للوجود والمدنيات والقوانين، أنا لا أرى التشاؤم ولا أقول به. في عمر متقدِّم، وفي التجربة المرة لحياة شخص، قد يكون التشاؤم واقعاً على الجزء، وليس على الكل، على الفكر، على الأيديولوجيا، على الثقافة وجدول حقوق الفرد والمجتمع أو القيم المؤنسِنة والمؤنسَنة. التشاؤم تسوية، حلٌّ مسألة.

III

الإدمانات نوعٌ من التكيف الناقص الوهمي

1- **عيِّنة. حالة إدمان:** أرى البعض من الزملاء والكثير من المستشيرين يهرب إلى الخمر أو إلى عقارات الهلوسة، إلى الحشيشة وما إليها مما يتوفر لدى بعض المتاجرين بالسُّمّ وفي دهاليز الصيدليات وأدوية الإبهاج. حدثني "مَنْ لا أتَّهم"، أحد الذين يعانون مرارة الحياة ومخاوف القدر والشؤم، انّ الخمرة تنقل في خلال نصف ساعةٍ أو أقل إلى عالم آخر؛ إلى عالم أحسن. بذلك ينسى الانسان، ويبتهج، ويعيش خارج الزمان وبعيداً عن الواقع المرير. الخمرة عند البعض، إذَن، أداةٌ تنقل إلى السعادة، وجسرٌ يأخذ السائر عليه إلى دنيا إنْ لم تكن رائعة فهي على الأقل غير حزينة، تخفيفية وعطوبة، بَلسمية ووهمية. وعقارات "الهلوسة" هي أيضاً طائرةٌ تأخذ الركاب إلى السماء التي تشرق فيها الانوار، وتغيب عنها عواصف القلق وغيوم الأحزان والمخاوف.

الصابر المدمِن، يؤكد لنفسه: هذه هي الطريق السهلة؛ والتي تُخلِّص، وتقود إلى النسيان أو التناسي. عالجتُ مدمناً كان يقول: بعد نصف ساعةٍ من الشرب تنتقل إلى العالم المعقول، وتبقى فيه عشر ساعات يتلوها الليل أي النوم. وعند الصباح التالي يكون يوم من المصائب قد انتهى. ثم تذكرتُ أني سألتُ أحدهم: ثم

ماذا بعد ذلك؟ بعد ذلك يكون يوم جديد؛ وحالٌ جديد؛ والزمن يكون قد مال إلى التغيير. وقلت: لكن القضية لا تُحل بذلك الشراب إذْ بعد السكرة نرجع إلى الواقع، ولربما إلى مزيد من الهموم، وربما إلى مشكلةٍ جديدة. هنا يتابع المدمن: لم أكن أريد حلاً جذرياً أو نهائياً، فالنسيان ولو ليوم واحد يخفف عني ولو بالخيال. والخمرة جذابة. هنا، الصابر يردّ بدون تفكير وببساطةٍ واضحة: بسيطةٌ! إذا لم تصل إلى الحل، إذا لم تجد في الشرب النسيان، منذ اليوم الاول، فأشربْ من جديد. اشرب في اليوم التالي وما بعده ... المهم ان تتخلّص من يوم ثقيل.

الخمرة، وأضرابها، قد تَحُلُّ المشكلة ساعات. ولكنْ حتى تُحَلَّ لك المشكلةُ بشكل أطول فعليك أن تشرب كل يوم، وتنام مخموراً كل ليلة. هكذا إلى ان تُغيّر أنتَ، إلى أن يقع ما لا بد من أن يأتي، والذي سيأتي بسرعةٍ حالتئذ.

2- حالة الادمان على الغرق في العمل دفاعاً عن الذات. عيِّنة: عمر فروخ، كشاهد، كان يهرب إلى القلم. وما يزال مُدمنون أو هاربون آخرون يفرون إلى المرأة احتماءً وإطفاءً. أستدعي، كشاهد، ذكرى عن زعزعةٍ لاكتئاب الشيخوخة عند صديق كان يعمل طيلة نهاره:

– من المسؤول في جريدة النهار؟ – فلان بن عِلتان!

– طيب يا معلّم علي! هل تعرفه؟ كنتُ ذات يوم في مكتبه، برفقة الزملاء عادل فاخوري وجورج زيناتي...ثم...ثم...

– اكمِلْ! اما هي هذه الـــ "ثُمّ" والـــ "ثُمّ"؟

– رأيتُ فتاة طويلةً شبه ممتلئة، لا. كانت ممشوقة معتزةً بنفسها، وتلبس ثوباً تقليديا عنّابيّ اللون؛ خمريَّ اللون كان فستانها.

– يا معلّم علي! هل هذا موضوعنا؟ – عفواً... لكن الرجل لم يأبه لها. ولو كنت مكانه لغازلتها. وأنا قد سألته لماذا لا يعشقها حتى يجدد حياته، ويغدو مكتبه بهيجاً، وعمله أقل إجهاداً. وكان رده: لا تهمني هذه القضايا فأنا غارق في انقباضٍ وخَوَر.

– ثمّ ماذا تَستنتج؟ – استنتج أشياء كثيرةً، منها أني عرفتُ نمط شخصيته، وطرائقه في التكيّف مع الاكتئاب؛ أي غرقاً في العمل هو إغراق للذات في خضمٍّ يُبعد عن المرعِب والمخيف، المقفِلِ والموهِن.

3– حالة الادمان على الكتابة دفاع وردٌّ يَقي ويُخفي. فإنّه حلٌّ ومخرج.

لم يكن الادمان على الكتابة، على العمل في التأليف والتصنيف، عند المتقاعدين، يستهدف الربح، الاستنجاح أو استكسابَ جاهٍ، ومنفعةً أو ثروةٍ رمزية. كان الدافع الأعمق لوناً من الدفاع عن الحياة، وردّاً على مخاوف وهواجس أمام الموت القادم، أو الأيامِ المعدودة الآخذةِ بالتناقص كل دقيقةٍ، بل وكلّ ثانية.

* في جميع الحالات الادمانية، يكون اللاوعي أو المحجوب والمكبوت عند الصابر هو القيعان المستورة المظلمة والأكثر جدارة بالاهتمام وجذباً للمحلِّل وللمعالج النفسي. فما الادمان، في الحالات الواردة أعلاه، وبعامة، سوى حلٍّ أو تسوية للصراع، داخل الشخصية، بين مقامَيْن أو موقِعَيْن: الأنا القاعدية وحيث الجسدي أو الغريزي والبيولوجي، والحياة الواقعية؛ ثم الأنا الأعلى حيث القيم والواجبات السلطة والأخلاق (را: زيعور، المدخل الى التحليل النفسي والصحة العقلية، ص 421 والما بعد).

الصحة الحضارية عنوان الأنا الأعلى أو مقامُ الذاتِ المثالية

على صعُدِ الفردَ والعلائقية وفي المجتمع واللقمةِ والسياسةِ الأُمَّتِيّة

1– الصحة الحضارية للمهاجر العربي، كالمسلم أو الأفريقي ومَن إليهما، تتعزَّزّ كلما تَعَزز التحولُ شطر القيم المسكونية داخل الشخصية أو الأنا؛ وداخل العلائقية والمجتمع، كما التواصليةِ وفهم الوجود أو تفسيره؛ وداخل تأويل الألوهية والمطلق تبعاً لأنوار العقل الكوني، وللمدَنياتِ كما القيمِ العالمينية البُعدِ والرؤية أو المنهجيةِ والمنطق. خطاب الصحة الحضارية هو، إذَن، خطابُ الفلسفة والنفسانياتِ الفلسفية المتوقِّدة الراهنةِ بالتغيير النقَداني الحضاري، والموقَّدة بقيم احترام النفس بجناحَيْها (الذات والذات الأخرى...). فما التغييرانية، فلسفةُ التغيير في الشخصية المنغرسةِ مع الآخرين وفي حقل مشترك، سوى

تغيير في مسار القيم بحيث تنتقل هذه القيم إلى تعاطفيةٍ مشتركة بين الناس، أو بين قوى الإنسان (النفس، الناس)، أو بين الأمم. وبذلك يكون التوجّه أيضاً/ التحيين والتزمين للقيم الأمومية (الأمَّهاتيةِ، الأُمَّوية) والاستئمام، للتراحمية والرّحمانية، للتكافلية والوِدادية، للتضافرية والمحَباوية، للتشاركية والعالمينية.

2- مبحث الصحة الحضارية علمٌ له غرضه وحقوله، مصطلحاته ومن ثم حقائقه وقوانينه. والأهمّ، في ذلك المبحث، هو تعيين موضوعاته الأهمّ أو الأشهر، الأنفع والأكثر حاجةً للتوضيح؛ أي لتشخيص السويّ وغير السّويّ، المَرَضى والسَّليم المعافَى والمعافي. فمن موضوعاته التي نستطيع إضاءتها بل وتشذيبها سنرى، باختصار، ضرورةَ وسداد الابتداء من إعادة الادراك ثم إعادة الضبط والتصويب لما هو أيديولوجي أو قيمي، ولما هو موقعٌ ومقامٌ للفكر والفلسفة والتاريخ الحضاري عند العربِسْلامي مهاجراً إلى أوروبا؛ أي قائماً حاضراً داخل الدار العالمية، ومن ثم داخل الدولة الأوروبية التي كانت مستعمرةً وطاغيةً متفرِّدة.

على هذا فسندرس، أدناه ، مصطلحاتٍ هي كلمات مفتاحيةٌ تقنية نقدية، أو مقولاتٌ وأفكارٌ؛ من نحو: عقدة الغيرة من الغرب، حَسَد الآلة والمصنع، الانبهار الافتتاني المَرَضي بالتكنولوجيا والصورة، التكييفانية الايجابية الاسهامية، محاكم التفتيش، الجناح العَرَبي- الأوروبي داخل الفكر والحضارة في العالم... وثمة أيضاً: العودة العربِسْلامية إلى السوربون وإلى أوكسفورد، التومائية العربية الراهنة، الرشدية اللاتينية الراهنة (= العائدة، المستأنَفة)؛ الخ.

I- القيَم الفكرية والاقتصادية قُطبان في الحياة أو قَدَما الحضارة

1- الصحة الحضارية للعربي في بلده قضيةٌ نفسية ثقافية؛ واقتصادية، أي سياسيةٌ اجتماعية. قد تغدو متوعكةً ومقلِقة بل وجارحة عند المهاجِر؛ وقد تغدو اضطراباً وإنكاراً، أو تنجرح مقارنةً لها مع الحضارات المتقدمة؛ كحضاراتِ أوروبا الغربية على وجهٍ خاص، وما إليها من مجتمعاتٍ صناعويةٍ آلوية (اليابان، مثلاً). يتعافى التوعّكُ داخل الصحة الحضارية بقدر الشعور بالرضى عن الذات والآخر داخل الشخصية واللقمة (= الخُبزة) في الأمم المستضعَفة،

المنجرحةِ حضارياً؛ أي في شتّى حقول العلم والفكر والآلة المعقَّدة. وتَتَمتّن الصحةُ الحضارية بقدر ما يتقلّص فينا حسَد الغرب، والآلةِ الصانعةِ للآلات، وثوراتِ العلم المتمادية؛ وبقدر ما يغدو الحوار مع القويّ أو بطلِ الحضارة الصناعوية حواراً بين متساوين أحرارٍ مختلفين، بل وعديدين متنوّعين؛ وبقدر ما يخفّ التوتر الحضاريُّ أي العدائية والحذر والتباعدُ بين "الشرق والغرب"... في اقتضاب، الوعي بجدارة وعافية الشخصية أو الدولة، الأمة أو اللغةِ والثقافة، هو الوعي الحضاريُّ المنيع، أي التاريخي والمجتمعي، بعقلٍ راسخ ومشاعر فردية وأُمَّتيةٍ ايجابية ومتفاعلة، ضراميةٍ ومنفتحة مسيطِرة. الشعور بالانتماء إلى حضارة مُشبِعةٍ للحاجات والدوافع الاساسية شعورٌ بصحةٍ حضارية؛ فهذه المعافاةُ احتماء واطمئنان، ثقةٌ بالأنا والنحناوية والمستقبل.

2- مبادئ ومقولات **فلسفة التحول والاهتداء** إلى الصحة الحضارية هي الأسُس والنسغُ في **التكييفانية الاسهامية**؛ في فلسفةِ التغيير والتَّصيير. فمناهج وروحية تلك الفلسفة مرتفِعٌ على قاعدةٍ من الاستقصاءات الميدانية (را: الدراسة النفسية الاجتماعية بالعيّنة...) المجدَّدة بتواظبٍ وتناقحٍ كل ثلاث أو خمس سنوات. فتلك القاعدة هي بموجب تلك الدراسات والتحقيقات، نظريةٌ معاً ومناهج؛ مذهبٌ فكري وقولٌ عقلاني نظري في المجتمع والفردِ والقيم، أي في الناس والشروط الموضوعية، بقدر ما هي أيضاً خطةٌ إرفاعية وعَتَلةٌ أو جسر وعواملُ مغذيةٌ ومنمّية، ومن ثم حافظة وحاميةٌ للصحة الحضارية (والروحية أيضاً) للمهاجِر من بلده إلى فضاءٍ صناعويٍّ وآلويٍّ من حيث السلوكُ والعلائقية، والأيديولوجيا كما الفكر، والقيمُ والمواضَعات.

3- حقول فلسفة التحوّل والاهتداء أو التغيّرِ والتصيير هي عينُها حقولُ التكييفانية أو الرشدانية، النقدانيةِ الحضارية أو المنطق الضمني. وتلك هي أيضاً حقول "الفلسفةِ" المطورة لخطاب الصحة النفسية - الروحية - الحضارية للمواطن والمواطَنة وللوطن، وللفضاء "الأوطاني"؛ وبخاصةٍ للثقافة "الثُّناوَطَنية" (الوطنَيْن: الأرومي والمهاجَر إليه). ونلحَظ سريعاً، هنا، أنها تتواصل وتتكامل بتداخلٍ وإيلافٍ حقولُ وفضاءات التغييرانيةِ مع مثيلاتها داخل النظرية العربية

في الفلسفة والفكر والشخصية. فالتغيّر شطر الصحة الحضارية المتينة المنيعة يطال ويوقِّد كلَّ الموضوعات والسلوكات، العقلياتِ والمتخيَّل كما العقل، القيم كما التواصلية، الحقوق أو المدَنيات والمعنى العامّ.

4- إنْ رُمْنا التعضية والضبط لحقول الصحة الحضارية الخاصة بالمهاجِر المسلم، أو من يُمثِّل، إلى أوروبا المدلَّلة (= الغربية، الشِّمالية، الخاموسية الأمم)، لكان لزاماً علينا الابتداء بكل العوامل معاً وسوياً: بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية؛ بالعوامل التي تقلِقنا هنا، أي بالعوامل الفكرية والأيديولوجية، بالمتخيَّل والحدسي، والايمانيات أو العقليمانيات بعامة. وبموجب ذلك يقتضي بنا توزيع حقول الصحة الحضارية الى: أ/ ما هو خاصّ بالواقعي والمعيشي، اللُّقمْويّ والاقتصادي الموسَّع، أو ما هو فعل وسلوك ومن ثم جسديٌ ومادي؛ ب/ وما هو ينتمي إلى الاعتباري والرمزي، الأيديولوجيّ والفكري أو غير العضوي وغير الممتدّ، الثقافي والكينوني والإنسانوي.

5- يترسخ القول بأنّ مبحثَ "الصحة النفسية الحضارية"، والروحيةِ هي قبل ذلك أو بعده، موقَّدٌ بمبادئ وفضاءاتٍ فلسفية ضرامية؛ وبنُسغ النفسانيات ومناهجها ومقاصدها. فالعربي كما المسلم، داخل أوروبا، يعي جيداً ثم يقدّم نفسه أو يطرحها بصفته مغذّياً ومتغاذياً مع نظرياتٍ فلسفية عربيةٍ متفائلةٍ ورجائية، تعميريةٍ بنّاءة وبعقلٍ عملي ونظري عالميِّ البُعد أو الخطابِ في البشرية والألوهية وعلوم المستقبل. تلك هي النظريات العربيةُ التي يطالِب المسلم كما العربيُّ، ومَن إليهما في العالم وداخل المجتمعات الصّناعوية المعقَّدةِ جداً، بأن تُدرس وتُدرَّس في جامعات أوروبا، وأن تتحرك داخل الثقافة الأوروبية وبخاصةٍ داخل الدار العالمية والفلسفاتِ المقارنة. من تلك النظريات العربية المسكونية المقصد، والروح والعقل، يُذكر: الشخصانية، الجوانية، التومائية العَرَبية (والاسلامية أيضاً)، الفلسفات المثالية أو الروحانية، والمحبّاوية، والعِرفانية الصوفية داخل الذات العربية.

6- عودةُ العربي المعاصر إلى السوربون حقٌ للعربي أو المسلم المطرودِ منها مع الأسقف تامبْيه. ذاك قولٌ فلسفي. وهنا أيضاً نظريةٌ في العقل وتاريخ

الفلسفة إنْ عند العَرَبي نفسه أم عند الكاثوليكي أو الأوروبي بعامة؛ ومن ثم بدرجةٍ أدنى عند الأوكسفورْدي، عند الانكليزي.

يوصلنا "**مبحث الصحة الحضارية للمسلم في أوروبا**" إلى ذلك المبدأ عينه. ذاك أيضاً هو ما يفسِّره ويحلِّل منطقه وأولياته، أو بيته وفلسفته الضِّمنية، العقلُ الفلسفيُّ العربي الراهنُ حينما ينكفئ أو إذا ما انصبّ على دراسة "السورْبونية العَرَبية المحْدثة أي العائدة والمستأنَفة" مع رينان (را: القراءة الايجابية لعالَمه العِلميِّ).

7- رينان هو مَن أعاد إبن رشد إلى السوربون (في 1852؛ 1861)؛ ثم جاء عمل مونْكْ في " أمشاج من الفلسفة..." (1859)؛ وانتظر التاريخ حتى جاء ل. غوتيه (1948) أو تعاملُ "استاذٍ في جامعة باريس" على حدّ ما أدرج تحت اسمه (اشتهر كأستاذٍ في جامعة الجزائر). بعد ذلك، في أواخر القرن العشرين، ظهر عمل أورفوا (1991)؛ ثم أرنالديز (1998). نحترم تلك الأعمال المؤرِّخة والتفكيرية؛ ونحترم كل فكر مع غض الطرف عن الايديولوجي فيه والمسيَّس، التحريضِ أو التجريح؛ وبخاصة عن ما كان يُلقَى على الاستشراق من المديح والتقريظ وما شابهمها... الأجدى، أي الأنفع، هو ذلك الاهتمام عينه. وما زال الفكر، في العالم الراهن يحتفل بالحقيقة أنّى كانت وأنى أتتْ. نور الحقيقة يضيء للجميع!

حنين جامعة السورْبونّ الراهنة إلى "السورْبونية العربية"، أي إلى الحقيقة اليونانية العربية اللاتينية، حالةٌ نفسية حضارية منيرة ومنوِّرة، وفيّة للتاريخ ولِمستقبلِ الفلسفة داخل الدار العالمية. والسؤال عن "الأكسفورْدية العرَبية"، راهناً، ما تزال كما كانت في تجربتها التاسيسية، متمحورةً حول العلمي والتحليلي أو الاحساس والمذهبِ الإسميّ أو اللغوي والنفعي، الواقعي المادي والمَصالحي.

8- أعاد إبن سينا إلى السوربون، في القرن العشرين، ابراهيم مدكور، وجميل صليبا؛ ومن ثم المستشرقة غواشون، ثم النفساني علي زيعور معتبِراً ومتدبِّراً وحدة الشخصية ووحدة الفكر عند ابن سينا؛ أي وحدة الفلسفة والنفسانيات وحقول العلم معاً وفي كلٍّ أجمعي، في "مَعْبَعْضية" ضراميةٍ تفاعلية.

* في دراستنا للنفساني كمؤسِّسٍ للفلسفي والسياسي والاخلاقي، داخل الفلسفة اليونانية العربية اللاتينية، تناولنا، عند رمزها وممثِّلها ابن سينا، النفسَ من حيث قواها وتوقيدها وتشييدها لتصنيف الفضائل؛ ولتقسيم طبقات المجتمع، وأنواعِ الدساتير (المُدُن، الدّول، المذاهب السياسية، السياسة المسكونية أو المدينة العالمية المدَنية وغير العلِّيّة). ودرسنا أيضاً، عند ابن سينا، ودائماً كممثِّلٍ للفلسفة الوسيطية، قطاعاتٍ أخرى من نحو: الأحلام الخارقة (المعجزة والكرامة والسحر والاعاجيب)، العلوم الخفية، التربويات، نفسانيات المرأة والخدم كما الأب ثم المعلِّم والرئيس... وكذلك أيضاً: الخطابة، المسكونية وما بعد المِلّة. يُستدعى للشهادة: راجع تقديمنا لكتاب "القانون في الطب"؛ المدرسة البريسونية- السيناوية- التومائية.

II - الأسُس الفكريةُ والفضاء الفلسفيُّ للأنا الأعلى عند المهاجر

1- الأوكسْفورْدية العربسلامية حركة تاريخية حضارية أو مرحلة فكرية سبقتها وأثَّرت فيها الفلسفةُ والعلوم العربِسْلامية؛ وذاك إنْ بتحفيز مباشر، أمْ على نحوٍ تفاعلي، وباستقراضٍ واستدانةٍ، أو بامتصاصٍ لاشعاع "الحمولة" أو "ثورةِ" تلك الفلسفة والعلوم؛ وبخاصةٍ للعلم... والأكسفوردية تمثّلت أيضاً التجربة اليونانية التي كانت، أصلاً، قد غذّت وطّورت التجربة العربِسْلامية.

المقصود، هنا، ليس تقديم نظريةٍ، أو فقرةٍ داخل النظرية الراهنة في الصحة الحضارية للانتماءات والهويات للمواطن العربي أو المسلم داخل بريطانيا، وأهلِ "العقل الانكلوسكسوني". ربما يكون الأنفع قد صار ماثلاً وممثَّلاً في خطاب الامير تشارلز المقِرّ المعترف بعطاء "الاسلام" للحضارة في أوروبا، لاوكسفورد، للبريطاني. يلمع هنا أنّه كان يصمُت، ويُخفي مشاعر منفتحة وإيجابية، المنتدون داخل "المدرسة الفلسفية العربية" تجاه العلاقة بين الأميرة ديانا ودودي الفايد. والأهم هو أنّ الأكسفوردية العربية الراهنة منطقٌ، وأولياتٌ أو مذهبٌ نظري يُمزِّق ويعيد صياغة طبيعة الصحة الحضارية للذات وطرائقها التطويرية أو العلاجية.

2- إعادة الفلسفة والعالمينية (= المسكونية) العربِسْلامية إلى أوكسفورد، والى السوربون، تمر عبر جسور أخرى؛ كالاستشراق، مثَلاً. إنّ المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة أعادت قراءة الاستشراق (لولُوس؛ رينان...) بحيث صار يُقرأ كحقلٍ هو استمرار لحقول الفلسفة الوسيطية. لولّ، برغم المثالب والمطاعن، مفكر وسيطي؛ أي فقرةٌ (مدماك، رزيحة، لبِنة) داخل الخطاب الاثلوثي؛ أي: الشِّركي اليوناني ثم العربي الاسلامي ثم اللاتيني المسيحي. ذلك ما نقوله أيضاً في صدد رينان؛ وفي صدد كل مستشرق. بذلك، بهذه التسمية أو الأشكلة الجديدة، نعيد الادراكَ والضبط؛ ونُصحّح المواقف والمنهجية كما الرؤية والاستراتيجيا.

3- من الموضوعات الأخرى التي تَبْني وتدعم الصحةَ الحضارية، بحسب المدرسة العربية في الفلسفة العملية أو في العقل العملي، نستدعي إعادة القراءة والمحاكمَة لابن رشد. ويبقى من بين الأبرز فيها هو أنّ فيلسوفنا مخْلِصٌ وفيّ للفلسفة، للحقيقة أنّى كانت وأنى أتَتْ؛ أي أنّ الفلسفة مسكونية، سِلْماوية، خطابٌ في العقل أي للناس والأمم... والحفَت المدرسة العربية في دراستها للعقل العملي على أن ابن رشد (= ا.ر.) تَوقّد بالبحث العقلاني؛ وسَطع في المناحي الانسانية النزعة (= الانسانوية) في الشخصية، في النفس البشرية؛ أي في الناس، أي في الانسان؛ وتوقَّدَ بالتالي للبحث الراهنِ في الصحة الحضارية للمنفي والمطرود، المنجرحِ والمنغلِب، المنكسر الخاطر والمهدورِ كرامةً وحقوقاً مدَنيةً، بل وحتى كياناً وانتماءاتٍ وهَويّات.

ومن المقولات المؤسِّسةِ والمغذّيةِ للصحة الحضاريةِ، هناك داخل الرّشدية، قولٌ في أنّ **الفعل مؤسِّس وحاكمٌ ومعيار** في التجربة البشرية. واعتبار ابن رشد فيلسوفَ العمليِّ والمصلحةِ الأبقى والأنفع اعتبارٌ مُحِقّ؛ وحقٌ هو أيضاً اعتباره للمنفعة معياراً حتى لنجاح وحقيقة النبوة. فهذه، عند أهل البرهان، اعتُبِرت صحيحةً وسديدة لأنّها نافعة في المجتمع والحياة والسياسة، وفي ضبط المعايير وتنظيم البشر، ولَفّهم أو ضمّهم حول المصلحة العامة، ومنفعة كل فردٍ، وكلّ جماعة، وعلى كل صعيدٍ.

4- يتفق ابن رشد، مع جميع الفلاسفة العرب، وفي السيناوية الأكوينية الراهنة، كشاهد، حول ذلك التفسير للنبوة والمجتمع والسياسة بمعيارٍ، أو فكرٍ فلسفي، هو المنفعة الفردية، والمصلحة العامة، ونقاوةُ الفضاء العام، واستمرارُ الحياة بتعاونٍ وتراحُم. هذا الاتفاق بين المفكّرين والفلاسفة هو، راهناً، اتفاقٌ أيضاً على التمحور حول الفعل؛ ومن ثم على أنّ **العقل العملي أساسٌ في الصحة الحضارية**، ومحرِّك منظِّم لعلم الأخلاق (= الفضائلية)، والسياسة، والدساتيرِ (= الدّول، السياسيات) أو الخطابة (الاقتصاد بخاصة، المدينة الفاضلة) والجَدل أو التفاعلية المسكونيةِ بين الأمم.

المُراد هو أنّ الفلسفة الرشدية، وعلى غرار أسلافها الممثَّلين بالفارابي، قابلة لأن تسمّى فلسفة عملية؛ حكمةً عمليةً أو عقل عملي؛ بل ولأن تدرَك، ثانياً، بما هي تقوم على إدراك الدين كقطبٍ يقوم إلى جانبه العقل كقطبٍ ثانٍ في بحث الناس عن الحقيقة ومصلحة البشر؛ وثالثاً، لإدراك أنها فلسفة تقوم على منطقٍ عام هو أنّ الحضارات، ومن ثم الصحة الحضارية للعربي المهاجِر، تقوم على الاجتهاد الذي هو التجديد المتواظب، والضبط وإعادةُ الضبطِ والتكيّفِ المتناقح للعقلَيْن العملي والنظري وبأداةٍ فكرية هي علم التأويل وفلسفته الراهنة، أو منطقه القائمُ على التفسير والشرح، على الاستكشاف والتحليل.

5- حالةٌ: الغوص والسَّبْر في النظرية الشخصانية العربية أو المسلمة، عند البحثِ الراهنِ في الصحة الحضارية، تفكيرٌ وتأملٌ في نظرية تراثية "مُهَنْدَمة" وأنيقة، مشلْبنة ومشذَّبةٍ، باتَتْ تصلحُ مكوِّناً في جدارتنا العامة؛ أي لأن نحياها ونصقلها في نفوسنا وعلائقيتنا، في تقديم صورتنا للآخر وداخل العالم، في العضو الفرد والكل، في المقيم والمهاجِر والحاضِر كما القادم.

III – نظرياتٌ فلسفية وأيديولوجية مُريحة ومغنّية. الذخيرةُ الحضاريةُ الراهنة والمستقبلية

1- الذخيرة الحيّة هي البسط وبخاصة النقدُ للنظريات والفكر التي تُقدَّم للصابر، المهاجر، كيما يغذّي انتماءه الجديد، والتحركَ منطلِقاً ومجبولاً بنظرياتٍ وفكرياتٍ أرومية تُعزّز مكانته وقيمه، أو موقعه وعمله داخل وطنه المستجِد، تعزيزاً يكون بشفافيةٍ وأخلاقٍ وبعقلٍ نقدي. الشخصانية، للشاهد، بحسب تحليلاتي

وفي مهنتي النفسانية والتحليلنفسية بخاصة، جميلةٌ وإنسانية النزعة... وبعين النقد هي شديدة الرّخاوة واللزوجة، بلافقرات، زاحفة؛ بل وكسولة، طيّبةُ القلبِ وقريبة من السذاجة في التحليل والتفكيك، التقطيعِ والتنقيب والتحّري. هي أخلاقية وفاضلة، مثالية وروحية؛ بل ومتغذّية بالماورائيات واليقينيات الثابتة. هنا عقلٌ شيخوخي "متشبِّب"؛ وهي لا تحبّ التعب أو النّصب، عطوبة، وتخاف العمل المادي، والجهدَ العضلي، والمجهول أو غير المفسَّر بل وغير اليقيني.

2- مبحث الصحة الحضارية، إنْ في الوطن العربي أمْ للمهاجِر والجاليات داخل الأمم الصناعوية، أوروبية هي أمْ أسيوية، يصل بأدوات التحليل ووسائل العلاج إلى نتيجة ومبادئ ترى حقيقةً ومردوديةً أو غذاءً سليماً في تقديم الفلسفات الراهنة العربية إلى أمم العالم؛ أي في إدخالها إلى الأوطان والثقافات المهاجَر اليها، إلى الفلسفة، إلى العقل.

3- تُقدِّم المدرسة العربية في الفلسفة والنفسانيات، كما رأينا، حقلاً آخر جديداً يتشكل ويعاد إصلاح أرضه وأريضه وفق مبدأ يقضي بأنْ تُعاد أشكلة ومَعْنيةُ **النبويات التومائية السيناوية المحدثة** داخل حقول الفلسفة، عند العربي والغَرْبي والمهاجِر المسلم في هذا الزمان الجاري والقادمِ المستقبلي.

وبعامّة، إنّ المدرسة العربية الراهنةِ أعملتْ أدواتِ التفسير والتَأويل كما التشخيصِ أو الاستكشافِ والتحليل في حقل **فلسفة الدين السيناوية- الرشدية المؤسَّسةِ على الأرسطُويّة**، ومن ثم المتغاذية مع التومائية. وفي ذلك الشأن، قد يجد الصابر دعامةً نفسية وغذاءً فكرياً وروحياً لصحته الحضارية في الفلسفة الوسيطية، وفي فضاءات النهضة والاصلاح، وعبْر المسافة فيما بين ديكارت وكانْط المُعَدّ، في التأرخة العربية للفلسفة الأوروبية، بمثابة المؤسس الحقيقي للفلسفة الحديثة ونقدِ العقلِ في أوروبا.

4- زبدة القــول، الفلسفة المثاليــةُ - الروحانية - الدينية الجــديدة (= المُحدَثة)، في الفكر الغَرْبي المعاصر، قد تُشبه بضاعةً "تُردّ إلى أصحابها"، بحسب خطاب المدرسة العربية الراهنة موجَّهاً إلى المهاجِر. والروحانية التومائية "الاسلامية"(!) الجديدة هذه، هي نظرية فلسفية؛ وقولُ العقلِ والتاريخ في

الحياة والطبيعة والألوهية؛ أي في الوجود والمعرفة، وفي الفن والسعادة كما الخير.

في عبارةٍ أدمث، الروحانية التومائية العربية الراهنة فلسفةٌ عقليمانية؛ وقولٌ عالميٌّ البُعدِ والرؤية في العقل، وفي المتخيَّل (= الايمان، الحَدْس، المعتقَدي والاعتقادي، اللاعقل والعواطفي والوجدانيات)... والقول العربي الراهن في "**فلسفة النبوة السيناوية التومائية المحْدَثة**" خطابٌ استراتيجي يعيد ضبط وتسميةَ تلك الفلسفة ومبادئها، ومن ثم خطابها في الوعيِ والدين والبشرية؛ ويُعيد ضبط تشكلاتها أي ضبط ما يرادفها ويؤاخيها من حقولٍ هي نظير كلٍّ من: **الشخصانية، الوجودانية المؤمنة، الأيديولوجيات البابوية أو الكاثوليكية،** الفلسفات الدينية وما إليها من نظرياتٍ تقوم على مسبقات وثوابت، مسلَّماتٍ ومثاليات أو رَوْحَنات مغرِقة، جواهر وماهياتٍ خالدةٍ، مقولاتٍ ماورائيةٍ وأخرى غيبية.

5- ربّما يبدو أنّنا قد وقفنا، أعلاه، عند إشكاليةٍ حضاريةٍ هي توظيف النظريات والفكر، كما الثقافي والأيديولوجيات، من أجل تعزيز الصحة الحضارية للإنسان المهاجرِ إلى وطنٍ صناعوي معقّد البنى والنّظم. تنتقد الأريكة التحليلْنفسية العربية ذلك الوقوف على قدمٍ واحدة؛ أي المبطِل المعطِّل للقدم الاقتصادية.

أُشْمولة

1- تحليل أمنيات المهاجر العربِسْلامي طريقةٌ قد تنجح في تشخيص انجراحاته الحاضِرية؛ وبالتالي في طرح أفكار وسلوكاتٍ هي قمينةٌ بأن تعزِّز صحته الحضارية، والجدارةَ كما اللياقة في الموقع والمكانة داخل الأمَّة المهاجَر اليها، وبخاصة داخل الدار الصناعوية للحضارة واللُّقمة، للعمل والحرية.

* تحليل مناماته، كتحليل أمنياته محوَّلةً إلى منامات، طريقة مماثلة لكشف أمراض مكوِّنات الصحة الحضارية، ولكشف الأحوال المعيشية والمستويات كما المغذِّياتِ الحضارية عند ذلك الصابر وعياً وسلوكاً وتواصلية. تُفسَّر الأحلام والهوامات كما الامنيات بأن تعاد وتُحال إلى الجنس والطفولة، إلى الأب

ورموزه، إلى اللاوعي الثقافي الأَروميّ، إلى الأنا الاعلى في تغيّراته ومستجداته.

2 – يُبنى ويُدعَم الضلع الفكريُّ للصحة الحضارية، عند المسلم المهاجِر إلى الغرب المسيحي، ويتحرك بوقودٍ هو العيّنة من النظرياتِ الفلسفية والأيديولوجية الملخَّصة أعلاه. تنفعنا، أيضاً وأكثر، النظرياتُ والقيم الاقتصادية أي العلمية المنطلِقة من محورٍ هو المنفعة أو المصلحة، البقاء أو الاستمرار؛ ووحدةُ العضويِّ والفكري، ومركزيةُ الفعل والحاجاتُ والعمل. قد نحذَر ونخاف من أن تكون تلك الفكريات، المذكورةُ في السطور السابقة، تسوق الذات المهاجِرةَ إلى نسيان الأب، أو إلغاء التراث وقتلِه فيها.

3– لا نقول إننا نتخلى عن الذات ونُسكِنها في الآخر، أو إنّنا نقتلها ونسكِن الآخر فيها. لا مجال، ولا معنى، هنا، للقول بأنّ انطلاق المهاجِر من تلك النظريات الغَربية – العربية معناه التماهي في القويّ أو في صاحب الدار المهاجَر اليها. هنا مشكلة اجتماعية – مدَنيةٌ لا نتوقف عندها؛ برغم كل أهميتها. الأهمّ هو أن نقول إنّ فكرنا التراثي كما الراهنَ ينطلق من الثقة أو الايمان بانغراسٍ موغِلٍ للمسلم والعربي في الفكر الفرنسي كما الانكليزي والألماني. يُضاف أيضاً، أننا نتقدّم إلى الساحة العالمية متمثِّلين ثم موهَّجين أو "حاملين" فلسفاتٍ هي عالميةُ البُعدِ أي تنويرانيةٌ وحداثانية؛ ومسكونيةٌ على صعيديّ العقلِ النظريّ (= المحضانية) والعقلِ العملي بما هو فلسفاتٌ اقتصاديةٌ واجتماعية، بل وأخلاقيةٌ أيضاً ومن ثم تربوية وتنموية. وذاك العقل خطابٌ في الانسان والعقلِ، كما في اللُّقْمة والقيمة، في المنفعة والحقيقة، في العِلم والفن، في البشرية والمستقبل، في العلائقية ثم التعاملية والتواصلية، في اللغة والمدَنيات، والمجتمعِ كما الحضارة والكينوني أو الإنسانوي.

4– لعلّ النظريات الاشتراكية هي أهم النظريات، بل والأيديولوجيات المَدنية، النافع والسديد طرحُها وتغذيتها بتناقحٍ مستدام متواظب. فالمهاجِر، أي ذلك الصابر، مضطرٌّ إلى أن يتّخذ حصناً وسلاحاً عنوانه الكرامةُ البشرية ونُسغه الحقوق المدَنية، أو قيم العلمانية والعملِ واللقمة الموفَّرة مع العدالة الاجتماعية

والمساواة والديموقراطية (= الشورانية؛ الشورى بالمعنى الراهن المشتمِل على الانتخاب الدوري والحُر). قد لا يَتَحيّن الفضاء الملائم لتعزّز الصحة الحضارية السوية، أو للأغذية الفكرية والمادية المُعافية والمعافاة، عند المواطن مقيماً كان أمْ مهاجِراً، إنْ لم يكن فضاءً مجبولاً مغروساً ومغموساً في ثقافة القيم المسكونية البُعدِ والمعمَّمة، الشّمّالةِ والكُلّية، المجانيةِ وغير المقيَّدة بظرفٍ أو مكانٍ أو موقع، أمّةٍ أو دينٍ أو لغة. لا حقيقة ولا منفعة دائمة وسديدة للعدالة الاجتماعية، كشاهد، إنْ لم تكن للجميع ودائمة. ليست التكافلية الاقتصادية والتراحمية العلمانية، كشاهدٍ آخر، صالحةً مقبولةً للمسلم المقيم في الغرب، وغير صالحةٍ أو غير مقبولةٍ له إنْ كان في وطنه الأرومي، وداخل ثقافته الأُمَّتية التاريخية. لا يسير الانسان، الناسُ أو البشرية والحياة، بتوازنٍ وإقدام إلاّ على قدَميْن، وبقدَميه معاً وسويّاً: واحدة اسمُها الثقافي؛ والأخرى اقتصاديةٌ، أي هي العمل المطوِّرُ بتناقحٍ وتواظبية لكافة مستويات العيش المتشاركة المتغاذية.

مراجع النص

(*)

(*) بعض الفقرات الواردة، أدناه، مُستلة من أجموعاتٍ سَبق نشرها؛ وبعضها أعدّه الدكتور إياد علي زيعور (أستاذ في الجامعة اللبنانية) ... لكنّ معظمها هو مُعادُ الصوغ والصَّقل؛ وما قد يبدو ضمن هذا الكتاب مكرراً هو، في الواقع والحقيقة، نظرة أخرى، أو تنويعةٌ على اللحن الواحد، أو إعادة الادراك بتدقيقٍ، وإعادةِ ضبط.

(*) قا: زيعور، القول الفلسفي وحالات نفسية في الشخصية والمجتمع والعقل، بيروت، دار الهادي، 2008، صص 211 -213.

(1) المونوغرافيا أو الوصافة الأحادية: دراسةٌ وصفيةٌ تحليليةٌ لمنطقةٍ جغرافيةٍ محدَّدةٍ أو لقرية، لقطاع مهني أو حي أو مدينة، الخ.

(2) راجع المناهج (الطرائق) الناقصة الإنتاج في تحليل المعرفة؛ فمن تلك المناهج المرفوضة: التعميم، المنهج التوفيقي والتلفيقي و...

(3) راجع: التمييز بين الثقافة (الفكر، الانجازات الفنية والوجدانية والأدبية...) والحضارة (الانجازات المادية، وحتى في بعض الحقول أو الشخصياتِ والنظريات التقنية والتكنولوجية). وقد يَسقط هذا التمييز في بعض اللغات أو الثقافات.

(1) تكاذب أعرابيان؛ فقال أحدهما: كنتُ أتجول صباح يوم، فصادفتُ قُطعة من الليل. كان الليل قد رحل؛ ونسي قُطعةً منه. حَمل الأعرابي عليها، وراح يضربها بسيفه يمينا وشمالا حتى هربتْ. قا: شِعر الفخر (ومنافع الخروج الظرفي من العقل والواقعي، من المنطقي والقيود الاجتماعية والمنفعي).

(1) را: من أحاديثنا الإذاعية في أوائل الستينيات عن التحليل النفسي والصحة النفسية عند الأطفال: الكذب، أحلام اليقظة، الغيرة بين الإخوة، السرقة، التخريب، الكسل المدرسي، التعويض... را: زيعور، المدخل في التحليل النفسي...، صص 357- 381.

(1) قا: النفع الضئيل والضرر الخطير، راهناً ومستقبلاً، في الطب الملهوَت.

المدرسة العربية في التحليل النفسي

الحركة العربية في التحليل النفسي

و فضاؤها النفساني والفلسفي والصحة الحضارية

مقتطفـــات

مختارات شبكة العلوم النفسية العربية

مقتطفات

إنْ كان في هذه الذكريات المؤرِّخة تدفقاً وتراكماتِ أنقاضٍ أو بقايا وتكويناتٍ مكدسة، فلأنني لا أُنظِّم أو أضبُط مفضّلاً للقارئ نفسه أن يُرتِّب، ويُسلسل الأحداث؛ وأن لا يتوتر إنْ رأى ورود "الخبَرية نفسها" في أكثر من مكانٍ؛ أي في أكثر من توظيفٍ واحدٍ لها، وفي أكثر من معنى؛ بل وعلى أكثر من صعيدٍ أو مستوى

سبيلُنا إلى تأرخة "ستين عاماً" من عُمر فردٍ أكاديميٍّ النشاط والإنتاج أو الشُّغل، يتكافأ مع سُبُل التأرخة الاجتماعية والعامة لمجتمعٍ أو فكر، لمؤسساتٍ ثقافية ومساحةٍ من الزمان والتطور والجغرافيا

كتبنا على شكل فقرات معظم الفصول التالية من هذا الكتاب. الفقرات النفسو-فلسفية الواردة، أدناه، تعبيرات عن تجارب ذاتية؛ لكنها أيضاً تُعدّ موضوعية بسبب أنّها تخصّ كل انسانٍ مرّ بمثل تلك التجارب؛ وشَعَر بتلك المشاعر أو العواطف، والميول كما الانفعالات

الفقرات هذه هي، إذَن، أفكاري وسلوكاتي، آرائي ومواقفي. لم أورد سيرة حياتي على النحو المعروف؛ لكنْ لماذا لم أقصُص سيرة حياتي على الغرار المألوف المأنوس؟ لمْ أرَ أنّ هذا النوع الأدبي من فنون الكتابة نافع أو الأصلح، سديد وحقيقي... من حقي أن أختار؛ وقد اخترتُ فن السرد على شكل فقرات متناثرة، مبثوثة شريدة، غير مسيَّجةٍ داخل أقفاص النسق العامِ وحظائر عمارةٍ أو كل مرصوصٍ مستبَّد

عبر المسار "النصف قرْنيٍّ" لتقديم شخصيةٍ ومدرسةٍ داخل الجامعة اللبنانية، داخل الفكر الأكاديمي العربي، سوف نرى، أدناه، الانتقال إلى رؤيةٍ جديدة لنفسنا داخل نفسنا، لمعنى وخبيعة الصورة عن الذات داخل الذات العربية

كأننا، بعد نقدٍ حضاري واستيعابٍ تَخَطّي، انتقلنا، تراجعاً واهتداءً، إلى مفاهيم ورؤى مختلفة حول تفسير وفهم وتأويل علوم النفس والفلسفة والتاريخ، علوم اللغة والتحليل والمجتمعيات كافة

لقد تغير خطابُ العقل، داخل المدرسة العربية، ومحاكمتهُ أو قوله في العقل الأوروبي؛ وجرى التحوّل والانزياح إلى القول بدارٍ عالمية للعقل والتاريخ والعلم والفن، والى القول بالتواصلية الأفقية التفاهمية، والى التفاعلية بين أحرار مختلفين ومتساوين داخل المسكوني والكوني، داخل العالمينية والعالمِية

تُظهر السيرةُ الذاتية للفرد أو للعقل الجامعي، متكافئةً مع التأرخة العامة للمجتمع والسياسة، أنَّه لم توجَد أمَّة، داخل أوروبا الغربية، المكتظةِ بالسكان، لم تُوظِّف المعرفة من أجل استغلال الأمم التي كانت متخلِّفة في حقول المعرفة

بالمعرفة حاربت المدرسةُ الغربية، عبر سيرتها ومسارها منذ الستينيات، سلطة الجارح. فالمعرفة سلاح عظيم بيد الراغب في الامتداد والسيطرة، في مراكمة وزيادة الثروة، وتحقيقِ المنفعة، وتأمين المصالح

لقد ظهر جلياً أنَّ سلاح البشرية الأسرع والأقدر، الأنفع والأصلح، لم يكن سوى المعرفة المنتَجةِ في الجامعة، في المراكز المتخصِّصة المكرَّسة، في سياسة الدولة الساعية إلى أن تكون دولة الصحة الحضارية للشعب، دولة المواطِنية، دولة المؤسسات، دولة المدنيات

التجربة العربية في أتون المصطلحات وقعت في بعض المهاوي والانفلاتِ على الأسيجة والمغلق والتعصُّب... في عبارةٍ أوضح وأنضج، إنَّ المبالغة في نعت كلمات تقنية بواسطة الإلصاق، أو بصهر لفظتَيْن في لفظة واحدة، قد تكونُ غير سديدة، منفِّرة ومكفرة. نُقرّ بذلك

حلَّلت الاريكةُ العربية، إلى جانب الاستكشاف والاستقصاء للفنون الشعبية، موضوعاتٍ أخرى أساسية في الخزّان العامّ أو المستودع الشعبي: الأمثال، حكايا

الجنّ، التعبيرات وأدوات الزينة الشعبية المأثورة، اللغة المتداولة (المألوفة، المعيوشة، اليومية)، الخرافات والخيلات

وأدوات الزينة الشعبية المأثورة، اللغة المتداولة (المألوفة، المعيوشة، اليومية)، الخرافات والخيلات

التجربة العربية في أتون المصطلحات وقعت في بعض المهاوي والانفلاتِ على الأسيجة والمغلق والتعصّب... في عبارةٍ أوضح وانضج، إنّ المبالغة في نحت كلمات تقنية بواسطة الإلصاق، أو بصهر لفظتَيْن في لفظة واحدة، قد تكونٍ غير سديدة، منفرة ومكفرة. نُقرّ بذلك

المعلم علي زيعور، في نهاية القرن العشرين، رجع إلى اهتماماته القديمة، شبه المهجورة، والتي منها: علم النفس الفلسفي؛ والفلسفة النفسانية، والنفساني في نطاق الفلسفة الأثلوثية، والجذعية المشتركة؛ أي الفلسفة اليونانية العربية اللاتينية، أو الفلسفة الوثنية الإسلامية المسيحية التي أخلق عليها أيضاً، في بحوثه بالفرنسية، اسم الفلسفة الاسلامية الموسَّعة

حلّلت الاريكةُ العربية، إلى جانب الاستكشاف والاستقصاء للفنون الشعبية، موضوعاتٍ أخرى أساسية في الخزّان العامّ أو المستودع الشعبي: الأمثال، حكايا الجنّ، التعبيرات

من المتّفق عليه أنّ علي زيعور هو مُدخِّل النفسانيات، وبخاصة التحليلِ النفسي ثم الصحةِ العقلية كما

الحضارية، بل والعلاج النفسي. وذاك المدخّل هو الباحث في تأليف المَراجع لأرصدة النفسانيات داخل الجامعة اللبنانية

على زيعور بدأ بالكتابة، كطالب ثانوي، منذ أواخر الخمسينيات؛ ونشر كطالبِ جامعي مقتطفات من تحليله النفسي لمشاعر النقص والأزمات النفسية عند بعض الفلاسفة والأدباء كما الفنانين والمتفوّقين. وهنا كانت تحليلاته لشخصية ديكارتَ (عُصابي، شبه فصامي)، وأحلامه؛ ولشخصيات من نحو: كافكا، أوغست كونت، نيتشه، برغسون، رَسِّل، آدلير، فرويد. وشخّصَ زيعور أزماتِ نفسية، وأمراضاً عُصابية، بل وذهنية، عند بعض الصوفيين والفلاسفة: ابن سينا، الغزالي، ابن رشد، ابن خلدون، ابن تيمية

أن تلك التشخيصات أو الكشوف النفسية قد لا تُقلل من نبوغ الشخصية، أي لا تجرح الفكر أو تُبَخّسه. فهي قد توضحه، كما تُحفّز على التدقيق، وعلى إنارة نقاطٍ حتى إنْ بدت خفيفة هامشية فإنها تبقى جديدة وكاشفة للشخصية العبقرية

داخل الجامعة اللبنانية، يأتي مشروع "إعادة إدراك العلوم الانسانية، في الذات العربية"، بمثابة أول قولٍ، منذ السبعينيات، في جدوائية ونفعية العمل الفكري المخطط والجماعي، المتكامل والفريقي، المتواصل والمتناقح، العملي والنظري

على غرار إعادة الضبط والتدقيق في علم الاخلاق، كشاهدٍ، أعاد زيعور التَّعضية والبَنيَنة للعقل العملي العربي: للتربية، وللاقتصاديات والسياسيات وعلم التدبير، والعرفان والحكمة العملية بعامة... وهنا استنتج وأخلق وانتقد مقولاتٍ هي: المدرسة العربية المستقلة في التربية؛ وكذلك في: الاقتصاد، عِلم التاريخ، علم التأويل، علم السياسة، علم الجمال، علم المعرفة، علم الاجتماع، الألسنية، علم التصوف

الحضاري، أو الاجتهاد الموسَّع، والتجربة الجديدة مع الفلسفة والدار العالمية للفكر والقوةِ والانسان

يمكن الكلام عن نظرية فلسفية نفسيةٍ وتحليل نفسية عند علي زيعور تُستخلص من تحليلاته النقدية المقارنة لما أسماه المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة وعلوم النفس

قسَّم زيعور تاريخ النفسانيات والفلسفة والفكر معاً، في التراثيات العربية الاسلامية، إلى: مرحلة تأسيسية، أو تدشينية و"ذهبية" مديدة؛ ثم المرحلة العربية العثمانية، أو مرحلة التنرجس والاستهلاك الذاتي؛ مرحلة الاجتهاد

في قطاع الفلسفة الراهن، داخل الذات العربية، يأخذ زيعور بالتأسس والتحرك منطلقاً من المكرس في الشخصية المستقلة المتميزة للفلسفة- والنفسانيات ضمناً- العربيةِ الاسلامية الذهبية أو التأسيسية والأساسية، أو الأرومية

يقول محمد عبد الرحمن مَرحَبا إنّ صديقه علي زيعور هو مؤسس مشروع الفلسفة في العالم والتاريخ وللمستقبل، وأول من قال باستقلالية وإسهامية الوجودِ الخاصِّ والمميَّز لمدرسةٍ عربيةٍ جديدةٍ في التحليل النفسي ثم في علم النفس؛ وفي الفلسفة وعلوم الانسان أو المجتمع

والتحليل النفسي"، أو "مؤسسة محمد مرحبا ورضوان حسن وعلي زيعور

تخصص المحلِّل زيعور في دراسة وتدريس القطاع النفسي داخل الفلسفة؛ وانصبَّ على الفلسفات النفسية، ومذاهب علم النفس والعلاج النفسي بواسطة الفلسفة. وكان ذلك كله إلى جانب ممارساته

يُعدُّ علي زيعور أحد أبرز المحلِّلين النفسيين الناقدين، تبعاً للتفسير بالتجارب النوعَوية أو البدايات المطمورة الهاجعة، شتىَّ المعتقدات والسلوكات على صعيد الفرد والجماعة، أو المحلِّلين للأنا والنحنُ، وللوعي والفكر كما للممارسات والمعيوشات

المتقطعة للعمل كمساعد ومستشار في حقول الصحة النفسية والتحليل النفسي

كان زيعور أول محلِّلٍ قال بمدرسة عربية مستقلة، مكرسةٍ واسهامية في علوم النفس وفي علم الاجتماع، والإناسة كما في الفلسفة والفكر والمستقبليات والعولمة؛ بل وما بعد كل ذلك أيضاً؛ أي: ما بعد الفلسفة القائمة حاضراً، وما بعد هذه الحقائق أو الحضارة

هدايا إلى الجامعات العربية" مشروع حمل اسماً آخر هو"مؤسَّسة المعلم علي زيعور للفلسفة والنفسانيات

الجارية، وما بعد هذا الانسانِ أو هذه العلوم المجنونة المستدامةِ والراهنةِ معاً

أعمال المعلِّم زيعور في ميدان النفسانيات العربية الاسلامية، ثم فيما أسماه المدرسة العربية الراهنة في النفسانيات، قد تميّزت بتنظيم الموضوعات والحدود، والشخصيات والتوزيع إلى مراحل وأبعاد وأجنحة

سرعان ما كان يتضح أن في أعماق مجتمعاتنا الريفية أو الشعبية، تكمن غزارة من اللاعقلانية وقطاعٌ سميك من اللاعلمي والانفعالي، من اللاعقلي والانصياعي، من الراكن والمنقفل والغرائزي، من المنمَّط والقسريِّ التكراري، من الاسطوري والأزعومي، من الفقهنة واللهوتة

لم يكن الشاب المستيقظ يرى رجل الدين في القريةٍ، وفي الوسطِ الشعبي عموماً، يسلك دائماً الصراط السويّ أو الطريق المستقيم. فقد كان يظهر المتزعِّم الديني-السياسي كمن يلاحق الكسب بوسائل غير دقيقة وكان يحيا ويرتبط المتديّن بعلاقات النفعِ المتبادل مع الغني حيناً، ومع المحظوظ والسياسي حيناً آخر

أنّ المرجعية أو المفاهيم الأساسية لمعاينة الظواهر المنجرحةِ والتّعثّرات تتحرك بين قطبين هما:
تشخيصُ التخلّف أو واقع الظاهرة بتعقدها، وبتداخلها مع الكل وفي بنية المجتمع؛
أما القطب الثاني المناقض أو المنشودُ فهو التنمية التي ترتبط بالتقدم الشامل المتوازن، أو بالتغيير في الوعي والسلوك، الفردي والجماعي، التاريخي والمستقبلي، العملي والنظري

أنّ التخلف مفهوم تَحذر منه الدراساتُ الدقيقة على خلفية أنّه نسبي؛ فقد لا يكون عميقاً وشاملاً. والأهم أنّه مرحلة تاريخية. بتكرارٍ توضيحيّ، إنّ عوامل "التخلف" تاريخية، متراكبة متراكمة وخِباقية؛ وقابلة لأن تُشرَح، ولأن تُفهَم؛ وبعد ذلك لأن تُهزم

لقد وعد العرب والمسلمون والافارقة، وشتى المهمَّشين المستلبين في العالم، تَخلفَ أوضاعهم التكنولوجية والسِّلاحية بمقارنة ذاتهم مع أوروبا التي كانت قوية بالسلاح الناري (حسب تعبير محمد عبده في أول هذا القرن الماضي)، وبالمؤسسات المدَنية والاقتصادية والفكرية

بقوا، العرب، حتى في أحلك الهزائم مؤمنين بأنهم "متقدِّمون" على المستوى الأخلاقي والعقائدي، الروحي والايديولوجي والإنساني، التاخفي والمحبّاوي، التراحُمي والتكافلي التضافري

داخل المجتمع الصناعوي، كما المجتمع الصناعيّ المتعثَّر أو منجرح التقدّمِ الشّمّال المتنوع المتكامل، تسعى النظريات المتمحورة حول التغيير والتحويل،حول "فلسفة اللقمة الفاضلة"، بل تسعى وتجتهد كيما يكون الانسان، الناسُ أو البشرية في الطبيعة والمسكونة والمستقبل، إنساناً مُشبَع الأبعاد

النفسي والكينوني، الذاتاني والأخلاقي، العلائقي والانسانوي، أبعاد هي كلها تَتَفاعَل

وتتناضح، بل وتتكامل بتداخلٍ كيما تتحقق التغييرانية، أو التكييفانية الخلاقة، والصحة النفسية الاجتماعية ثم الأخلاقية والحضارية

التكييفانية الايجابية الاسهامية، وتماماً كما هي التغييرانية بل التفسيرانية- التغييرانية، نظرية أو عملياتُ مشروع متكاملة في إعادة الادراك والتوجيه على نحو متواصلٍ ومتوازن، متواظبٍ ومتناقح، متماسك ومقبولٍ متناغم مع الحاجات والمصالح الحضارية

الاحساس كوّن الوعي، خوّر الحياة؛ وهو "مربَط الفرس"، والملخِّص المعرِّف للانسان، للعقل واللغة، للمجرَّد والمفاهيم، للتاريخ والحرية والحضارة

علّمتني الخبرة، وتدريس العلاجات الفلسفية في الجامعات، أنّه لمن السديد، الصائب والقويم، أنْ لا يكون المحلِّل النفسيِ، في أريكته العربية، ملحِداً وقاتلاً للتديّن والدينِ، عنيفاً صارماً أو قطعياً في رفضه للمتخيَّل والايمانيات، ولما هو مسيَّس أو أيديولوجي

الاحساس هو الدِّرة؛ أو هو الخلية. إنّه الشعور والعاطفة، الصورة والانطباعِ النفسيُّ والجسدي معاً، الجزئي والكلي، الذاتيِ والموضوعي. هو، بعدُ أيضاً، في أساس ونُسغِ الادراك والتفكير والتأمل...

كما المعالِج، يستطيع أنْ لا يَغرق ويُغرق في التشاؤم والقتامة، في السلبي أو

العدمانية ورفس
المعتقدات الشعبية بل
والعقلية غير العلمانية كما
المعيوشةِ المتوارثة، النقلية

وتفاعلية على الأعم والأشمل
من القضايا والأسئلة في
الأيُسيات والمعرفيات
والجماليات، في حاضر الانسان
والتراث البشري والمستقبليات
والقيميات

يمكن للمحلِّل النفسي،
وللباحث في العلاج النفسي
والصحة النفسية والروحية
والحضارية، أن لا يكون
متديِّناً؛ وبالعكس، فله أنٍ
يكون أو أن لا يكون مؤمِناً
أو ممارساً... عليه، له حقُّ
الاختيار؛ وأن يحترم اختيار
الصابر أو أي حالةٍ، أي
حقلٍ أو فكرةٍ أو موضوعة

الدار العالمية ميدانٌ لعلوم
الانسان وعلوم الطبيعة، لعلوم
الثقافة وعلوم البيولوجيا
والمادة. ليست هي عينها
الأمركة أو العولمة، النظامُ
السياسي العالمي أو
التكوكبُ والكوكبة
الاقتصادية للأمم كافة،
للعالم أجمع وبرمته

الدار العالمية للانسان،
للفلسفة والنفسانيات والصحة
الحضارية، للفعل والقول
والفن، مصطلح فكري
كوني، عالمي مسكونيٌّ
خاصٌّ بالناس؛ أي بالانسان
المنغرس في سياقاتِ
وانتماءاتِ تاريخية وخبيعية
محلية، لكن منفتحة بعقلانيةٍ

علم النفس ولدٌ ضال في
انشقاقه عن الفلسفة ترسيخاً
لاستقلاليته، وتحقيقاً لذاته،
وشعوراً بكرامته

لم تهتم الفلسفة بالتعبير، يومياً، عن حبّها الذي لم ينقطع لابنها الماهر؛ وعَرَف أو أقر هذا بنفسه أنّ علاقة علم النفس بالفلسفة لا تُقطع بقدر ما هي علاقة حوارية تفاهمية يُعاد باستمرارٍ صقلها أو تهذيبها وتشذيبها.

أراد التحليل النفسي أن يحفر لنفسه خندقاً يفصل بينه وبين المهن كما الاختصاصات أو الحقول النفسية... صال وجال، هَدَّ وقَدَّ. ولم يتأخر عن الاقرار لنفسه بنفسه بأنه، وإذْ عَمِلَ ذاته ونرجَسَ أشياءه، فقدَ تقديره الذاتي

يُعدّ الصوفيون، في الفكر العربي الاسلامي، رائعين في بناء جسر العبور باخمئنان ورضىً بين العالمَيْنِ الحيّ وما بعد هذه الحياة، هذه الدنيا أو العالم. لقد توصل العقل، عند قطاع من المفكّرين، المتأملين في الوجود والمصير، إلى أن "يخلق" الانسانَ الذي يُعيِّن بنفسه ساعة ومكان وفاته

قهرُ الخوف من الظلام الدائم قوة يخلقها المتخيَّل والاعتقادي، أو الايمانيات والحدُسيات؛ ويصقلها العقلُ الناظر المتّدبِّر في العمر والجسد والحياة، في الصيرورة والفناء والتوق للخلود في جنّات النعيم الالهية

الفلسفة، بحسب المدرسة العربية الراهنة، إعادة إدراكٍ، وإعادة تعضيةٍ. وعلى هذا، فهي إعادة أشكلة وضبط؛ ثم إرادة تغيير على كل الصُّعد والمستويات، وفي شتى الحقول والأبعاد

الفلسفة هي التي، بحسب المدرسة العربية، نفسانية وتحليلنفسية ومحضانية؛ وهي التي انتقدتْ ثم خورتْ تقسيم علم النفس للانسان الى: غريزة وذكاء، غرائز الموت وغرائز الحياة، حِفظ الذات وحفظ النوع، مبدأ اللذة ومبدأ الواقع، أحكام القيمة وأحكام الواقع، ذاكرة وعادة، ميل ورغبة أو باحث وحافز أو دافع، انتباه وخيال، حلم وواقع، وعي وسلوك، بيولوجي وغير عقلي

إنّ الفلسفة، المحضة كما النفسية الاجتماعية والطبيعية أو البيولوجية النزعة والمقصَد، نشاخاتٌ فكرية أو مقدَّماتٌ متعدِّدة متنوعة تعيد ضبط وتوجيه العلائقية، بتناقح وتلاقح وتداؤب أو بمواظبةِ ضِرامية، بين الانسان ووجوده أو واقعهِ ومجتمعه، بين الانسان وفكره والقيم والحضارة واللغة

علم النفس كان هو الغذاء؛ وقاد الفلسفة إلى أنْ تنصبَّ على الجسدي والنفسدني؛ وعلى الغوص في القيعان والتلافيف، الفوضى والخواء؛ وعلى المتوقع والمستشرَف، الأخاديد والتضاريس والطوايا، البور والوعرِ والمهتِّم، المنجرح والمطرود والمهمَّش

في عبارةٍ تُفصِّل وتُوزِّع، الفلسفة النفسانية والتحليلنفسية تعيد النظر والسيطرة والمعنية في علاقة العقل مع العالم الخارجي، مع الأشياء والظواهر والأفكار؛ وفي علاقة الانسان مع النظري والعملي، ثم فيما بين النفسي والجسدي، أو العقل واللاعقل؛ وفيما بين الغريزة والذكاء، الحقيقة والواقع، العلم والأسطورة، الظواهر والرموز، الشك واليقين، الفلسفة واللافلسفة، الانسان واللاإنسان

الأدب والفن، الأسطورة والمتخيَّل أو الايمانياتُ والمعتقدي، حقولٌ هي كلُّها تتواضع وتتفاعل مع التحليل النفسي بتكامل وتواطب، بتفاعلٍ وتساندٍ، بتداولٍ وتبادلٍ أو في حوارية مشتركة وتشاركية

احتلَّت المدرسة العربية في الفلسفة الراهنة مقعداً مكرَّساً، وشخصية مستقلة، داخل الدار العالمية؛ أي ضمن دار الفلسفة المسكونيةِ الأبعادِ والحقول، كما الوظائف والمقاصد أو المعنى برمّته

من أبرز ما قدَّمته النظريةُ العربية، في نطاق علم التفسير والفهم ومن ثم التأويل والتغيير، قراءاتٌ أتتْ ذات أصالة فكرية، وربح وفير، ومردوديةٍ اعتبارية أسهمت في تطوير المعرفة بالفكر والواقع، ومن ثم في تدعيم النظرية العربية الراهنة في التحول والاهتداء، في التراجع والتقدم أي في التغيير الشَّمال والمتوازن، المتواصل والمتكامل، المتناقح والمقارن، الضِّرامي والمتماسك، المتوافقِ مع المصالح والمنافع والرغبات الحضارية للفرد والجماعة، للوطن والأمة، وللدار العالمية

الإصلاح، بحسب المدرسة العربية في الفلسفة والنفسانيات والتربويات، هو مشروع رفضٍ ونقد، تشخيصٍ وتمحيص؛ ثم هو خروجٌ مشروع في الاهتداء والتراجع، في التعلّم وإعادة التعلّم، في التحوّل والتغيير والعلاج إنْ على صعيد الشخصية والمجتمع والعلائقية أمْ على صعيد التفكير والعقل، الفكر والقيم، الفعل السياسي والأعراف، وفهمِ الوجود والألوهيةِ والطبيعة

الاصلاح هو، إذَن، الفكر؛ هو عملُ الفكر في إعادة إدراك الواقع أو الحال إنْ في الشخصية أم في الكل. عطفاً على ذلك، فهو ظاهرة خاصة بالانسان، ولصيقة بالمجتمع بل هنا ظاهرة موجودة في كل حضارةٍ لأنها هي الحياة، ورحلة النوع إلى النجاح والاستنجاح والبقاء بتطورٍ وضرامية، ورحلة المضطرب إلى السّويّ

الاصلاح الجماعيُّ الرؤيةِ والمنهجيةِ هو إعادة حراثةِ للحقل والنقل، للقيم والعقل؛ وبالتالي فهو، بفعل ذلك، اعتماد نظرياتِ ومناهج راهنة الخصائص من أجل زرع بذور الفكر الجديد، وزرع مشاريع الأمل والرجاء، واستراتيجياتِ الطموح والأمنيات أو المستقبلياتِ السديدة كما النافعة

إنّ اعتبار النظريات العربية في الاصلاح لا تُصلّح أو تُشفي الاضطرابَ والحقل، أو لا تنطلق أصلاً من إصلاح الشخصية، اعتبارٍ يستلزم هو نفسُه الاصلاح؛ ويَفرض إعادة الضبط والتفسير والفهم للفلسفة، للفكر، للتحديث أو الاصلاح في الفرد نفسه، وليس فقط في المجتّمع والعلائقية وفي الحضارة والمعنى

الاصلاح، في شكله أو ووجهه الثاني، فرديّ. إنه إصلاح المضطرب في الأنا وداخل حقلها، وإصلاح ذلك الحقل؛ أي ضبط السلوك والموقفِ الفردي، والعلائقيةِ، وإعادة التآلف بين القوى النفسية، بين السّويّ واللاسويّ، ناقصِ التكيف وغير الصالح، القدراتِ والامكانات، المانريد والمانستطيع

تَنْقل المدرسةُ العربية، في الفلسفة الراهنة الأبعاد، الخطابَ في إعادة الادراكِ للقيم النقلية من القول في أخلاق وشيمِ الرسولِ محمد قولاً توصيفياً ومنبرياً، إلى التركيز و"التبوصُّل" على قيم هي منفتحة، وِدادية، عشقية، مَحباوية، مسكونية الأفقُ والعُمق

فيما بين خصائص الأريكة العربية في قراءة الشخصية كما التجربة، والخطابِ كما الادراك أو الحالة، تَبرز خاصية منهج القراءة. فهذا المنهج "جهاز" يستكشف اللاواعي والمكبوت؛ المتضمَّنَ والغوري، اللا مفصوحَ والطفولي في الشخصيةِ والنوع البشري، الدفين حياً وَالمَنْسي، أعماقَ النفساني وخفايا أو خبايا وخوايا الذاتاني والمقموع، المتخيَّل والايماني كما الميثي والحدسي؛ وبخاصةٍ ما هو رمزي وحُلمي واستعاري

من القراءات العديدة، التي قامت بها المدرسة العربية في الفلسفة والنفسانياتِ والفكر والمستقبل، نذكر: القراءة الوجودانية للتراث، القراءة الاقتصادية، القراءة تبعاً للعوامل أو القيم الأمَّهاتية كما الإناثية كالرحمة والمحبّاوية

رمزيُ النفس في البحر القاعُ بالذنوب والتجارب المريرة إلى البحر، إلى النسيان والغياهب. وابتلاع الحوت للانسان، في تلكِ الحالة أو المسرحية مفسَّرةً كما منام، تعبيرٌ عن وقوع في الخطيئة أو في الشرور والمفاسد. وبقاء الانسان في بطن الحوت خيلة بضعة أيام، ثم

خروجه مُعافىً ومهتدياً ومهدَوياً، هو بقاؤه في تلك الأزمة والاضطراب. هنا مشروع تراجع واهتداء؛ إنّه مشروعٌ يعلِن عن التحول إلى قيم جديدة. وذلك المشروع هو عينه ماضي ومستقبل الشخصية، وتعبيرٌ عن تغيّر مرغوبٍ في الوعي والحياة، وفي الأيديولوجيا والقدَر والمصير

التعاملية بين الجامعة اللبنانية والجامعات الأجنبية في لبنان التي سبقت إلى إنتاج المعرفة والابداع، هي عينها التعاملية بين فكر النَّحنُ وفكرِ الأنتُمِ. التواصلية تكون عقلانية وحرة إنْ قامت واستمرتْ على نحوٍ أفقي وتعاضدي، تفاهمي وتواددي، تكافلي وتشاركي وتراحمي، تعاخفي ومَحبّاوي

لم نعتبر تفسيراً ناجحاً، فعالاً وحقيقياً، التفسيرُ بعامل قطعي حاسم، نهائي وأحادي، أحسمي أو جامعٍ مانعٍ؛ بعاملٍ هو من نحو: العصبية، القوة، العقيدة، المناخ، الأرض، الموقع على البحر، الاستراتيجيا، السلاح، المجتمع، الحظ، الصُّدفة، القَدر، الاقتصاد كالذهب أو الثروة والترف، البطل، العِلم، الجديد، مستوى الحضارة

حروب المعرفة كانت حروبَ لغات. لقد أبرزت الجامعة اللبنانية تآفل ثم تراجع الرغبةِ بالسيطرة المعرفية وإرادةِ الامتلاك والاستئثار بالعلوم، عند الجامعة الأجنبية المسيَّسة في تعامليتها مع جامعةٍ داخل أمّةٍ كانت المعرفة فيها مغلولة؛ ومن ثم مقهورة أو مهدورة من قِبل من كانوا القادرين

أنّ الصحة الحضارية للفرد، على غرار صحته الأخلاقية (الروحية) أيضاً، تُمثِّل وتُرمِز الأمر عينه في المجتمع والوعي، في الجماعة والعلائقية والأمة. الفرد والكل، الأنا والتحناوية، يتبادلان؛ يتساكنان ويتشاركان، يتشابكان ويتفاعلان

وكراهيته حيال الدين ورجاله، وبتهذيب وصقل سخريته المتلذِّذة بالتجريح والتلطيخ للمقدسات والآيات القرآنية. لم تتدخل جماعة المدرسة العربية في الفلسفة والنفسانيات بهدف إقناعه أو إسكاته، وصرفِ غضبه وحسَده المقنَّع المتضمَّن تجاه الرسول والرسالة واستغلال السياسي للدين

حَسَدُ اللغة الأوروبية، الغيرةُ من الكتابة بالحرف اللاتيني، "مَرَضٌ" نفسي وحضاري. هنا عُصابٌ لغوي - فكري تشكو منه لغاتٌ عظمى في العالم، وضمن مسار العولمة بظواهرها وحقولها على كلِّ صعيدٍ أو قطاع

العقل العربي الراهنيُّ المنهجِ والرؤية (= الراهناوحيّ) هو الانزياح إلى نزع الفظاظة والقسوة والعنف عن الرسول والرسالة؛ وكذلك عن التديُّن المعاصر والراهن، بل والمستقبليِّ على نحو خاص؛ ومن ثُم فهو العقل الموجَّه المرفوع إلى الدار العالمية، إلى النزعات المسكونية، إلى الفكر الكوني والثقافة الكونية، إلى البشرية المتجذرة في هذه الطبيعة وهذا التاريخ

غالَبُنا زميلنا مرحبا، داخل المدرسة العربية، بالهدوء والارتياح، بتخفيف مشاعره

القراءة للتراث غدتْ تجري تبعاً لمبدأ التراحم والتحابُب، واحترام المختلف، ورفض التعصب والعنف، والانزياح عن ربط السياسي بالتديّني، والانتقال إلى قيم التوادّ والتعاخف، أو إلى حق الإنسان (=الناس) بالكرامة والعدل الاجتماعي، بالمساواة والحرية والمشاركةِ بالاقتراع والقضاء في صنع الفعل السياسي وتشذيبه ومراقبته

لكأنّ بعض الفلاسفة والمفكرين العَربسْلاميين احتاجوا الى "التدرّع" والتذرّع بالغريب، كيما يتجاسروا على إبداء قولهم الإيجابي الانعتاقي؛ أي القاضي بتغيير الدفة شطر التوجه نحو المرأة من حيث هي أخت أو أمّ، وعمّة أو جدّة، وبنتٌ أو شاعرة أو عشيقة

السِّلْماوية العربية- العالمية نظرية في "السلم العالمي" قوامها وروحيتها السِّلْمُ فيما بين قوى الشخصية، ما بين الخائلة والعاقلة (المخيالِ والعقل)، ما بين الأفراد داخل المجتمعات الأوسع فالأوسع وصولاً حتى المجتمع المسكوني

شاهِدُنا هنا هو أنّ التقيَّة ليست فضيلة. فالقيمة، في لوحة القيم وعلم صراع القيم، تكون كلها أو لا تكون... فهي ليست جزئية أو نسبية أو مقبولة هنا؛ وعكس ذلك أو نقيضه هناك

خيلة عُمري، إنْ في مرحلة ما قبل الجامعة أمْ في العمل المؤسَّس، الفريقي، كان يتأكد لي، وينغرس أعمق فأعمق في عقلي وسلوكي، وآلامي وفاجعتي، أنّ قدر الإنسان مأساوي؛ وهو محتوم

في سنوات التدريس الجامعي، منذ 1971، في الجامعة اللبنانية؛ كان زيعور قد أصدر فيها، في علم النفس والتحليل النفسي، "مذاهبُ علم النفس والفلسفاتُ النفسية"؛ تاريخ علم النفس (مترجماً عن أستاذه في السوربون)؛ المناهج في علم النفس

نافع جداً الإصغاء إلى خطاب الهندي، والياباني كما الصيني، في الواقع العربي؛ وفي إمكاناتِ

وعراقيل " تَحقّقه الحضاري" داخل الدار العالمية للصحة الحضارية عند الأمم أو في العالم

حركات الإصلاح العامّة أو المجتمعية، والأخرى التي كانت، بحسب خطاب الطرق الصوفية، في القرنين الثامن والتاسع عشر، تُعد تعبيراتِ تديّنية عن حاجاتٍ حضاريةٍ كانت مستلزمة وضرورية من أجل التوقي والدفاع عن الذات، ومن أجل الترميم للكلّ والمعنى، وإعادة الصياغة للحياة والقيمِ والموقع بين الأمم

بخع علي زيعور في نظريته التي خرجها في علاج الكان عبر جلسة أو جلسات؛ لأنه بخع في تشخيصه لِمعاناةِ (الكان/ Lacan) بعد إصابته بعُصاب فقدان العزيز. وبخع في دعم عدنانٍ حبِّ الله الذي أسهم جيّداً في تطوير مؤسَّساتِ مَدَنيةٍ تُعنى بالتحليل النفسي

الشجاعة، عند الصابر في الزمان هذا وفي جميع الحقول، هي المتابعة والانخراط والانغراس برغم المخاوف والمخاخر والمثبِّطات. ليست الشجاعة في أنْ لا نرتعب، أو أن لا نهرب؛ إنّما هي في أن لا نخفل تلك الضغوط والقاهرات والمعلقات مانعاً للاستمرار، وللتحدّي وإتمام السهرة حتى آخر الليل

التقيّة أواليةُ احتماءٍ، دفاع وإتقاء عن الضحية وفي سيرورة التكيّفِ داخل سياسةٍ جائرةٍ؛ غير أُفقية؛ ولا تتغنّى بالحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، أي بلوحة قيم الإنسان والوخز الكونية

الرئيس العُصابي" مريض ومُمرِض، جارحٌ للأمة والفعل السياسي ومن ثم الأخلاقي،

ومنجرحٌ محكومٌ بأوهام الحضور الكلي والجبروت، وبتألهن الطاغية المولّه له المهووس بحسد الألوهية، أو بالغيرة من المطلق، وبغرض الانصياعية والاستسلام

المرأة أقوى من الرجُل فكرةً أو "أحكام" وتحليلاتٌ أظهرتها، ونصرتها بالدراسة الميدانية والمناهج التجريبية ثم التّجرُّبية، الأريكة العربية والمقعدُ الفلسفي العربي والنفسانياتُ الاجتماعية العربية

في الامتحانات الجامعية، مرّ أمامي بوضوح وسطوع أنّ لائحة الأوائل، لائحة العشرة الأوائل، قد تتميز على الأغلب بكثرةٍ نسبيةٍ للاناث. حتى داخل المجتمعات المغلّبة للرجُل، يُلحظ بدقة أنّ الزوجة (المرأة، الأم، الأخت،

الهَمّة، الجدّة...) ليست الأضعف داخل العائلة؛ أو في العلائقية أمام الزوج، وحيال شؤون الأسرة والاقتصادِ وحرية التصرّف. وليست هي المرذولة أو الخائنة، القليلة العقل أو الدين أو التمسكِ بالفضائل

بالرغم من أنّي لا أراها، في هذا الزمان وما قبله، غير مألوفةٍ عند السياسي والغِني، الرأسمالي والمصالحي؛ وحتى عند المتواخِئ المستبَع، المتحزِّب والمتعصِّب

التسلط الإعلاميّ إذلالٌ آخر للبشريّ، وقتلٌ للعقل والحريةِ المسؤولة؛ وضغط أو تطويعٌ وتطريقٌ يحيل المواخن إلى آلةٍ، وأداةِ استهلاكية؛ أي إلى شيء أو متاع، إلى رقمٍ وغفل

لأجل إستكشاف اللاوعي عند الفرنسي، أو أيّ مستعمِر، من اللابدي، بحسب الأريكة التحليلنفسية العربية، بلوغُ ذكرياتِ الحوادث والتجارب الصَّدْمية المدفونة حيَّة، والموجِّهة والمفسِّرة لهواخفه وانفعالاته، أحكامه وتقييماته، رغباته ورؤيته اللامفصوحة للحياة والشعوب الأخرى، للأمم المجاورة الدانيةِ والبعيدة القاصية

في نفسي إعجابٌ بشخصية وذاتيات ابن سينا؛ وليس فقط بفكره أو مقولاته. بيدَ أنّي لا أستطيع القبول بمبادئ "ملتوية" أو ذاتياتِ وأساليب العيش التي اتَّبعَها ابن خلدون؛ وهذا،

الانفتاح على لغاتِ أوروبية أخرى، كالايطالية والاسبانية، مهارة نمنحها

للثقافة العربية مقصودُها ومُرامها التخفف من أثقال وأخاديد مبهظةِ أحدثتها الانكليزية والفرنسية

انتقلت إلى الحضارة اليونانية؛ وإنّ هذه الأخيرة انتقلت إلى العرب، ومن بعدهم إلى أوروبا اللاتينية. وهكذا هكذا

آن للأزهر، على سبيل الشاهد، أن يعترف بأنّ في الاسلام نظرية يمثّلها علي عبد الرّازق مفادها فصل الدين عن الدولة؛ ونظرية أخرى يمثّلها التقليدانيون؛ وأنّ الازهر يفسح للفكر كلَّ مجالٍ من أجل أن تتفاعل وتتحاور على ساحته هاتان النظريتان المتشاركتان المتواضحتان

ترسخ اعتبارُ الدافع إلى الأدب والفن والابداع عقدةً اسمُها عقدة الدونية والضّعَة، النقص والقصور. وهي بالتالي دافع إلى التعويض والتعويض الفائق، إلى الرغبة بالتملك والهيمنة، بالسيطرة والعنف وإرادة الاستعراض أو الاستبذاخ والاستفاش.

لكأنّي غدوتُ مقتنعاً، أكثر فأكثر، بأنّ الحضارة (والثقافة) البشرية إرثٌ ينتقل، انتقال الثروة الفردية، من أمةٍ إلى أمة، ومن الأب إلى ورثته. بذلك يصح القول إنّ الحضارة البَيْنَهرية، البَيْرَوافدية، كشاهد،

أنّ الأفكار أو الظواهر النفسية المحرَّمة قد تكون من مسبِّبات قلقٍ أو توترٍ يحد حلاً بالدفع إلى تسويةٍ للصراع بين النزوية الجنسية المكبوته والأنا الأعلى حيث الأخلاق والمجتمع والقيم... فالهزلة، الانسحابُ والتخفف والامتناع الجنسي، أوالية هروبٍ

وتغطية أو اضطرابٌ نفسي بيولوجي اجتماعي، وعصابٌ أو حالة مَرَضية اسمها حالة "اللاإختلاط" أو خوافـ الاختلاط

السعيدة جسدياً واجتماعياً. ندعو اللهَ ليس للمحو والغسل، بل وأيضاً كيما لا نقع مستقبلاً في السوء والنقص، في الحرمان والآلام

التحليل النفسي يستحق ويقدر أن يكون، في نهاية الأمر، ايجابياً ومتفائلاً، واثقاً بالانسان وقدراته، وبإرادة بل وبالرغبة في الشفاء، وموحياً بل وموجِّها وموجَّها نحو النظرية الاشفائية التي تتأسس على إمكان ووجوب وربحية إعادة الادراكِ والضبط، التعليمِ والتنظيم والتربية

ما تزال ظواهر التديُّن، كما النصوصُ الدينية أو الايمانيات والمعتقدية، ذاتُ إمكان قديرٍ يستطيع إغناء الفكر الفلسفي، والأخلاقيات، والمتخيَّل، واللغة القيمية المسكونية، والصحة الروحية كما الحضارية

في مناسك الحجّ، وزيارة قبر الرسول، ندعو الله تعالى خالبين "العفو والعافية"؛ أي مساعدته لنا على التطهر والتزكي نفسياً ووعياً، ثم على الحياة

قطاع المعجزات والمختلقات، والخارقات والكليدِمُنات، كما الوهمياتِ أو التخريفِ والهذيان، مساحة محدودة؛ وهو لا يلخِّص أو يُميِّز التجربة الحضارية والفكرية للاسلام والتاريخ العربي. فذاك قطاعٌ هو جزءٍ محدَّدٌ معيَّن، وليس هو عاما؛ وهو إسراف

كان غير ضروري قبوله في الصُّراخية التاريخية أو في العقلية المعاصرة

الزارعون في ذلك الحقل الاختلاقي الملهوَت ليسوا مستقلين، وليسوا مخيَّرين؛ ولا يتمتعون بالصدق والنزاهة. ولم يصرّوا على أنّ المعجزات، وتماماً كما الكرامات، قولٌ حقٌّ وشفاف، وسديدٌ أو أساسيٌّ في العقيدة والشريعة، في الحياة والاستمرار

من المعبِّر أنّ تيار ابن تيمية، كشاهد، يَصلُح لأن يؤخذ بمثابة أداةٍ ماهرة ومنيعة هدمتْ وحاربتْ، فعلاً وقولاً، كل معجزةٍ أو كرامة. يُستدعَى، أيضاً، منطق ابن الجوزي؛ فهو في "تلبيس ابليس" بدا حاذقاً وذا كفاءة في دحض ورفض تلك "الخزعبلات" الصوفيةِ الروح والرؤية، أو المنطقِ والمنهجية والبنية كما النسق

لكأنّ القَدَسة الراهنة، الأسطرة كما اللهوَتة، حاجة حضارية ما تزال موتِّرة للانسان المعاصر. ذاك أنّ الأيْسِيّات والمعرفيات والقيم عوالم أغرقتها الصناعوية بالعلمي والتكنولوجي والاعلامي؛ أي وقدّتها نزعاتُ الاستهلاك واللذة، والاستمتاعُ كما الاقتناءُ والامتلاك؛ وأضحى يرعاها ويحكمها قانون المادة والبيولوجيا، وقيمُ العضويِّ والمنفعي، الملموسِ وغير الاعتباري وغير الممتد

تقوم المعجزات بتعزيز السلطة الدينية-السياسية القائمة؛ أي بتعزيز الاستبداد والتفرّدِ وهيمنة الحاكم. فالمعجزة، إذْ هي تَدعَم وتُمتِّن الاستسلام والرضائية، والوهمي أو السحريَّ والغنائي، تُهيِّء النفوسَ للانصياع والطاعة العمياء، وللتغنِّي بتمجيدِ أجوف للأبطال أو للمؤسِّسين، وبالاخضاع الأسطوريِّ الاستعاريِّ للطبيعة...

الخارقة كالكرامة الصوفية منتوجُ اللاعقل والضدّ العقل وما جانَبَ العقل. وتُعرَّف بأنها منتوجُ المتخيَّل، أو ثمرةِ الايمانوي؛ وتَتَفسَّر الكرامةِ المختلقة هذه بأنها وليدة الأسطوري أو الاستعاري، الرمزيّ والغريزي، المطمورِ والطمي، الاختماريّ واللاواعي، الطفلي وما قبل اللغوي، الهذائي والتهلوُس

لكنني أثق بأنه ليس نافعاً، ولا هو أخلاقيٌّ أو حقيقي، القولُ بإلغاء السُّنة النبوية أو بإعدام الأحاديثية؛ بقتل كل من: الطبِّ النبويّ أو غبّ العقيدةِ كما الشريعة، قطاع الكرامات أو المعجزات والخرافيات، اللاوعي الديني كما اللاوعي الثقافي الأعمّ ومن ثم اللاوعي الجماعي للبشرية

يُعتَبَر قطاع المعجزات أحد القطاعات المكوِّنة لما أُخلِق عليه، أعلاه، اللاوعي الديني؛ وهذا الأخير قطعة أو مساحة داخل علوم اللاوعي الثقافي- البيولجي

احترام الناسِ (الانسان) والدينِ أو الوطن، حقٌّ؛ وذاك واجبٌ، وقانونٌ أخلاقي. وذلك الاحترام احترامٌ هو للذات والغير، للانسان والتاريخ. لكنّ احترام الانسان نفسَه غير منفصل عن احترامه لكل انسان، ولله تعالى والطبيعة، لكل أمة أو دين؛ لغةٍ أو عقيدة

كمحلّل نفسي، كطبيبٍ أو منتهضٍ من موقف ودورِ القاضي، لا أسمح لنفسي، لا يحق لي أن أهاجم معتقداتِ الصابر أو أيديولوجياته، انتماءاته أو مشاعره وعواطفيته

الانسان يتعلم التشاؤم ولا يُفطَر عليه. المخاوف على المستقبل والصحة الجسدية وما إليها عامل يولّد الابتراحَ،

والوعي بالمهجورية وبتوقع الالتياث للمهزوم أو الفقير، المريض أو المقموع، السوداوي أو التذمّري الضّفدعيّ"

لا حقّ لي، ولا لأيّ إنسان معاصر، بأن يقع في لجة التشاؤم. أعرف ذلك، فعلى الصعيد التحليلي النفسي، وفي الرؤية الشاملة العامة للوجود والمدنيات والقوانين، أنا لا أرى التشاؤم ولا أقول به.

لم يكن الادمان على الكتابة، على العمل في التأليف والتصنيف، عند المتقاعدين، يستهدف الربح، الاستنجاح أو استكسابَ جاهٍ، ومنفعة أو ثروةٍ رمزية. كان الدافع الأعمق لوناً من الدفاع عن الحياة، وردّاً على مخاوف وهواجس أمام الموت القادم، أو الأيامِ المعدودة الآخذةِ بالتناقص كل دقيقةٍ، بل وكلّ ثانية

الصحة الحضارية للمهاجر العربي، كالمسلم أو الأفريقي ومَن إليهما، تتعزَّزُ كلما تَعَزز التحولُ شطر القيم المسكونية داخل الشخصية أو الأنا؛ وداخل العلائقية والمجتمع، كما التواصليةِ وفهم الوجود أو تفسيره؛ وداخل تأويل الألوهية والمطلقِ تبعاً لأنوار العقل الكوني، وللمدَنياتِ كما القيمِ العالمينية البُعدِ والرؤية أو المنهجيةِ والمنطق

تَتَمتّن الصحةُ الحضارية بقدر ما ينقلّص فينا حسَد الغرب، والآلةِ الصانعةِ للآلات، وثوراتِ العلم المتمادية؛ وبقدر ما يغدو الحوار مع القويّ أو بطلِ الحضارة الصناعوية حواراً بين متساوين أحرارٍ مختلفين، بل وعديدين متنوّعين؛ وبقدر ما يخفّ التوتر الحضاريُّ أي العدائية والحذر والتباعدُ بين "الشرق والغرب

الشعور بالانتماء إلى حضارة مُشبِعةٍ للحاجات والدوافع الاساسية شعورٌ بصحةٍ حضارية؛ فهذه المِعافاة احتماء واخمئنان، ثقة بالأنا والنحناوية والمستقبل

التغيُّر شطر الصحة الحضارية المتينة المنيعة يطال ويوقد كلَّ الموضوعات والسلوكات، العقلياتِ والمتخيَّل كما العقل، القيم كما التواصلية، الحقوق أو المدَنيات والمعنى العامّ

حنين جامعة السوربُونّ الراهنة إلى "السوربُونية العربية"، أي إلى الحقيقة اليونانية العربية اللاتينية، حالة نفسية حضارية منيرة ومنوِّرة، وفيّة للتاريخ ولِمستقبل الفلسفة داخل الدار العالمية

أعاد إبن سينا إلى السوربون، في القرن العشرين، ابراهيم مدكور، وجميل صليبا؛ ومن ثم المستشرقة غواشون، ثم النفسانيِ علي زيعور معتبِراً ومتدبِّراً وحدة الشخصية ووحدة الفكر عند ابن سينا؛ أي وحدة الفلسفة والنفسانياتٍ وحقول العلم معاً وفي كل أجمعي، في "مَعْبَعْضية" ضراميةِ تفاعلية

من المقولات المؤسِّسةِ والمغذّيةِ للصحة الحضاريةِ، هناك داخل الرّشدية، قولٌ في أنّ الفعل مؤسِّس وحاكمٌ ومعيار في التجربة البشرية

أنّ الفلسفة الرشدية، وعلى غرار أسلافها الممثَّلين بالفارابي، قابلة لأن تسمّى فلسفة عملية؛ حكمة عملية أو عقلٍ عملي؛ بل ولأن تدرَك، ثانياً، بما هي تقوم على إدراك الدين كقطبِ يقوم إلى جانبه العقل كقطبِ ثانٍ في بحث الناس عن الحقيقة ومصلحة البشر؛ وثالثاً،

لإدراك أنها فلسفة تقوم على منطقٍ عام هو أنّ الحضارات، ومن ثم الصحة الحضارية للعربي المهاجِر، تقوم على الاجتهاد الذي هو التجديد المتواطب، والضبط وإعادة الضبطِ والتكيّفِ المتناقح للعقلَيْن العملي والنظري وبأداةٍ فكرية هي علم التأويل وفلسفته الراهنة

الفلسفة المثاليةُ - الروحانية - الدينية الجديدة (= المحدَثة)، في الفكر الغَرْبي المعاصر، قد تُشبه بضاعة "تُردّ إلى أصحابها"، بحسب خطاب المدرسة العربية الراهنة موجَّهاً إلى المهاجِر

الروحانية التوماثية "الاسلامية"(!) الجديدة هذه، هي نظرية فلسفية؛ وقولُ العقلِ والتاريخ في الحياة والطبيعة والألوهية؛ أحد في الوجود والمعرفة، وفي الفن والسعادة كما الخير

إنّ المدرسة العربية الراهنةِ أعملتْ أدواتِ التفسير والتأويل كما التشخيص أو الاستكشافِ والتحليل في حقل فلسفة الدين السيناوية-الرشدية المؤسَّسةِ على الأرسطويّة، ومن ثم المتغادية مع التوماثية

الروحانية التوماثية العربية الراهنة فلسفة عقليمانية؛ وقولٌ عالميُّ البُعدِ والرؤية في العقل، وفي المتخيَّل (= الايمان، الحدْس، المعتقدي والاعتقادي، اللاعقل والهواخفي والوجدانيات)

قد يجد الصابرِ دعامةً نفسية وغذاءً فكرياً وروحياً لصحته الحضارية في الفلسفة الوسيطية، وفي فضاءات النهضة والاصلاح

إنّ فكرنا التراثي كما الراهنَ ينطلق من الثقة أو الايمان بانغراسٍ موغِلٍ للمسلم والعربي في الفكر الفرنسي كما الانكليزي والألماني. يُضاف أيضاً، أننا نتقدّم إلى الساحة العالمية متمثّلين ثم موهَّجين أو "حاملين" فلسفاتٍ هي عالمية البُعدِ أي تنويرانية وحداثانية؛ ومسكونية على صعيدٍ العقلِ النظريّ (= المحضانية) والعقلِ العملي بما هو فلسفاتٌ اقتصاديةٌ واجتماعية، بل وأخلاقية أيضاً ومن ثم تربوية وتنموية

لا يسير الانسان، الناسُ أو البشرية والحياة، بتوازنٍ وإقدامٍ إلاّ على قدَمَيْن، وبقدَمَيه معاً وسويّاً: واحدة اسمُها الثقافي؛ والأخرى اقتصادية، أي هي العمل المطوَّرُ بتناقحٍ وتواظبية لكافة مستويات العيش المتشاركة المتفاعلة

المعلّـــم علـــــي زيعـــــور

السيـــــرة الذاتيـــــة الموجـــــزة

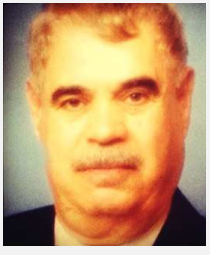

1- تـأتـي كـتـابـات علي زيعور، ونشاطه الفكري الشفهي، بمثابة إنتاج ومحاكمة داخل المشروع العربي في أنسنة علوم العقل أو المجتمع. وهو يُعدّ المدشِّن، داخل الجامعة اللبنانية، وبالعربية، في الحقول والمهن النفسية وبخاصةٍ في التحليل النفسي.

2- بدأ بالكتابة، وإلقاء أحاديث نفسانية إذاعية، منذ أواخر الخمسينيات، أي منذ السنوات الأولى من دراسته في الجامعة الأجنبية. وكانت موضوعات "معاياناته" التحليلنفسية، والنفسية العيادية: تفسير الأحلام، تفسير العادات والمعتقدات الشعبية، الأنا الأعلى، اللاوعي والدفائن النفسية والغوريات، الشخصية الغِرارية؛ وبَعْدُ أيضاً: الصحة النفسية والأمراض العُصابية والعقلية، الجنوح، الشباب، العنف، الرئيس العُصابي، الغرائز، إرادة السيطرة والتملّك، الإنجراحات عند الفلاسفة الكبار في الدار العالمية...؛ من هؤلاء: فرويد نفسه محلّلاً تبعاً لمناهجه ونظريته، آدلير، يونغ...؛ كَنْط،

نيتشه...؛ الأفغاني عبده...؛ أركون، الجابري، ع. العَرْوي...

3- مال إلى التفاعل المنفتح والنقدي مع اللغة الإنكليزية، كلغةٍ أولى؛ ومع الفلسفة والفكر الأنكلوسكوني... وانتقل بذلك ممّا كان يسمّيه العَرَبية - السّوربونية إلى العربية - الأكسفوردية (تسميات مستقاة من تاريخ انتقال الفلسفة والعلوم الإسلامية إلى أوروبا الوسيطية).

4- إهتمّ جدّاً بما يُسمّى "فلسفات اللّقمة المادية واللّقمةِ الفكرية أو المعنوية"، وبالعدالة الإجتماعية، وبالتغييرانية، وبتسلّط النظام الاقتصادي السياسي العالمي.

اشتغَل باكراً بالبُعد النفسي كما اللاواعي كما السلوك في الوعي الاقتصادي أثناء دراسته الجامعية في جامعة باريس. وأصدر ترجمة لكتاب "الاستعمار الدولي" (تأليف: جيل برتان)، وكتبَ في أوائل الستينيات عدة بحوث في نفسانية التنمويات والبلاد المتخلّفة، ونفسانيات الفقر في أميركا اللاتينية (خوسيه ده كاسترو، والتحرير اللاهوتي).

- ظَهَر إنتاجُه موزّعاً إلى:
- الأريكة العربية في التحليل النفسي؛
- المدرسةُ العربية الراهنة في النفسانيات والفلسفة والفكر والمستقبل؛

- المدرسة العربية الراهنة في العقل العملي: علم الأخلاق، التربويات، علم السياسة، الآدابية والينْبَغيات، التنمويات ونظريات الإصلاح والتحديث.

6- عمِل ضمن مجموعةٍ من الأطباء والمعالجين النفسيين. وكان حتى الـ 2010 يتعاون مع بعض المحلِّلين النفسيين المتزاملين. أسهم في علاج شخصياتٍ متنفّذة، وقدّم استشارات في التربية وكشف الشخصية لأبناء سياسيين وأثرياء شاءوا أن تبقى أسماءهم محجوبة... هنا يُذكر "تدخّله" في الأزمة النفسية التي عُرفت عند لاكان (LACAN) إبان زيارته بيروت (1973).

7- إنتفع من مشاركة وعون اختصاصيين داخل أسرته، وهم: دينا، طبيبة أمراض جهاز هضمي وناظور وكبد (الجامعة الأميركية ثم في أميركا وحيث عَملت)؛ مايا، طبيبة أمراض جلدية (الجامعة الأميركية ثم جامعة يال في أميركا)؛ إياد (أستاذ في كلية العلوم - الجامعة اللبنانية)؛ زكريا (طبّ عام من الجامعة الأميركية، ويتابع اختصاص الطب النفسي في أميركا)؛ يحيى (خرج الجامعة الأميركية ثم جامعة تكساس، علوم الحاسب)؛ زينة (ماجستير في الإناسة النفسية، الجامعة الأميركية في بيروت).

8- نظَّم مؤسَّسة إنتاج فكري ظهرت في كلية الآداب الجامعة اللبنانية حول جماعةٍ من الأساتذة كان من بينهم، من السيدات: سعاد الحكيم، عفاف بيضون، مريم سليم، وكان من السادة: جورج زيناتي، عادل فاخوري، مهدي فضل الله، محمد رضوان حسن، عبد الرحمن مَرحبا، معن زيادة، فريد جبر.

السيرة الذاتية ومؤسَّسة "هدايا للجامعات العربية"

1- متحصّل على ثلاث إجازات، ودبلوم دراسات عليا؛ ودكتوراه الدولة من السّوربون.

2- بدأ بالكتابة وهو في الثانوي؛ قبل أن تبدأ دراسته الجامعية وكان قد شرّع في تجميع الأدوات الحِرَفية الريفية واللوحات الفنّية الشعبية خشبية مخصوصةً سمّاها فيما بعد متحف الفنون الشعبية في الريف اللبناني.

3- ألقى أحاديث إذاعية، ونشر مقالاتٍ "جرائدية" و"مجلاّتية"، في التحليل النفسي وتفسير الأحلام، وعن اللاوعي والكبت، ونقد الفرويدية وفَرَضياتها 1970 - 1971.

4- بدأ بالتدريس في كلية الآداب / الجامعة اللبنانية منذ العام الجامعي 1970 - 1971.

5- داخل الجامعة اللبنانية، هو صاحب أول كتاب في علم النفس؛ وأول كتابٍ في التحليل النفسي؛ وأول كتاب مترجَم هو تاريخ علم النفس (تأليف أستاذ علم النفس في السوربون ورئيس المعهد الوطني للتوجيه المهني، روكلين)، والسابق إلى القول بكيان نفساني مستقل هو "المدرسة العربية الراهنة في التحليل النفسي ثم في علم النفس"، الخ.

6- عمل عشر سنوات في الإشراف على الدكتوراه، في الجامعة اليسوعية (جامعة القديس يوسف)، بيروت.

7- مارس تدريس أرصدةٍ متنوعةٍ في علم النفس والفلسفات النفسية؛ ولا سيما في علم النفس المرَضي، وعلم النفس العيادي، والعلاج النفسي كما الصحة العقلية... وهذا كلّه، إلى جانب اختصاصه الأكبر في التحليل النفسي، والغوريّ كما المحجوبِ في الذات العربية، واللاوعي الثقافي - البيولوجي العربي.

8- أسهم في معالجة حالاتٍ مرضية كثيرة داخل وخارج عيادات نفر من زملائه، وبالتعاون معهم في حالاتٍ أخرى. ترد نظريته في تشخيص وعلاج اكتئاب فقدان العزيز عند لاكان (LACAN).

* * *

1- عمل علي زيعور على شكل مؤسَّسة، أي وفقاً لمبادئ الإنتاج والعمل في مؤسَّسةٍ ثقافيةٍ تُسمّى مشروع الذات العربية في إعادة الإدراك والتعضية والتوكيد لعلوم العقل والمجتمع أو للإنسانيات كما المجتمعات... وذلك ما يفسِّر أنه كان موظفاً أو مديراً لمصنع خاصٍّ يُنتج المواد الفكرية المغذّية والمجدِّدة للفلسفة العربية والفكر العالميني، وبخاصةٍ للمقولات والأفكار الضرورية في المدرسة العربية في علم النفس وحقوله ومِهَنه، ولا سيّما في التحليل النفسي، والعلاج، وقطاعات اللاوعي الثقافي، والإناسيات والغوريات.

2- توظّف علي زيعور في المكتب - المصنع يعمل بمعدّل سبع ساعات يومياً؛ وذلك منذ بدايات السُلّم

الجامعي حتى العام 2014... بعد ذلك راح يلملم مقالاته المنشورة والمخطوطة المهتمّة بسيرته الذاتية، ولا سيما بما يتكافأ معها من تأرخةٍ اجتماعيةٍ أو تاريخٍ عامّ؛ ومن ثم بما يؤوب إلى مؤسسة "هدايا الجامعة اللبنانية للجامعات العربية".

3- توزّعتْ منتَجاتُ مؤسّسة أو مشروع الذات العربية في إعادة الإدراك ثمّ الضبط والتوجيه للإنسانيات إلى: المدرسة العربية في التحليل النفسي (ج 9، 2012)؛ المدرسة العربية في الفلسفة والفكر والمستقبل (ج 13، 2012). المدرسة العربية في علم النفس والصحة النفسية والعقلية (ج 8، 2009)؛ المدرسة العربية في العقل العملي – التربويات والسياسة وعلوم الأخلاق (ج 10، 2010)؛ المدرسة العربية في اللاوعي الثقافي الاناسي والبيولوجي... وضع عدة بحوثٍ بالفرنسية، في ميدان "إعادة بَنْينة القطاع النفسي الاجتماعي كما السياسي ثم الأخلاقي داخل الفلسفة العربية مُدْرَكة ضمن الخطاب اليوناني العربي اللاتيني أو الفلسفة الشِّرْكية الإسلامية المسيحية.

الكتاب الإلكتروني لشبكة العلوم النفسية العربية: العدد 33

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2014

الكتاب الإلكتروني
نحو مدرسة عربية للعلوم النفسية
33
2014

المعلّم علي زيعور

الفائز بالتكريم عام 2013 بلقب:

الراسخون في العلوم النفسية

والرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا
وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلبَابِ
تتشرف الهيئة العلمية الاستشارية لـ:
شبكة العلوم النفسية العربية
تكريم
أ.د. علي زيعور
النجيب النفسي - لبنان
بلقب
الراسخون في العلوم النفسية
(آذار/مارس 2013)
من رئيس الشبكة د. إسماك التركي

ArabPsyNet Electronic Book

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2014